الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المصطلح النقدي والبلاغي في كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني(392هـ)

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير

في اللغة العربية و آدابها

تخصص: النقد العربي ومصطلحاته

إعداد الطالب **إشراف الدكتور**

ياسين خروبي **عبد الحميد هيمة**

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د: أحمد موساوي	أ. التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
د: عبد الحميد هيمة	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مشرفا
د: أحمد جاب الله	أ. محاضر (أ)	جامعة باتنة	مناقشا
د: بلقاسم مالكية	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مناقشا
د: العيد جلولي	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية:2012/2011

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المصطلح النقدي والبلاغي في كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني(392هـ)

مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير

في اللغة العربية و آدابها

تخصص: النقد العربي ومصطلحاته

إعداد الطالب: ياسين خروبي

إشراف الدكتور: عبد الحميد هيمة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د: أحمد موساوي	أ. التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
د: عبد الحميد هيمة	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مشرفا
د: أحمد جاب الله	أ. محاضر (أ)	جامعة باتنة	مناقشا
د: بلقاسم مالكية	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مناقشا
د: العيد جلولي	أ. محاضر (أ)	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية:2012/2011

O

(قَال رَبِّ ♌☜ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلكَ مَا لَيَسَ لِى بِهِ عِلمٌ وَإِلَّا تَغْفِر لِى وَتَرْحَمْنِى أكن مِّن الخَسِرِينَ) سورة هود الآية 47

صدق الله العظيم

قول مأثور:

" إني رأيت أنه لا يكتُب إنساناً كتاباً في يومه، إلا قال في غده لو غُير هذا لكان أحسن، ولو زِيد كذا لكان أفضل، ولو تُرك ذلك لكان أجمل، وهذا من عظيم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر "

(العماد الأصفهاني)

الإهداء

قال الله تعالى:(❒◆🔔➔✍ ❻▪☸♌☞
✃🙵🙵❻⬀❑☒☟⬃♑←☺⌂🙵 🖅☒☺⌂🙵
❻◆🖃✸⓿◆🙵❄🖎❼ 🕒✿⬄☞❷❸☪✃)

إلى التي دمي من دمها، وروحي من روحها، إلى التي تربيت بين أحضانها وسقتني من أنهار حنانها، إلى أزهى ذكرى وأحلى لحن إلى التي حملتني وهنا على وهن، وأرضعتني من طيبائها حولين كاملين، إلى من تكون الجنة تحت قدميها، أمي الحبيبة الغالية حفظها الله.

إلى من زرع بذور الإرادة في نفسي وغرس شتائل الأمل في وجداني، إلى من كان رمزاً للكفاح والنجاح ومن كان قدوتي ومنار دربي ونبراس حياتي إلى روح والدي العزيز تغمده الله برحمته ورزقه الجنة.

إلى من تحملا عبء رعايتي ونالا مكانة الأبوة ووقفا إلى جانبي في السراء والضراء، أخوي العزيزين (محمد عبد الباسط وناجي سفيان)

إلى كل إخوتي وزوجاتهم وأولادهم

إلى أخواتي وأزواجهن وأولادهم

إلى من استطاعوا أن يدخلوا قلبي بكل سهولة، وأن يتربعوا عليه دون استئذان ونالوا مكانة الأخوة، لوقوفهم إلى جانبي (أصدقائي) كل باسمه.

والحب
والتقدير إلى كل من له فضل علي

ياسين خروبي

شكر وعرفان

يا ربي لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

قال تعالى: (ولئن شكرتم لأزيدنكم) أشكر المولى عز وجل أن مَنَّ علينا و وفقنا لإتمام هذا العمل وأرجوا أن يتقبله منا صدقة جارية خالصة.

ثم أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ المشرف عبد الحميد هيمة، والذي من خلال هذا البحث اكتشفت جانباً من إنسانيته فوجدته أباً رحيماً وأستاذاً متفانياً وباحثاً ملماً متواضعاً، فأسأل الله أن ينعم عليه بالصحة وبدوام العافية، وطول العمر ليستمر عطائه للأجيال القادمة.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة في قسم اللغة والأدب العربي جامعة قاصدي مرباح، والذين أناروا لنا درب العلم والمعرفة طوال فترة الللسانس وصولاً إلى الدراسات العليا، متمنياً لهم التوفيق في مسارهم العلمي والتعليمي، والمزيد من التوفيق والنجاح.

كما لا يفوتني أن أنحني إجلالً وتقديراً أمام جنود الخفاء، فلولاهم ما كان هذا البحث ليبلغ نهايته، وهم موظفي المكتبات التي زرتها في الكثير من جامعات الوطن وبالأخص موظفي مكتبة و قسم اللغة والأدب العربي جامعة قاصدي مرباح بورقلة، فلهم مني ألف شكر.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في بحثي هذا وقدم لي يد العون من قريب أو بعيد.

ياسين خروبي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عرفت الدراسات المصطلحية في العقدين الأخيرين من العصر الحديث إقبالاً واهتماماً من قبل الباحثين في مختلف المجالات والعلوم، ومرد هذا الاهتمام والرواج لهذا النوع من الدراسات؛ ما وجد من ارتباط وثيق بين الفهم الواعي والعلمي الدقيق لمختلف النصوص وبين الإلمام بما تكتنزه هذه الأخيرة من مصطلحات؛ فالمصطلح كان ولا يزال بمثابة الركيزة التي يتكئ عليها كل باحث جاد، له النية الصادقة في الولوج إلى غياهب المعارف والعلوم ساعياً لفك شفراتها وفهم المستغلق من مرجعياتها، ولهذا عد إغفال المصطلحات أو تخطيها في دراسة أي نص قفز على أسوار هذا الأخير، وإن كانت مفاتيح أبوابه في متناول أي دارس.

و هذا ما جعل من المصطلح ذا أهمية بالغة عند العلماء في مختلف العلوم والمجالات دون استثناء، بما في ذلك علوم اللغة؛ التي أعطت للمصطلح الأولوية من ناحية التدقيق والضبط في الاستعمال، ولا نستغرب إن كان للمصطلح هذه الأهمية، إذ هو اللغة المشتركة بين المتخصصين في حقول المعرفة المختلفة وهو أبرز مرتكزات التحليل العلمي الهادف.

ولأن كتب التراث وبالخصوص المؤلفات التي تنوعت في أصناف العلوم العربية وعلى رأسها ما ألف في النقد الأدبي القديم؛ كانت ولا تزال تجتذبنا وتستهوينا منذ فترة الليسانس فلما أتيحت لنا هذه الفرصة سعينا للبحث وإعادة النظر في المبادئ والقيم في عينة من هذا التراث بما يتناسب مع مفهوماتنا الحديثة للنقد الأدبي، وهذا بعد أن تم تجاوز حركة إحياء التراث ونشره، إلى مرحلة تقييمه، واستخلاص مصطلحاته وإبراز القيم الإيجابية فيه، والتي لا تزال فاعلة في حياتنا الثقافية المعاصرة.

من هذا المنطلق تكونت عندي فكرة هذه الدراسة التي تنقب عن المصطلح النقدي والبلاغي في عينة من تراثنا النقدي، فكان كتاب(الوساطة بين المتنبي وخصومه) لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ميداناً لبحثي ذلك أن هذا الكتاب بالإضافة إلى ما

يزخر به من مصطلحات يعد من أهم كتب النقد التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وترجع هذه الأهمية لارتباط موضوعه بشاعر عدى من أكبر شعراء ذلك القرن بل إنه أكبرهم من دون منازع وأبعدهم ذكراً وأذيعهم شهرة.

كما أن مؤلف هذا الكتاب كان متميزاً وموضوعياً فيما ناقشه من قضايا نقدية و فيما استعمله من مصطلحات، والتي تفرد في استعمالها وتميز في توظيفها -إلى حد ما- عن أسلافه من النقاد والدارسين، متأثراً بما اشتهر به من فقه في علوم الدين وتفسير للقرآن وإلمام بقدر هام من علوم اللغة، ومنطلقاً من منهج علمي موضوعي خطه في تأليف كتابه وهذا ما انعكس بشكل وضحاً على ما استعمله من مصطلحات.

كما أنه من خلال ما استعمله القاضي الجرجاني من مصطلحات حاولنا إبراز جهوده وفكره النقدي وإظهار نقاط تميزه عن غيره، والتعرف على الموقف النقدي أو المذاهب التي ينطلق منها والمؤثرات والمرجعيات التي أسهمت في توجيه استعماله لهذه المصطلحات وطريقة توظيفه لها، كما حاولنا من خلال دراسة المصطلح عند القاضي الجرجاني الوصول إلى معرفة مدى وعي النقاد العرب القدامى بالمصطلح النقدي، سواء كان ذلك من خلال تحديدهم لمفهومه، أو إدراك أهميته على مستوى التصور النظري له في مناهجهم النقدية.

وهو عمل يستحق -حسب رأينا- ما يبذل من جهد في سبيله، فالدرر في أعماق البحار تغري عاشقيها بالمغامرة و كتاب الوساطة طافح بالدرر واللآلي، أفلا يستثير فينا روح المغامرة ؟.

ومع هذا لم يكن عملنا في هذا البحث سهلاً ميسراً فقد واجهتنا بعض الصعوبات، فرضتها طبيعة المادة التي يتضمنها كتاب الوساطة، والذي طغت عليه إلى حد ما الشواهد الشعرية مقارنة بما يعقبها من تعليقات موجزة يصعب من خلالها تحديد المصطلحات المبعثرة في طيات الكتاب، كما انه وفي حدود ما اطلعنا عليه من الدراسات لم نجد دراسة حول مصطلحات مدونة من تراثنا النقدي، تم فيها التحديد الدقيق لمرات ورود كل مصطلح ومشتقاته، وإن شكل هذا عقبة، لعدم وجود نموذج نقتدي به من جهة، فقد كان حافزاً ليكون لنا السبق في هذا من جهة أخرى، ضف إلى هذا أن القاضي كثيرا ما يذكر مجموعة من

المصطلحات متتالية لتقاربها في المعنى ويمثل لها بنفس الشاهد، ولأننا نتعامل مع كل مصطلح مستقل عن غيره ، فقد خلق لنا هذا مشكلة تكرار الشواهد والنصوص التي جاءت مشتركة بين أكثر من مصطلح، وقد حاولنا قدر المستطاع تجاوز هذا إلا ما ندر، واستنجدنا في هذا البحث بمراجع كثيرة، شملت حقول معرفية متنوعة، فامتدّت قراءاتنا من بعض كتب التراث العتيقة إلى الكتب المعاصرة، حازت فيها معاجم المصطلحات على قدر كبير من وقتنا في المطالعة بالإضافة إلى رسائل جامعية ودوريات ومجلات، لاستخلاص ما يلزم بحثنا منها، و شكل هذا عقبة أخرى، فكثرة المراجع تطلب منا وقتاً طويلاً للإطلاع عليها.

و القسم الأول من هذا البحث تكونت عندي فكرته من خلال اطلاعي على كتاب **(القاضي الجرجاني الأديب الناقد)** للدكتور محمد السمرة، وكتاب عبد العزيز قلقيلة**(القاضي الجرجاني والنقد الأدبي)**، وكذالك دراسة للدكتور مالكية بلقاسم بعنوان **(مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني)** والمنشورة في مجلة الأثر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، بينما كان كتابا الدكتور احمد مطلوب **(معجم المصطلحات البلاغية وتطورها)** و**(معجم النقد العربي القديم)**، وكتاب الدكتور بدوي طبانة،**(معجم البلاغة العربية)**، وكتاب الدكتور محمد عزام **(المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي)** منطلقاً في دراسة المصطلحات، وتحديد مفاهيمها، ضف إلى هذا إطلاعي على رسالة اهتمت بهذا النوع من الدراسة للدكتور الشاهد البوشيخي والمسماة **(مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ)**،

أما منهج البحث فقد فرضته علينا اعتبارات عدة أهمها:

أن كتاب الوساطة غني بالشواهد الشعرية والمختارات النثرية والتي إذا ما حذفت يكاد أن يكون كله مصطلحات، ولأن هذه الدراسة مصطلحية، والهدف هو الكشف عن المعاني العامة لجملة من المصطلحات، مع الوصف لأشكال ورودها، فقد كان لزاماً اتباع منهج خاص في الدراسة وهو المنهج الوصفي مع تدعيمه بآليات وأدوات إجرائية، تسهم في إيصالنا إلى الغاية المبتغاة، ومن هذه الإجراءات؛ الإحصاء والتحليل. وعليه فقد انطلقنا في دراستنا من إحصاء كل الصفحات التي ورد بها مصطلح ما في كتاب الوساطة مع ما يتبعه من اشتقاقات شرط أن يكون لها الجذر نفسه، هذا لإحصاء يكون بتحديد عدد مرات ورود

كل مصطلح أو أحد مشتقاته إحصاءً دقيقاً، فلا نهمل أي شكل من أشكال ورود المصطلح، ثم دراسة ما وقع عليه الاختيار من المصطلحات، بالمعاجم اللغوية و الاصطلاحية، شرط أن تكون دراسة مفاهيم تلك المصطلحات داخل النصوص المحصاة، ومن هنا يمكن استنباط خصائصها وصفاتها ومفاهيمها و علاقاتها وأنواعها وحتى قضياها التي قد يثيرها القاضي.

وقد اشتمل البحث على بابين، مسبوقين بمقدمة وتمهيد.

التمهيد: تضمن دراسة موجزة تتبعنا فيها أهم المراحل التي مر بها النقد العربي بدأً من العصر الجاهلي ومروراً بالعصر الإسلامي و الأموي، وصولاً إلى العصر العباسي بفتراته المختلفة، وانتهاءً بالقرن الرابع الهجري الذي ألف فيه كتاب الوساطة.

الباب الأول: تحت عنوان القاضي الجرجاني وفكره النقدي تضمن دراسة انقسمت إلى فصلين، اشتمل **الفصل الأول** والمعنون بالقاضي الجرجاني وكتابه الوساطة على ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول لمحة عن حياة القاضي واستفسرنا في المبحث الثاني عن سر العلاقة التي تربطه بالصاحب بن عباد فيما ضمنا المبحث الثالث دوافع تأليف القاضي لكتاب الوساطة والخلاف حول تسميته وأهم المصادر التي اعتمدها القاضي في تأليفه.فيما اشتمل **الفصل الثاني**: والمسمى قضايا الفكر النقدي وقيمه في الوساطة على مبحثين سلطنا الضوء في المبحث الأول على أهم القضايا النقدية التي تضمنها الكتاب، وتناول المبحث الثاني أسس الفكر النقدي عند القاضي وقيمه التي اشتمل عليها كتابه.

الباب الثاني: كان حول المصطلح النقدي والبلاغي اشتمل على مدخل وفصلين ضمنا **الفصل الأول** معجم لأهم المصطلحات في الوساطة. فيما خلصنا في **الفصل الثاني** لأهم المرجعيات الفكرية التي أسهمت في تكوين هذه المصطلحات؛ من خلال ما عرضناه في ثلاثة مباحث؛ والتي تضمنها هذا الفصل.

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا الدراسة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر والامتنان، مرفقان بالتقدير والعرفان لمن أفزع إليه كلما ضاقت بي السبل الأستاذ المشرف: عبد الحميد هيمة، الذي كان سنداً وناصحاً ومرشداً وموجهاً في هذا البحث؛ والذي دفعني بكثرة احتفائه ودعمه المتواصل إلى بذل قصار جهدي ليخرج هذا البحث في الصورة التي انتهى إليها.

كما لا يفوتني في هذا الباب أن أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة قاصدي مرباح و إلى كل من تكرم بتوجيهي وتشجيعي ومدي بالمراجع.

ورقلـــة فـــي:
2011/10/08

المبحث الأول: حياة القاضي الجرجاني

على الرغم من كثرةِ التراجم التي تؤرخ لحياة القاضي الجرجاني، إلا أن أغلبها تضمن قدراً قليلاً من الأخبار والمعلومات عن هذا العلم، ويعد هذا إجحافاً في حق القاضي إذا ما قورنت هذه التراجم مع المكانة والشهرة التي كان يتبوؤها، وربما كانت«أوفى ترجمة له نجدها في" يتيمة الدهر" لأبي منصور الثعالبي، ثم في معجم الأدباء لياقوت الحموي الذي اعتمد اعتماداً كبيراً عليه-على اليتيمة-. وكل من ترجم له غيرهما، فإنه عالة عليهما ومن هؤلاء نعرف: تقي الدين السبكي صاحب" طبقات الشافعية الكبرى" وابن خلكان في " وفيات الأعيان"، وابن العماد في" شذرات الذهب"...»[1].

فأثرنا قبل الخوض في هذه الدراسة أن نعرج على النواحي الأهم في حياة القاضي الجرجاني انطلاقاً من بيئته و مصادر علمه وأشعاره واشتغاله بالقضاء، فاسمه« علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، قاضي الري في أيام الصاحب ابن عباد وكان أديباً أريباً كاملاً»[2]، ولا خلاف بين المؤرخين في اسم القاضي الجرجاني، ولا في اسم أبيه، ولا في نسبته إلى مسقط رأسه جرجان، وقد كناه احمد بن يحيى(ت840هـ) بأبي الحسين، ورد هذه الكنية أحد الباحثين لكون المكنى متأخراً زمناً، ومتفرداً بها فضلاً عن القرب في الكتابة بين الحسن والحسين[3].

ولا تحدد التراجم تاريخ ولادته، ولكن أغلبها يتفق على أنه« ورد نيسابور سنة 337هـ مع أخيه أبي بكر وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر وأبو الحسن قد ناهز الحلم فسمعا معاً الحديث الكبير ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا»[4]،واختلف المؤرخون في تاريخ وفاته فذكر البعض أنه توفي« سنة ست وستين وثلثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعين سنة»[5]وهذا

---

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط2،1979م ص87

[2]- معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، اعتنى بنسخه وتصحيحه: د.س. مرجليوث، مطبعة هندية بالموسكي بمصر(د.ط)(د.ت) ج5ص249

[3]- ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، رسالة ماجستير، إعداد: عصام كاظم، جامعة بغداد 2005م ص5

[4]- معجم الأدباء، ج5ص249

[5]- وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،(د.ط)،1970م، ج3ص281

ما نجده على غلاف كتاب الوساطة لمحققه محمد عارف الزين والذي كتب على غلافه الخارجي (الوساطة بين المتنبي وخصومه كتاب أدب ونقد ونقد لمؤلفه أبو الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني المتوفى سنة 366هـ).

بينما نجد من المحدثين من يميل إلى أن القاضي ولد(سنة290هـ وتوفي سنة 366هـ) وعلى رأسهم سلام محمد زغلول في كتابه تاريخ النقد الأدبي والبلاغة[1]، غير أن هذا التحديد لا يستند إلى أدلة، أو روايات موثقة، بل ينطلق مما وجد من اتفاق في بعض وجهات النظر النقدية وفي طريقة عرض ومناقشة بعض الموضوعات مع الآمدي، فاعتبر القاضي الجرجاني معاصراً له. وما يفند هذا الرأي أن القاضي يمكن أن يكون قد اطلع على كتاب الموازنة بعد وفاة الآمدي واستفاد من أفكاره وأسلوبه دون أن يعاصره.

فيما تجمع أغلب الآراء وهو المرجح أنه « مات بالري يوم الثلاثاء لست باقين من ذي الحجة سنة 392هـ... وحمل تابوته إلى جرجان* فدفن بها وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي بن القاسم وزير مجد الدولة وأبو الفضل العارض راجلين ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن احمد الديلمي فاستدعي من قزوين وولي قضاء القضاة بالري»[2].

ولم تطلعنا كتب التراجم عن شيوخ القاضي ولا عن تلاميذه، إلا ما أشار إليه ياقوت الحموي، من أن « الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه»[3]، وهناك من يعتبر هذا الكلام خالي من الدقة مستنداً إلى كون الفارق بين وفاة القاضي الجرجاني ووفاة عبد القاهر الجرجاني كبيراً جداً[4].

وقد لقبه الثعالبي* بالخضر، لكثرة التطوف في البلدان، بين فارس والعراق والشام، ولعل

---

[1]- ينظر: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، سلام محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية(د.ط) 1982م ص356

*جُرْجانُ: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان...أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ينظر: معجم البلدان، دار صادر، بيروت(د.ط) (د.ت)، ج2ص119

[2]- معجم الأدباء، ج5ص249

[3]- المرجع نفسه، ج5ص249

[4]- ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة، ص6

*ولد سنة350هـ وتوفي سنة429هـ، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، قيل له ذلك لأنه كان فراء، ينظر: وفيات الأعيان، ج3ص180

القاضي استفاد من كثرة الترحال بأن « اقتبس مــن أنواع العـلوم والآداب ما صار بـه فـــي العلوم عَلماً، وفي الكمال عالماً »[1]؛ والخريطة التالية[2]، توضح رحلات القاضي والبيئات التي عاش فيها، وأثرت في توجيه فكره نتيجة لمخالطته علمائها وتأثره بثقافاتها.

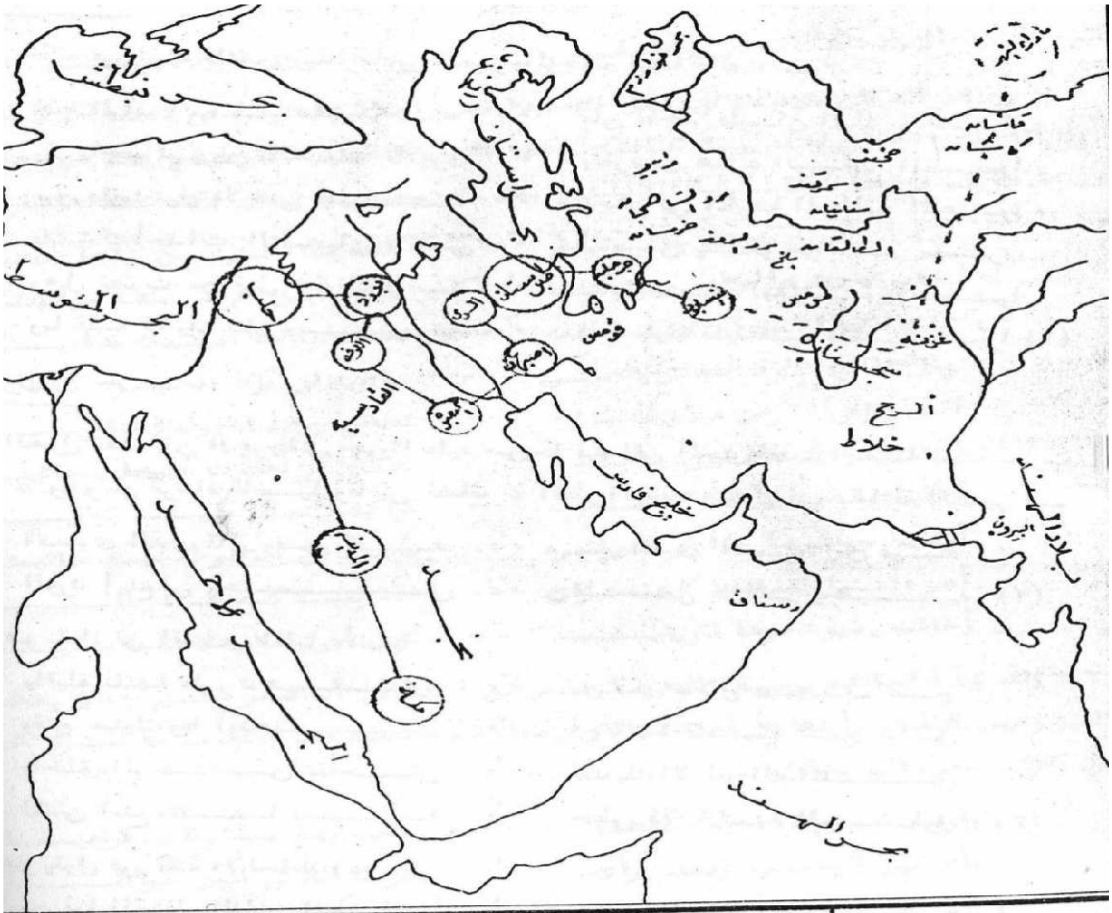

بيئات القاضي الجرجاني ورحلاته

وهذا الترحال أثر على شخصية القاضي لتكون متميزة بين رجال عصره، فجاء عنه في اليتيمة أنه « حسنة جرجان وفرد الزمان ونادرة الفلك وإنسان حدقة العلم ودرة تاج الأدب، و فارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري، وينظم حق الإتقان والإحسان في كل ما يتعطاه»[3]،وعنه يقول بعض المحدثين« كـان لـه شأن في الفقه

[1]- معجم الأدباء، ج5ص249

[2]- ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص76

[3]- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط1، 1983م، ج4ص3

والتفسير، والتاريخ، وهو إلى ذلك شاعر متمكن ومترسِّل مرموق، وناقد مبرِّز »[1].

كما يظهر هذا التميز من خلال أسلوبه الفريد في عصره: فهو بعيد عن التكلف، ودقيق في التعبير، ومنطقي التفكير، لا أثر لالتزام السجع، ولا للمبالغة فيه، وفيه مزاوجة ذكية وإيقاع عذب[2].

ولم يصلنا من مؤلفات الجرجاني القليلة، إلا كتاب الوساطة فيما ضاعت بقية المؤلفات التي ذكر بعضها ياقوت الحموي، بقوله إن: « للقاضي عدة تصانيف منها تفسير القرآن المجيد. كتاب تهذيب التاريخ. كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه»[3]، وبالإضافة إلى هذه المؤلفات ذكر له كتاباً في الوكالة فيه أربعة آلاف مسألة، وله كتاب الأنساب الذي ذكر **(برو كلمان)** أن ابن خلدون انتفع به في تاريخه، كما أن له رسائل مدونة[4].

و يعد القاضي الجرجاني شاعراً متمكناً من فنون الشعر وأغراضه، خلف ديوان شعر« يجمع بين العذوبة والجزالة، وتترقرق فيه شمائله السَّمحة الرضية، ونفسه الكريمة الأبية»[5].

ومن روائع ما قال:[6]

يقولون لي: فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهمٌ هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرمَا
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ... من الذم، أعتد الصيانة مغنما
إذا قيل هذا مشرب، قلت: قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل أهل الأرض أرضاه منعمَا
ولم أقض حق العلم أن كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلّمَا
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدُم من لقيت، لمن لأخدَمَا
أأشقى به غرساً، وأجنيه ذلةّ؟! ... إذن فابتياع الجهل قد كان أحزمَا
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوس تعظّما

1- التفكير النقدي عند العرب، عيسى العاكوب، دار الفكر، سوريا، ط1، 2006م، ص265
2- ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص89
3- معجم الأدباء، ج5ص251
4- ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص88
5- التفكير النقدي عند العرب، ص256
6- معجم الأدباء، ج5ص250

ولــكــن أهـــانوه فـــهانوا ودنســوا محياه بالأطماع حتى تجهمـا

فهذه الأبيات تكشف، عن شخصية القاضي الذي يميل بنفسه إلى الوحدة وتجنب مخالطة الناس، وهذا النفور والعزلة على الناس؛ وجد عنه القاضي بديلاً ترتاح له نفسه ويطمئن له باله، وهو الإنكباب عن قراءة الكتب، فيقول:[1]

مـا تطعمتُ لـذةَ العيش حـتـى صِرْتُ للبيت والكتاب جليساً
ليس شيء أعزّ عندي من العـ ـلم فـلم ابتغي سواه جليساً؟
إنما الـذل في مخالـطة الناس فـدَعهُم وعـش عـزيزاً رئيساً

كما أن القاضي لم يقتصر في شعره على غرض معين، بل نظم في كل الأغراض فنجد أن « شعره كثير وطريقه فيه سهل»[2]، فنظم في الوصف والغزل والمدح والحنين وغيرها من الأغراض، وفي كل أشعاره نلمس مدى نبله وعزوفه عن التذلل لأصحاب المراكز وترفعه عن التفاهات التي شاعت في عصره:[3]

وَقَالُوا: اضْطَرِب فِي الأرضِ، فالرِزقٌ وَاسِعُ فَقلتُ: ولَكِن مَطلَبُ الرِزقِ ضَيْقُ
إذَا لَم يَكُـن فِي الأرضِ حرٌ يُعِينُنِي ولـَم يـَك لِـي كَسْبُ، فَمِـن أَينَ أُرزَقُ

ونرى في مجمل أشعاره كيف يثور على زينة الحياة الدنـيا سخطاً على مـا يصحبها مـن مواقف الهوان، فلينظر كيف يعتذر من انقباضه عن أخويه، وكيف يلمح برفق ولطف وكيف انس بالوحدة والوحشة هرباً من مواقع الظنون، وكيف جعل نفوره من الناس سجية فطر عليها[4].

وبالإضافة إلى كون القاضي فقيها وأديباً وشاعراً... فقد كان قاضياً تولى القضاء فَحُمِدَ فيه، واشتهر به حتى لقب بالقاضي، واشتغاله بالقضاء وكثرة تعامله مع أطرافه؛ سواءً كانوا أطراف الخصومة أو رجال القضاء مثله، كان له التأثير الإيجابي على الجرجاني، إذ مكنه من أن يختط منهجاً جديد في الأدب العربي عامة والنقد بالخصوص، تمكن من خـلاله أن يتعرض لأهم القضايا التي أثارها أسلافه النقاد، بطريقة مخالفة للمعتاد متميزة عن المعهود في كتب النقد

---

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص100

[2]- وفيات الأعيان، ص280

[3]- المرجع نفسه، ص279

[4]- ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة، ص9

المبحث الثاني:علاقة القاضي الجرجاني بالصاحب بن عباد

لما وجدنا أن ذكر اسم القاضي الجرجاني في أغلب التراجم التي اطلعنا عليها من التراث وحتى الكتب الحديثة؛ غالباً ما يكون لصيقاً أو مرادفاً لاسم الصاحب بن عباد* ارتأينا أن نفصل في هذه العلاقة التي تربط بين الرجلين، وهذا الطرح فرضته علينا أمور تتعلق بهذه الدراسة، فقد وجدنا أن الجرجاني ما كان ليشتهر وتذيع أخباره بين الناس؛ لولا توليه القضاء في الري، وتوليه القضاء كان الفضل فيه بنسبة كبيرة للصاحب بن عباد، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الكثير من الدارسين يجعلون من السبب الرئيس لتأليف القاضي لكتاب الوساطة ـ بالإضافة إلى أسباب أخرى ـ هو الرد على رسالة الصاحب بن عباد (الكشف عن مساوئ المتنبي).

فقد كان فضل الصاحب بن عباد كبيراً على القاضي الجرجاني، ولم يكن القاضي جاحداً لهذا التفضل، إذ لم يترك مناسبة إلا وذكر فيها الصاحب وهذا ما تكشف عنه أشعاره التي خصص جزءاً كبيراً منها لصديقه الصاحب.

فبعد العوز والنقص في المال والحاجة التي عاشها عبد العزيز الجرجاني، لأنه ترفع عن استجداء المال من السلاطين والأمراء وأولياء الأمور؛ عكس ما فعل بعض علماء عصره الذين قبلوا الذل والهوان طمعاً في نيل الرضى وحفنة من المال، فظل هذا التعفف وعزة النفس سمة لازمت شخصية القاضي طول حياته، ومع هذا لم يفقد الأمل في أن يأتي صاحب سلطان، يعرف قدر العلماء ويعطيهم حقهم.

ولم يطل الأمر حتى تحقق هذا الأمل« في شخص الصاحب بن عباد، الذي سمع بذكره ونقل له أدبه، فدعاه إليه. وهنا بدأت في حياة أبي الحسن صفحة جديدة احتفظت بكل خصائص الحياة الأولى ما عدا الشكوى من الزمان، لأنه في خدمة الصاحب حصل على ما يكفيه من المال، ووجد عنده ما تمناه من إكرام وإعزاز للعلم والعلماء»[1].

فكان أول ما وَلاَّهُ الصاحب من أعمال أن جعله قاضياً عن بلدته، ثم أراد أن يحتفظ به إلى جواره، فعينه قاضياً للقضاة في الري وبقي في هذا المنصب ـ حتى بعد وفات الصاحب ـ ويجمع الذين ترجموا له أنه كان قاضياً نزيهاً حكيماً، ولا يزيدون على ذلك[2].

---

*كان مولده في ذي القعدة سنة 326هـ، ووفاته في صفر 385هـ، ينظر: معجم الأدباء،ج1ص274

1–القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص101

2–ينظر: المرجع نفسه، ص101

فكانت الأشعار هي السبيل الوحيد للقاضي ليبدي امتنانه وشكره لصديقه عن ما انعم عليه به، فله في الصاحب بن عباد:[1]

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بإفراد المعاني والفت خواطرك الألفاظ بعد شرداها
وان نحن حاولنا اختراع بديعة حصلنا على مسروقها ومعادها

وله فيه قصيدة يهنئه فيها بالبرء من المرض:[2]

بك الدهر يبدي ظله ويطيب ويقلع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أفي كل يوم للمكارم روعة لها في قلوب المكرمات وجيب
تقسمت العلياء جسمك كله فمن أين فيه للسقام نصيب
إذا ألمت نفس الوزير تألمت لها أنفس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ولكن في المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت وعما قليل تبتدي فتَصُوب

وإن كانت هذه المشاعر، فيضاً مما يكنه القاضي للصاحب من حب وتقدير، فقد كان الصاحب بن عباد يبادل القاضي هذه المشاعر؛ حتى أنه لا يطيق على فراقه، وعن هذا حدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي فقال: « سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذين البيتين:

يا أيها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقة
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقه»[3]

فكان ما يلقاه القاضي من حفاوة في الاستقبال وإكرام في الضيافة عند قدومه للصاحب بجرجان، أكثر مما يلقاه في سائر البلاد، مما جعل القاضي يستعفي الصاحب من فرط

---

[1]- معجم الأدباء، ج5ص257

[2]- وفيات الأعيان، ج3ص280

[3]- معجم الأدباء، ج5ص251-252 وينظر: يتيمة الدهر، ج3ص236

احتفائه به وتواضعه له، فرد عليه ابن عباد بقوله:[1]

أكرم أخاك بأرض مولده وأمده من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس وأعزه ما نيل في الوطن

وهذا يجعلنا نتساءل عن شخصية الصاحب التي فرضت نفسها بين كبار العلماء وأصحاب السلطات في عصره، فهو« أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد ابن إدريس الطالقاني؛ كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي صاحب كتاب "المجمل" في اللغة، وأخذ عن أبو الفضل ابن العميد، وغيرهما»[2]، هذا بعضٌ مما أورده ابن خلكان عن شخصية ابن عباد، وهي شهادة له بالمكانة الرفيعة والاقتدار والتمكن في العلوم والشهرة بين علماء عصره، وربما هذا ما جعل ياقوت الحموي يفصل في ترجمته للصاحب بن عباد ويتوسع حتى فاقت عدد الصفحات التي خصصها له الستين(60) صفحة من الجزء الخامس (من الصفحة 273 إلى الصفحة 342) وهي من أكبر التراجم التي خصصها لعلم من الأعلام. ومرد هذا أن الصاحب بن عباد كان ذا فضلٍ على أهل العلم ممن عاصرهم وكان القاضي الجرجاني من بينهم، فقال عنه أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة « ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرد بالغايات في المحاسن، وجمع أشتات المفاخر،لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله و مساعيه، ولكني أقول: هو صدر المشرق، وتاريخ المجد، وغرة الزمان، وينبوع العدل والإحسان، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق»[3].

وبالإضافة لكون الصاحب وزيراً ذا سلطان ونفوذ، فقد كان عالماً وناقداً وأديباً متمكناً خلف العديد من التصنيفات منها « كتاب المحيط باللغة عشرة مجلدات. ديوان رسائل عشر مجلدات. كتاب الكافي رسائل. كتاب الزيدية. كتاب الأعياد وفضائل النوروز. كتاب الإمامة في تفضيل علي بن أبي طالب وتصحيح إمامة من تقدمه. كتاب الوزراء لطيف. كتاب

[1]- معجم الأدباء، ج5ص252
[2]- وفيات الأعيان، ج1ص228
[3]- يتيمة الدهر، ج3ص225 وينظر: وفيات الأعيان، ج1ص228

عنوان المعارف في التاريخ. كتاب الكشف عن مساوئ المتنبي...»[1].

فقد كتب الصاحب في أغلب الفنون والعلوم و المعارف، فمن اللغة والشعر إلى السياسة وخفايا الوزارات وصولاً إلى التاريخ وغير ذلك مما لا يتسع الحال لذكره، وربما ما يهمنا في هذا كله ما كتبه عن المتنبي في رسالة الكشف، والتي يجمع الكثير من المحدثين أنها كانت « وليدة حقد وتحامل على المتنبي لعامل شخصي أثار الناقد على الشاعر، ذلك أن المتنبي أعرض عن الصاحب ولم يلقه كما لقي ابن العميد، وكان يأمل أن ينزل المتنبي عليه ويقصده، فيمدحه بقصيدة، ولكن المتنبي ترفع عنه، فحمل له هذا في صدره، ونفس عن ذلك في رسالته هذه»[2].

ورسالة الكشف عبارة عن « رسالة صغيرة في الكشف عن مساوئ المتنبي(لا يتعدى عدد صفحاتها26 صفحة طبعة مكتبة القدس بالقاهرة 1346هـ) »[3]، صاغها الصاحب بن عباد بطريقة تمكنه من تتبع معايب المتنبي وشعره، فنجده لا يفوت فرصة إلا وحاول الحط من قدر المتنبي والإنقاص من قيمة أشعاره، فيجيب أحد أعوانه سأله عن المتنبي، بقوله: « إنه بعيد المرمى، وشعره كثير الإصابة في نظمه، إلا أنه ربما أتى بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء...وقد بلينا بزمن يكاد المنسم فيه يعلو الغارب، وبلينا بأغبياء أغمار قد اغتروا بممادح والجهال لا يضرعون لمن حلب الأدب أشطره، ولا سيما علم الشعر فهو فوق الثريا وهم تحت الثرى، وقد يوهمون أنهم يعرفون، فإذا تكلموا رأيت بهائم مرسنة، وأنعاماً مجلفة»[4].

وعلى الرغم من العلاقة الوثيقة بين الرجلين اختار القاضي في وساطته قول الحق والصراحة في إبداء الرأي من أجل أن ينصف المتنبي ويعيد الحق إلى نصابه، وهذا على الرغم من العلاقة التي جمعته بالصاحب بن عباد؛ الذي كتب رسالته المشهورة في تتبع سرقات المتنبي وهفواته، يقول محمود السمرة: « فإن تأليفه للوساطة يدل على خلق رفيع ونفس أبية، وإرادة حرة، دفعته إلى أن يقول ما يعتقد، وإن خالف ذلك رأي إنسان عزيز عليه

[1]- معجم الأدباء، ج1ص315-316 وينظر: يتيمة الدهر، ج3ص236

[2]- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص276

[3]- النقد المنهجي عند العرب، ص 219

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص276

في حياته ومماته»[1]، وهذا يدل على أن الجرجاني فضل قول الحق واختار الإنصاف على المجاملة، وهي جرأة تحسب له في هذا الموقف.

وربما كان حديثنا عن العلاقة التي تربط بين الرجلين، منفذاً لنا لمعرفة جانب آخر من شخصية القاضي الجرجاني، الذي يضع كل الأمور في ميزان العدل قبل إبداء الرأي فيها فنجده يضع علاقة الصداقة التي تربطه بالصاحب بن عباد جانباً، ليبدي رأيه في مسألة يرى أنه قادر ليس على إنصاف الطرف المظلوم فيه فحسب بل ربما إقناع الخصوم بوجهة نظره التي قد يكونوا قفلوا عليها.

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص112-113

المبحث الثالث: دوافع تأليف الكتاب وتسميته ومصادره

أولاً: دوافع تأليف الكتاب:

مع احتدام المخاصمات والمناقشات النقدية والأدبية، و بلوغ التفكير النقدي عند العرب أعلى درجات النضج والاكتمال « ظهر المتنبي حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، أتى بظاهرة جديدة كانت مصدر حيرة للذوق والنقد معاً؛ ذلك أن المتنبي شاعر يجمع بين القديم والمحدث، يأتي بالجزالة والبيان على خير ما كان يجيء به القدماء، ويغوص في معاني الحياة الإنسانية غوصاً بعيداً، يضاف إلي ذلك أنه كان يُضمن شعره فلسفة القرن الرابع واحتار النقاد أمام هذه الظاهرة الجديدة، وربما أدى ذلك إلى القضاء على الصراع الذي كان يدور حول القديم والمحدث»[1].

كما أن المتنبي عُرف بتعصبه للعرب، وكرهه للأعاجم من الروم والفرس وغيرهم، كما جمع في شعره بين الأسلوب العربي الرصين، وبين المعاني المتأثرة بالثقافة الفكرية في عصره، فكان من الطبيعي أن يرضى عنه أنصار الثقافة الجديدة، وأن يسخط عليه المتعصبون لغير العرب [2].

ولهذه الأسباب وغيرها أُلِفت العديد من الرسائل والكتب النقدية والأدبية، التي حاولت الإطاحة بأبي الطيب وإظهار مساوئ شعره، وفي مقدمتها (الرسالة الحاتمية في مآخذ المتنبي المعيبة) للحاتمي، والتي يبدو أن الحاتمي كتبها وهو في حالة انفعال وتحامل على المتنبي إذ يلحظ القارئ لرسالته أن روح الناقد الممزوجة بالغضب تبدو واضحة فيها[3]، وربما يرجع سبب هذا الغضب إلى كون المتنبي ترفع عن الحاتمي ولم يحسن استقباله عند زيارته له مما جعل الحاتمي يغتاظ ويحقد على المتنبي، كما نجد رسالة (الكشف عن مساوئ المتنبي) للصاحب ابن عباد وسبب تأليفها لا يختلف عن سبب تأليف الحاتمي لرسالته ضف إلى ما ذكرنا مؤلف آخر كان لابن وكيع التنيسي* بعنوان (المنصف في الدلالة على سرقات

---

[1]– قضايا النقد القديم، محمد صايل حمدان وآخرون، دار الأمل ، الأردن، ط1، 1990م، ص88

[2]–ينظر: النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص118

[3]– ينظر: قضايا النقد القديم، ص89

*أصله من بغداد ومولده بتنيس، كانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأول سنة393هـ، ووكيع لقب جده أبي بكر بن خلف، ينظر: وفيات الأعيان: ج2ص104 وص106–107وينظر: اليتيمة، ج1ص434

المتنبي) والذي تتبع فيه سرقات المتنبي« وقسمها إلى عشرين قسماً، منها عشرة وجوه تغتفر فيها السرقة لأنها تدل على الفطنة»[1]، وكتاب (التنبيه على رذائل المتنبي) لأحمد بن محمد الإفريقي المعروف بالمتيم[*]، كما اشتهر في تتبع سرقات المتنبي كتاب (الإبانة عن سرقات المتنبي) للعميدي » ولعل دافعه إلى كتابة رسالته، ما شعر به من إعجاب الناس في البيئة المصرية بالمتنبي، فقد أقر المعجبون بأبي الطيب أنه " أشعر شاعر" عرفته العربية... كما أن المتنبي أنكر أبا تمام والبحتري، وأنكر أنه سمع بهما، وهذا ما جعل العميدي يحاول الحط من قدره»[2].

وقد أثار هذا الزخم من المؤلفات التي تحاملت على المتنبي ورامت الحط من قدره، تياراً آخر من النقاد والمؤلفين لتبني وجهة نظر مخالفة لما ذكرناه، فظهرت مؤلفات تناولت شعر المتنبي بنظرة تميزت بالاعتدال و التوفيق بين التحامل والمدح، وعلى رأس هؤلاء نجد الثعالبي في كتابه(أبو الطيب ماله وما عليه) والقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) هذا الأخير-القاضي الجرجاني- استطاع في كتابه أن يقتص للمتنبي ويرد له قدراً مما حاول أعدائه أن يسلبوه، لكن الوسطية في الموقف التي اعتمدها القاضي أسلوباً في كتابه تجعلنا نتساءل عن الدوافع والأسباب الحقيقية التي دفعت القاضي لتأليف الوساطة؟ و عند البحث وجدنا أن أغلب الآراء حول دوافع القاضي لتأليف الوساطة يمكن أن تقسم إلى دافعين:

أولاً: الرد على رسالة الصاحب بن عباد:

تجمع أغلب التراجم التي تؤرخ لحياة القاضي الجرجاني أن سبب تأليفه لكتاب الوساطة هو الرد عن رسالة الوزير الصاحب بن عباد، ومن السباقين لهذا الرأي الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر، حين يؤكد أنه « لما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي عمل القاضي أبو الحسن كتابه(الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره)، فأحسن

---

[1]- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص281

[*]قال عنه الثعالبي: رأيته ببخاري شيخاً رث الهيئة تلوح عليه سيماء الحرقة، وكان يتطيب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها فالشعر. وله كتاب أشعار الندماء وكتاب الانتصار للمتنبي وغيرهما، ينظر: يتيمة الدهر:ج4ص 178 وينظر: معجم الأدباء،ج2ص80

[2]- قضايا النقد القديم، ص95

وأبدع وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبحره في الأدب وعلوم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح وطار في البلاد من غير جناح...»[1]. مما يعني أن الوساطة جاءت رداً على رسالة ابن عباد، وإلى مثل هذا ذهب ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء، حين يورد قول الثعالبي الذي ذكرناه[2].

وحديثاً ساند هذا الرأي الكثير من النقاد، فنجد طه إبراهيم يذكر في ثنايا حديثه عن النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع للهجرة، أن سبب تأليف القاضي للوساطة هو الرد على الصاحب بن عباد ورسالته معتبراً أن « أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، قاضي الرَّي في أيام الصاحب بن عباد... كان شاعراً من المجدين، وكاتباً فحلاً...وهو صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، ألفه تعقيباً على رسالة الصاحب ليحكم في قضية أبي الطيب بالعدل، ولذكر ماله وما عليه»[3].

<u>ثانياً</u>: طبيعة شخصية القاضي:

إن طبيعة شخصية القاضي المتشبعة بالقضاء، كانت دافعاً فرض نفسه على الجرجاني انطلاقاً من الجو النقدي السائد في عصره، والذي سادت فيه خصومات نقدية حول مجموعة من الشعراء كان المتنبي من أبرز هذه الشخصيات التي دار حولها قدراً كبيراً من الجدل بين مادحٍ وذام، وهنا ظهر القاضي بشخصيته الوسطية التي تميل إلى الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه، فيقول مصطفى عبد الرحمن « أن القاضي أنس من نفسه استعداداً ليدلي برأيه فيما نشب من خصومة بين المتعصبين للمتنبي(أمثال الصابي، والضبي، وأبي بكر الخوارزمي وابن جني) والمتعصبين عليه(أمثال الصاحب والحاتمي، وأبي هلال العسكري) ويقول كلمة حق في مسألة هو متمكن منها، محيط بأبعادها ملم بأقطارها»[4].

وهذا يتفق إلى حد كبير مع رأى محمد السمرة حين يقلل من أهمية رسالة الصاحب في دفع القاضي لتأليف الوساطة إذ يعتبر أن« الحياة النقدية في العصر كانت تدفع أبا الحسن

---

[1]- يتيمة الدهر، ج4ص4-5

[2]-ينظر: معجم الأدباء، ج5ص254

[3]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ص144

[4]- في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص167

إلى تأليف كتابه، ولم يكن كتاب الصاحب سوى حافز من حوافز عدة...»[1].

وهذا ما أشار إليه عيسى العاكوب عندما اعتبر أن القاضي « قصد من تأليفه أن ينصف هذا الشاعر فيلحقه بطبقته من المحدثين كبشار وأبي نواس وأبي تمام، وهو على هذا النحو لا يكون من صف أشياع المتنبي الذين فضلوا شعره على أشعار معاصريه جميعاً، ولا من صف مبغضيه الذين لم يروا له حسنة البتة...»[2].

وليس ببعيد عن ما قلناه عندما نجد من يرفض الفكرة التي تعتبر أن رسالة الكشف هي السبب الوحيد والمباشر في دفع القاضي لتأليف الوساطة » فلم يؤلف الجرجاني وساطته لما كتب الصاحب رسالته بل لم تكن رسالة الصاحب هي القشة التي قصمت ظهر البعير وأفرطت حمله »[3]، فالقاضي لم يكن متوجهاً بكتابه إلى صديقه الصاحب بن عباد، والدليل ما يذكره عبد العزيز قلقيلة في كتابه(القاضي الجرجاني والنقد الأدبي)* حين يؤكد ضآلة ما في كتاب الوساطة من رسالة الكشف فلم يشترك الجرجاني مع الصاحب إلا في ثلاثة عشر بيتاً من شعر المتنبي[4].

وربما تتفق الآراء في الدافع الثاني لتأليف القاضي للوساطة، حول إنصاف المتنبي بين شعراء عصره، و من المرجح أن صفة العدل والإنصاف ما كانت لتوجد في شخصية لم تمتهن القضاء وتعرف ألم الإحساس بالظلم وإلصاق التهم من غير حجج وبراهين، فكانت طبيعة شخصية عبد العزيز الجرجاني المتشبعة بالقضاء دافعاً له لتأليف الوساطة حسب رأيي.

وعموماً نستطيع القول أنه يكفينا أن نطلع على مقدمة كتاب الوساطة حتى نستشعر دوافع القاضي لتأليف الوساطة وهذا حين يقول: « ومازلت أرى أهل الأدب منذ أن ألحقتني الرغبة

---

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص111

[2]- التفكير النقدي عند العرب، ص267

[3]- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، عبدالعزيز قلقيلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (د.ط)، 1973م ص7

* أصل الكتاب رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير لجامعة القاهرة سنة 1964م بعنوان: القاضي علي عبد العزيز الجرجاني و النقد الأدبي من إعداد: عبده عبد العزيز قلقيلة، إشراف بدوي طبانة، نشرت بعنوان: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة1973، وبعنوان: النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني مكتبة الأنجلو المصرية ط1، القاهرة1976

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص121، وينظر: المسائل الصرفية والنحوية في الوساطة، ص13

بجملتهم، ووصلت العناية بيني وبينهم في أبي الطيب أحمد بن الحسن المتنبي فئتين: واحدة تطنب في تقريضه، وتلقى مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم، وأخرى تروم إزالته عن رتبته وتحاول الحط من منزلة بوأه إياها أدبه، لذا تجتهد في إخفاء فضائله وإظهار معايبه وتتبع سقطاته وإذاعة غفلاته، وكلا الفريقين ظلم له أو للأدب فيه...»[1].

ومع هذا ظلت العاصفة النقدية حول المتنبي قائمة، حتى بعد تأليف الوساطة رغم تمكن صاحبها لحد بعيد من إيجاد نقاط توافق بين طرفي الخصومة.

ثانياً: تسمية الكتاب ومصادره:

تناقلت التراجم التي أرخت لحياة القاضي الجرجاني بيتين مدح بهما عدد من أهل نيسابور القاضي الجرجاني وكتابه الوساطة، مما لم يترك مجالاً لشك حول نسبة هذا الكتاب للقاضي وفي البيتين قالوا:[2]

أيـا قاضياً قـد دنت كتبـه   وإن أصبحت داره شاحطة
كتاب الوساطة في حسنه   لعقد معـاليك كالواسطـة

كما يورد محمد عارف الزين في مقدمة تحقيقه لكتاب الوساطة، أبياتاً لعبد الله بن طلاع البغدادي يقول فيها:[3]

كـتاب الوسـاطة أخلق به   بـتبر عـلى فضـة يـكتب
رغـبت بـه حـين ألـفيته   نفيساً بـه ذو النـهى يرغــب
وأعـجبني حسـن تألـيفه   ومـا كـان من حسن يعـجب
حوى نكتاً من فنون البيا   ن عن فضل صاحبها تعرب
إذا عـــنَّ هـم فطالعته   أرى الهم عن خاطري يعزب
فأتـعبت نفسـي بتصحيحه   ومـثلي علـى مثلـه يتـعـب
وآلـيت مـا دمـت حياً بـأن   أكـون لـه دائــمـا أصــحـب

ورغم هذا الاتفاق حول نسبة كتاب الوساطة إلى القاضي الجرجاني؛ فقد حدث اختلاف بين

---

[1]- ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2006م ص12

[2]-معجم الأدباء، ج5ص251

[3]- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، عني بطبعه وتصحيحه: محمد عارف الزين، مطبعة العرفان صيدا 1331هـ، ص2(كلمة الناشر).

المؤرخين حول تسمية هذا الكتاب فذكر مصطفى بن عبد الله(حاجي خليفة) في كتابه(كشف الظنون) أن اسم الكتاب(الوساطة بين المتنبي وخصومه في نقد شعره)[1]، لكن الثعالبي في يتيمة الدهر يذكر أن تسميته(الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره)[2]، فيما ذكر إسماعيل باشا البغدادي في كتابه(هدية العارفين) أن للقاضي«... تهذيب التاريخ. ديوان شعر. كتاب الوكالة. الوساطة بين المتنبي وخصومه و نقد شعره»[3]. لكن سبق البعض من هؤلاء صاحب معجم الأدباء وذكر في ما ذكر من تصنيفات للقاضي الجرجاني أن له كتاب في النقد اسمه (الوساطة بين المتنبي وخصومه)[4]، ولا يختلف هذا عن ما قاله ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان عندما قال أن للقاضي« كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه»[5].

وقد أخطأ البعض فنجد من سماه(الوساطة بين المتنبي وأبي تمام) والسبب في هذا الخطأ أن بعض خصوم المتنبي كانوا يزعمون أنه ينكر أبا تمام ولا يعترف بشعره[6].

لكن يميل أغلب الدارسين إلى أن تسمية الكتاب هو (الوساطة بين المتنبي وخصومه) وهذا ما تكشف عنه أغلب الدراسات التي عالجت متن هذا الكتاب، أما في ما يخص« الزيادات التي أضافها الثعالبي وغيره زيادات مخصصة أو موضحة وهذه ليس مكانها عنوان الكتاب بل خطبته كما جرت بذلك عادة المؤلفين، لكن المؤرخين بعد أن قرؤوا مقدمة الوساطة، بل بعد أن قرؤوا الوساطة كلها، وعرفوا مضمونها أرادوا أن يحددوا مجال الخصومة وموقف الجرجاني منها بكلمة أو كلمتين مع المحافظة على الاسم الأصلي فأضافوا "في شعره" أو "في نقد شعره" أو"ونقد شعره" أو "ونقد الشعر"... »[7].

---

[1]- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، عنى به: محمد شرف الدين ورفعت بيلك الكليسي، دار إحياء التراث، بيروت لبنان(د.ط) (د.ت) ج2ص2006

[2]- ينظر: يتيمة الدهر، ج4ص4

[3]-هدية العارفين لأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف استانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ط)، 1951م ج1ص684

[4]- ينظر: معجم الأدباء، ج5ص251

[5]-ينظر: وفيات الأعيان، ج3ص280

[6]-ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص187

[7]- المرجع نفسه، ص 187-188 وينظر: المسائل الصرفية والنحوية في كتاب الوساطة، ص11

ولم ينتهي الخلاف عند عنوان الكتاب بل امتد إلى خلاف حول سنة تأليفه، والتي لم تحدد بدقة، فمن المحدثين من يؤخر سنة تأليف الوساطة إلى(385هـ)[1]، أي أن القاضي أنهى تأليف الوساطة قبل سبع سنوات من وفاته إذا ما اعتبرنا أنه توفي سنة(392هـ) فيكون قد تشبعت روحه وفكره بالقضاء لاشتغاله به لفترة طويلة، وكان هذا واضحاً كما يرى محمد مندور في الروح الغالبة على مادة الوساطة فهي » روح القاضي العادلة المتواضعة المثبتة في كل ما كتب، وهو الذي اشتغل بالقضاء طول حياته، فأشربت نفسه لغة الفقه التشريعي فضلا عن روحه ونزعته، فالناظر في أقواله لا شك يحس في نغماتها من تواضع لم نألفه في لغة الأدباء »[2]، وما يرجح هذا الرأي أن الجرجاني لم يذكر الصاحب إلا مرة واحدة كانت عند الاستشهاد ببيته عندما قال:

» وقول إسماعيل بن عباد:

غمائم هن فوق أرؤسنا عمائم لم يذلن بالخلق»[3].

مما جعل البعض يصر على أنه لم يؤلف الوساطة في حياة الصاحب ذلك أن« حياة الجرجاني التي انتهت إلى منصب قاضي القضاة، يغلب أن يكون انصرف صاحبها أولاً إلى علوم الدين والتأليف فيها مثل كتاب "الوكالة" و"التفسير" و"التاريخ" ليصل بذلك إلى أماله وليدعم مركزه العلمي والاجتماعي، حتى إذا اطمأن على ذلك بتوليه منصب قاضي القضاة بعد موت الصاحب تطلعت نفسه إلى إرضاء نزعاته الأدبية، وإشباع ميوله الفنية والاستجابة إلى هتاف روحه الشاعرة بإنصاف أبي الطيب»[4].

وصاحب هذا الرأي- القائل بتأليف الوساطة بعد(385هـ)- يورد أكثر من خمس أدلة أو إثباتات لتأكيد وجهة نظره، فبالإضافة إلى ما ذكرناه يعتبر أن القاضي قد تريث واطلع على كل ما ألفه أنصار المتنبي وخصومه بعد وفاته، واستوعب ما وصلنا وما لم يصلنا من أثار هذه المعارك الأدبية حول المتنبي؛ فتركها تختمر في عقله ثم انفعلت بها نفسه إذ رأى فيها جور عن الحق وبعداً عن العدل وإسراف في الخصومة وشططاً في النقد[5].

---

[1]–القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص227

[2]– النقد المنهجي عند العرب، ص253

[3]– الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، ص49

[4]– القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص229–228

[5]–ينظر: المرجع نفسه، ص228

ورأي محمد السمرة مخالف لما ذكرنا إذ يرى أن الجرجاني ألف وساطته « بعد وفاة المتنبي (354هـ)؛ لأن النيسابوري صاحب بيتي الشعر، يخاطبه بالقاضي، وهو لم يصر قاضياً إلا بعد سنة(366هـ) وهي السنة التي أصبح فيها الصاحب بن عباد وزيراً »[1].

ومن جهة أخرى يجمع أغلب الدارسين أن الجهد الذي بذله القاضي الجرجاني في تأليف كتابه، سعى من خلاله إلى تحقيق غاية وهي رد الظلم بالدفاع عن المتنبي وشعره، وجزء من المادة التي تضمنها كتابه، جمع شتاتها ممن سبقه في التأليف، خاصة ما تعلق بالمتنبي وما ثار حوله من حركة نقدية، وما نتج عنها من مؤلفات نقدية وبلاغية خاصة حول موضوع السرقات الشعرية، واستفادة القاضي من غيره ليس عيباً بل قد« أبان فيه عن فضل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة»[2]، وكما يقول بول فاليري: « لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة»[3]،ولعل أهم مصدر نهل منه القاضي هو كتاب (الموازنة بين الطائيين) والذي يعد منبعاً أساسياً استفاد منه القاضي الجرجاني في بناء مادة كتابه الوساطة، مما جعل إحسان عباس يؤكد » أن دين الجرجاني للآمدي كبير لأنه قد تمثل آراءه بحذق وذكاء دون أن يذكر الآمدي مرة واحدة»[4]. ولن نطيل التفصيل في هذا العنصر لأننا خصصنا له في آخر هذه الدراسة حيزاً للتوسع فيه.

وهكذا كان اتفاق وإجماع حول نسبة كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، وخلاف حول دوافع تأليفه و سنته، وحسبما طالعنا كان لمحمد السمرة وعبد العزيز قلقيلة الفضل الكبير من بين المحدثين الذين وضعوا مؤلفاً خاصاً حول هذا الكتاب وصاحبه، في حصر هذا الخلاف وتقريب وجهات النظر، وإعطاء فكرة أكثر وضوحاً عن مضمون هذا الكتاب وظروف تأليفه.

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، محمد السمرة، ص112
[2]- وفيات الأعيان، ج3ص281
[3]-الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار العودة ، بيروت، ط9، 1981م ص17
[4]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط4،2006 م ص ص314

المبحث الأول: أهم القضايا النقدية في الوساطة

عالج القاضي الجرجاني العديد من القضايا النقدية في كتابه الوساطة، قدم فيها أراء ووجهات نظر، كان في الكثير منها مخالفاً لسابقيه و معاصريه من النقاد.

وتطرقه لهذه القضايا لم يأت من فراغ، فقد جره إليها انقسام نقاد عصره في نظرتهم للمتنبي يقول:« إن خَصْم هذا الرجل فريقان»[1]، فريق يناصر الشاعر فيعجب بكل ما يقوله وفريق يتصيد أخطأه ويتغاضى عن حسناته، فقد كان المتنبي محور جدل، كما وصفه الثعالبي بقوله:« وقد ألفت الكتب في تفسيره، وحل مشكله وعويصه، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده و رديئه، وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه، وتفرقوا في مدحه والقدح فيه والنفح عنه، والتعصب له أو عليه»[2].

ولهذا يجمع الكثير من الدارسين على أن كتاب الوساطة من « أكثر الكتب اعتدالاً وأكثرها بعداً عن التعصب للشاعر أو عليه، والعنوان يمثل بحق الدراسة قلباً وقالباً، إذ أن المؤلف لم يبخسه حقه، ولم يحاول إنزاله من مكانته اللائقة به بين فحول الشعراء العربية عامة و المعاصرين له خاصة، كما أنه لم يدع له العصمة، فأثبت ما وقع فيه من عيوب وهنات، التي شأنه فيها شأن كل الشعراء المحدثين»[3]، فالاعتدال والوسطية سمة غالبة على كل ما يصدره الجرجاني من أحكام بل وتظهر حتى في تعليقاته وتعقيباته على بعض القضايا التي أثارها، فنجده يتعامل مع كل الشعراء على حد السواء فيقول: « فإن عثرت له من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان هفوة انتحل له عذرا صادقاً، أو رخصة سائغة فإن أعوز قيل: زلة عالم، وقلّ من خلا منها وأي الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً، ولم نسم به إذا أردنا حقيقة أحد وأي عالم سمعت به ولم يزل ويغلط! أو شاعر انتهي إليك ذكره لم يهف ولم يسقط! »[4].

وفي ما يلي نبحث في أبرز القضايا التي تناوله القاضي في الوساطة.

1- الوساطة، ص52

2 - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1ص190

3- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، أحسن مزدور، مكتبة الأدب، القاهرة ،ط2، 2008م ص176

4- الوساطة، ص13

أولاً: قضية السرقات الشعرية:

ما يتفق عليه الكثير من الدارسين، في حديثهم عن طريقة تناول القاضي الجرجاني لقضية السرقات الشعرية، أنه قد استفاد مما بدأه أسلافه في تناولهم لهذه القضية- خاصة الآمدي- والتي كانت مثار خلاف بين الشعراء والنقاد منذ العصر الجاهلي واستمر الحال إلى عصر تأليف القاضي لكتاب الوساطة؛ ولم تنتهي الكتابة عن هذا القضية حتى عصرنا الحالي، وإن تغيرت المفاهيم والمصطلحات مع مرور الزمن.

وإن كان من سبق القاضي في الحديث عن هذه القضية قد أطال وفصل، وأحاط بجوانب من هذا الموضوع، غير أن الباب ترك مفتوحاً لكل ناقد بصير له القدرة على الإضافة، فجاء القاضي الجرجاني و طور آراء سابقيه وأمعن التدقيق والتحليل فيها.

ويمكننا القول إن موضوع السرقات الشعرية قد شغل أكبر نسبة من صفحات الوساطة فمن (385صفحة) تضمنها كتاب الوساطة، حاز موضوع السرقات على (179صفحة) أي ما يعادل النصف تقريباً، كان لسرقات المتنبي منها الحصة الأكبر، إذ خصص لها القاضي (155صفحة) من مجموع الصفحات التي خصصها للسرقات.

وقبل حديثه عن سرقات المتنبي تطرق القاضي لما أدعي من سرقات في شعر البحتري وأبي نواس وأبي تمام، من خلال اطلاعه على ما ألفه أحمد بن عمار حول سرقات أبي تمام وتتبع بشر بن يحيى لسرقات البحتري و ما ادعاه المهلهل بن يموت على أبي نواس من سرقات، كما هو الحال عندما زعم أن قول أبي نواس:

إليك أبا العبّاس من بَيْنِ مَنْ مَشَى عليها امتطينا الحَضرَمِيَّ المُلَسَّنَا

مأخوذ من قول كثير:

لهم أُزُرُ حُمْرُ الحَواشي يَطَونَها بأقْدَامهم في الحَضْرَميّ المُلَسَّنِ[1].

وقد استشهد القاضي بالكثير من الأبيات التي زعم هؤلاء أنها مسروقة، فيما كان رأي القاضي مخالفاً لذلك كون أغلبها لا يتشابه لفظاً ولا معنىً، وإن« كان هذا سرقة فالكلام كله سرقة»[2]، فقد وجد القاضي أن الكثير ممن سبقوه يتهمون الشعراء بالسرقة دونما دليلٍ أو برهانٍ مقنع، وهذا ما دفعه ليعتبر أن السرقة« باب يحتاج إلى إنعام الفكر، وشدة البحث

[1]- ينظر: الوساطة، ص13
[2]- المصدر نفسه، ص 182

وحسن النظر، والتحرّز من الإقدام قبل التبين، والحكم إلا بعد الثقة، وقد يغمض حتى يخفى وقد يذهب منه الواضح الجلي على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدربا بالنقد...»[1].

و كشف السرقة حسب رأي القاضي ليس بالأمر اليسير السهل فهو أمر« دقيق وخفي بحيث لا يدركه إلا المتخصص المتعمق الذي يكون على صلة دائمة بالتراث»[2]، فالكثير من النقاد اكتفوا في تتبعهم بالظاهر من البيت الشعري فلم يخرجوا عن السرقات التي وجدوها في اللفظ و المعنى، فيما نبه الجرجاني إلى نتيجة نظنها غير مسبوقة في رؤيته للسرقات؛ إذ نجده يقرر بعض الصفات التي ينبغي للناقد الجهبذ أن يتسم بها وذلك حين يقول: « ولست تعدّ من جهابذة الكلام، ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبه ومنازله »[3].

وفي بداية حديثه عن سرقات المتنبي، لا يخفي القاضي إفادة هذا الأخير من معاني سابقيه، ويرد على خصمه- خصم المتنبي- بأنه « يجهل السَّرق الحقيقي، الذي يصح أن يتهم صاحبه بهذه النقيصة...لأن السَّرق من الأمور التي يعز تبينها إلا على الناقد المميز»[4]، فالقاضي يجعل من الوصول إلى معرفة مواضع السرقة « باب لا ينهض به إلا الناقد البصير والعالم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كل من أدركه استوفاه وأكمله»[5].

وتعدُد طرق السرقة واختلافها من شاعر لأخر، سبب في صعوبة التعرف عليها، وهذا ما جعل القاضي يحدد أنواع السرقة بقوله:«... فتفصل بين السرق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمبتذل الذي ليس احد أولى به، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه وأحياه السابق فاقتطعه..»[6]،فالقاضي ذكر مجموعة من المصطلحات حصر فيها أنواع السرقات« على أننا لا نعرف بالضبط مدلول هذه المصطلحات في ذهن القاضي لأنه لم يفصل لنا

[1]-الوساطة، ص 180
[2]- منهج النقد الأدبي عند العرب، الثويني حميد آدم، دار الصفاء لنشر والتوزيع(د.ط)(د.ت)، ص 92.
[3]- الوساطة، ص 161..
[4]- التفكير النقدي عد العرب، ص281
[5]- الوساطة، ص161
[6]- المصدر نفسه، ص161

فيها القول أو يحدد لنا ـعلى الأقل ـ معناها المتعارف عليه»[1]، ومع هذا فقد مثل للبعض من هذه المصطلحات، فاعتبر أن "الغصب" يكون باجتماع اللفظ والمعنى معاً في السرقة ونقل البيت أو المصراع، كما في قول لبيد:

وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولابدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

وقول الأفوه الأودي:

إنما نعمةُ قوم متعةٌ وحياةُ المرء ثوب مستعار

ويعلق بقوله: « وإن كان هذا ذكر الحياة، وذلك ذكر المال والولد، وكان أحدهما جعل وديعة والآخر عارية»[2].

ويضيف القاضي لهذه المصطلحات مصطلحات أخرى، اعتمدها الشعراء لإخفاء سرقاتهم فكان النقل والقلب والنقض والتأكيد والزيادة وغيرها من المصطلحات التي ذكرها القاضي وكان أكثر توضيحاً لمدلولها ومعناها مع كثرة التمثيل لها، كتمثيله للسرقة التي قد تكون « من الأمثال المأثورة فهو يذكر أن الجاحظ حكى عن بعض العلماء أنه كان يقول في دعائه(اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال) فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه فقال:

فَلا مَجدَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مالُهُ ولا مالَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مجدُهُ»[3]

وهناك مواضع حددها القاضي تمتنع فيها السرقة ومنها:

أ ـ المعاني المشتركة التي لا ينفرد بها شاعر دون آخر يقول: « فرأيت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر، والجود بالغيث والبحر، والبليد البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار...أمور متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الناطق والأبكم... حكمت بأن السرقة عنها منتفية»[4]، ويورد الكثير من الأمثلة عن المعاني المشتركة التي لا تعد سرق كقول جرير:

كأنّ رُؤوسَ القومِ فوقَ رِماحِنا غداةَ الوَغَى تِجانُ كِسْرى وقَيْصَرا

---

[1] – مشكلة السرقات في النقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ط) 1958م ص123
[2] – الوساطة، ص176
[3] – مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص130-131
[4] – الوساطة، ص 161.

وقريب منه قولُ أبي تمام:

أَبْدَلْتَ أرؤُسَهم يوم الكريهة من قنا الظُّهورِ قَنَا الخَطِّيِّ مُدَّعَما

يعلق القاضي عن البيتين: « وقد عد هذا من سرقات أبي تمام، ولست أراه كذلك؛ لأنه ليس أكثر من رفع الرؤوس على القنا، وهذا معنى مشترك لا يسرق»[1].

ب- كما أن المعاني المخترعة التي « تداولت واستفاضت على ألسن الشعراء حتى صارت كالمعاني المشتركة لا سرقة فيها، وإن كان الفضل فيها للأول»[2]، فليس كل ما يكرره الشعراء سرقة وبخاصة في الأوصاف « كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب والبرد، و الفتاة بالغزال في جيدها وعينيها، والمهاة في حسنها وصفائها»[3]، وصورة المبتدع المخترع تتضح في قول لبيد:

وجَلَا السُّيُولُ عن الطُّلُولِ كأنها زُبُرُ تُجِدُّ مُتُونَها أَقْلامُها

فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء، قال أمرؤ القيس:

لِمَنْ طَلَلُ أَبصَرْتُه فَشَجَاني كخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يماني

يعلق القاضي: « وأمثال ذلك مما لا يحصى كثيرة...وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه»[4].

ج- توارد الخواطر واتفاق الهواجس من أهم النقاط التي أشار لها القاضي في حديثه عن السرقات والتي لا يجوز بسببها اتهام الشعراء خاصة المحدثون منهم بهذه النقيصة، فقد يتوافق بيت لشاعر محدث مع بيت لأحد سابقيه، فيتهم بالسرقة« ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مر بخلده، كأن التوارد عندهم ممتنع، واتفاق الهواجس غير ممكن»[5].

د- أسماء المواضع والألفاظ المتداولة المشهورة لا معنى لسرقة فيها، وقد أشار القاضي لهذا في رده على المهلهل بن يموت في ما ادعاه من سرقات على أبي نواس[6]، ومثل للألفاظ المشهورة بقول الشاعر:

---

[1]- الوساطة، ص196-197
[2]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص 196
[3] -الوساطة، ص162
[4]- المصدر نفسه، ص163-164
[5] - المصدر نفسه، ص164
[6]- ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص127

تَرى العينَ تَسْتَعْفِيك من لمَعَانِها وتحسِر حتى ما تُقلُّ جفونَها

من قول الأبيرد:

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأمر لي فيه وإن عَظُم الأمر

ويعلق القاضي: « ولا أراهما اتفقا إلا في الاستعفاء، وهي لفظة مشهورة مبتذلة، فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميعُ الشعر كذلك»[1].

هذه تقريباً أهم المواضع التي ذكرها القاضي وتمتنع فيها السرقة، وإن كان قد أشار إلى مواضع أخرى ولم يفصل فيها لأن من سبقه من النقاد قد أطال الحديث عنها.

وتحديد القاضي لهذه المواضع يضعنا أمام استفهام يطرح حول ماهية السرقة الحقيقية عند القاضي، إن امتنعت السرقة في كل هذه المواضع ومن هنا نجده يرى أن السرقة البينة التي يعاب بها الشعراء تقع في أمرين:

أ- المعاني الخاصة التي ينفرد بها الشاعر ويسبق غيره إليها، هذه الخصوصية تأتي للمعنى من انفراد أحدهم بلفظ يستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى إليها دون غيره[2]، فالسرقة « لا تقع ولا يحكم بوقوعها في الألفاظ-إذا لم تكن خاصة- لأنها منقولة ومتداولة، ولا في المعاني الخاصة إذا استفاضت وتداولت»[3].

ب- كما تقع السرقة باجتماع الألفاظ على معانٍ واحدة باتفاق الوزن والقافية والروي، وكلما قل التوافق في هذه الأمور قل احتمال وقوع السرقة، ولذلك يرى القاضي أن« الشاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه وعن وزنه ونظمه وعن رويّه و قافيته، فإذا مرّ بالغبي الغُفْل وجدهما أجنبيين متباعدين، وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما والوصلة التي تجمعهما»[4].

وتفطن الجرجاني إلى« أمر مهم كان سابقوه قد أشاروا إليه، وهو تمويه المعنى المسروق وإخفاء السرقة بإعمال الصنعة الشعرية الماهرة»[5]، وذلك حين يقول:« وأول ما يلزمك في

---

[1]- الوساطة، ص182

[2]- ينظر:المصدر نفسه، ص163

[3]- في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص181

[4]- الوساطة، ص178.

[5]- التفكير النقدي عند العرب، ص282

في هذا الباب ألا تقصر السرقة على ما ظهر ودعا إلى نفسه، دونـما ما كمن ونضج عن صاحبه»[1].

وإن كان الكثير من النقاد الذين سبقوا القاضي يرون أن الشعراء المحدثين وجدوا المعاني سهلة خالصة دون عناء؛ لأن من سبقهم من الشعراء شق طريقها ويسر سبل الوصول إليها فما كان على المحدثين إلا تطويرها والتحسين فيها[2].

لم يتركوا للمحدثين إلا قدراً قليلاً من المعاني يجدون أنفسهم مضطرين إلى تناول معاني سابقيهم، ومن ثم يدعو إلى التماس العذر لهم ونفي المذمة عنهم يقول:« ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا، أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمة؛لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها...ومتى أجهد أحدنا نفسه، و أعمل فكره، وأتعب خاطره وفكره في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالاً يغض من حسنه»[3].

ومن خلال كلام القاضي تتضح لنا نقطة هامة وهي أن القاضي« لا يؤمن بهذه الفكرة إيماناً يجعله لا يرى للمحدثين ابتداعاً في أي معنى، بل إننا نجده-على العكس من ذلك- يؤمن بأن القدماء قصرت بهم ثقافتهم عن التوصل إلى بعض المعاني، فكان أن توصل إليها المحدثون، فهو إذن مؤمن بتأثير العصر الزمني وبوجود الأصالة الفنية بين المحدثين»[4].

ومع كل ما أثاره القاضي حول موضوع السرقات نجده يمنع نفسه ويطالب غيره من النقاد بعدم اتهام أي شاعر بسرقة، فيقول: « ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة»[5].

ومن خلال تتبعنا لطريقة القاضي ومنهجه في التعامل مع قضية السرقات عموماً وسرقات

---

[1]- الوساطة، ص175

[2]- ينظر: عيار الشعر، محمد احمد بن طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 1982م، ص15

[3]- الوساطة، ص 185

[4]-مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص127

[5]-الوساطة، ص185

المتنبي بصفة خاصة، وجدنا أنا القاضي لم يقف عند ما انتهى إليه أسلافه في معالجتهم لقضية السرقة في الشعر، بل أضاف ـكما وضحنا ـ ما ميزه وجعله مرجعاً للباحثين في هذه الموضوع، والأمور التي ذكرها القاضي في كتابه عن السرقات لا نجدها مجتمعة عند رجل قبل القاضي أو بعده.

ثانياً: قضية الطبع و الشعر المطبوع:

يقول محمود السمرة عن مفهوم الطبع عند القاضي الجرجاني:« وكلمة الطبع في هذا النص تقابل ما يعرف في النقد الحديث بالموهبة»[1]، ويؤكد هذا عبده قلقيله حين يعتبر أن القاضي يقصد بالطبع ما نسميه الآن بالاستعداد[2]، وعليه فإن مفهوم الطبع عند القاضي الجرجاني يقابله في أيامنا هذه ما يسمى بالموهبة الشعرية أو ما يصطلح عليه البعض بالملكة الإبداعية التي يتفرد بها بعض المبدعين في مختلف الميادين، مما يجعلهم متميزين عن غيرهم بدليل أننا نجد في البيئة الواحدة » الرجل منها شاعراً مفلقاً وابن عمه وجار جانبه ولصيق طُنُبه بَكِيئاً مُفْحَماً، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر والخطيب أبلغ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء»[3]، ولأن الشعر والشعراء كانا محور الاهتمام في النقد العربي القديم، ومع اختلاف طرق تقييم الأشعار من ناقد إلى أخر، اعتبر القاضي الجرجاني أن أجود الأشعار هي الأشعار المطبوعة، والتي تماثل حسب رأيه شعر البحتري الذي يقول عنه:«ومتى أردت أن تعرف ذلك عِياناً، وتستثبته مُوَاجهة، فتعرفَ فرق ما بين المطبوع والمصنوع،وفضل ما بين المنقاد والعَصي المستكرَه فاعمِد إلى شعر البحتري»[4]، ثم يورد أمثلة على كل غرض ، من شعر البحتري المطبوع كقوله عن عفو خاطره:[5]

ردّي على المُشتاق بعضَ رُقاده   أو فاشْركيه في اتّصال سُهادِه
أسهَرْتِـه حتى إذا هجَر الكرى   خلّيتِ عنه ونمْت عن إسعادِه
وقسا فـؤادُكِ أن يَلـينَ للوْعَـةٍ   باتتْ تقلقل في صميم فـؤاده
ولقد عـززْتِ فهان طوعاً للهوى   وجنبْتـه فـرأيـت ذُلَّ قِـيـاده

[1]–القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص132، وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص320
[2]– ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص274
[3]– الوساطة، ص23
[4]– المصدر نفسه، ص28
[5]– المصدر نفسه، ص32

مَـنْ مُنصِفي مـن ظـالـم ملّكْتُــه ودّي ولـم أملِك عسيرَ وِداده

ويعلق الجرجاني عن هذه الأبيات وغيرها مما أورده من شعر البحتري بقوله: « هل تجد معنى مبتذلا ولفظاً مشتهراً مستعملاً !وهل ترى صنعة وإبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً ! »[1].

وإن كانت الموهبة(الطبع) عند القاضي ضرورية إلا أنها حسب رأيه غير كافية لوحدها لخلق الإبداع الشعري، فلابد لها من أن تدعم بالرواية ذلك أن « حاجة المحْدَث إلى الرواية أمَسّ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر؛ فإذا استكشفْت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناولُ ألفاظ العرب، إلا رِواية؛ ولا طريقَ للرواية إلا السمع؛ و ملاكُ الرواية الحفظ»[2]، ومن هنا يمكن القول أن« الطبع (بمعنى الموهبة) هو الذي يجعل هذا شاعراً وأخاه لا صلة له بالشعر كما أن الطبع يقيم التفاوت بين شاعر وشاعر في القبيلة الواحدة »[3].

ومن هنا بنا القاضي تصوره القائم على أن الشعر ووقعه في النفس لا يعتمد على ما فيه من البديع والصنعة، بل بالطبع والصدق كما هو الحال في شعر البحتري « لأنه أقرب بنا عهْداً، ونحن به أشد أُنساً، وكلامه أليق بطباعِنا، وأشبه بعاداتنا؛ وإنما تألَف النّفس ما جانَسها، وتقْبل الأقرب فالأقْرب إليها. فإن شئت أن تعرِف ذلك في شعرِ غيره كما عرفتَه في شعره، وأن تعتبر القديمَ كاعتبارِ المولَّد فأنشد قول جرير:

أَلا أيُّها الوَادي الَّذي ضمَّ سَيلُــه إلَينَا نَوى ظَمياءَ حُيِّيتَ وادِيَا
إذَا ما أرادَ الحيُّ أنْ يتفرَّقُــوا وحنَّتْ جِمَالُ الحيِّ حَنَّتْ جِمَالِيَا
فيَا لَيْتَ أنَّ الحيَّ لم يَتَزَيَّلُــوا وأَمْسَى جميعــاً جِيرَةً مُتَدَانِيـــا
إذِ الحيُّ في دارِ الجميــع كأنّما يكونُ علينا نصفُ حوْلٍ لَيَالِيَا
إلى اللهِ أَشْكُو أنَّ بالغَوْر حاجةً وأُخرى إذا أبصرْتُ نجْداً بَدَا لِيَا »[4].

فالطبع صفة الشاعر المبدع الذي يستسلم لموهبته ويقوم بما تيسره له قدراته، دون عناء وإجهاد للفكر والخاطر.

---

[1]-الوساطة، ص33

[2]-المصدر نفسه، ص23

[3]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص320

[4]- الوساطة، ص34

ثالثاً: قضية التكلف في الشعر:

من أكثر ما عيب به الشعراء المحدثون في النقد القديم، تكلفهم لغة ليست هي لغة عصرهم « كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع من شعره، فقال:

فكأنَّما هي في السَّماع جنادِلُ   وكأنما هي في القلوب كَواكِبُ

فتعسف ما أمكن وتغلغل في التعصب كيف قدر...»[1].

من هنا كان للجرجاني رأي خاص في قضية الصنعة والتكلف في الشعر، كونه يرى أن المحدث لما أراد « الإغراب والإقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف،وأتم تَصنع، مع التكلف المقت...وربما كان ذلك سبباً لطمس المحاسن...»[2].

فالتكلف صفة ممقوتة معيبة عند القاضي، ذلك أنها « صفة قد يتصف بها الأديب ولكنها ترتبط بادعاء الإنسان ما لا يحسنه، أو ما ليس فيه أصلاً. ومما له دلالة في هذا الصدد أن يجئ التعبير عن صفة الطبع في الأديب بصيغة اسم المفعول(المطبوع) على حين يأتي التعبير عن صفة التكلف لديه بصيغة اسم الفاعل(المتكلف) مما يشير إلى إحساس بفطرية الصفة الأول، وكون الصفة الثانية وليدة للافتعال والتعمد»[3].

فالقاضي يرى أن الكثير من الشعراء المحدثين قلدوا واقتدوا بشعر القدماء، فأثر هذا على أشعارهم التي غلب عليها التكلف وخرجت عن دائرة المطبوع، وقد مثّل لذلك بأشعار مجموعة من الشعراء، على رأسهم أبى تمام، فالعجب كل العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله:[4]

أأيـامَـنا مـا كُنتِ إلا مَـواهـبا   وكنتِ بإسعـاف الحبيبِ حَبائبا

سـنُغرِب تجديداً لعهْدِك في البُكا   فـما كنتِ في الأيام إلا غرائبا

ومعتَركٍ للشوق أهدي به الهوى   إلى ذي الهوى نُجْلَ العيون ربائبا

كـواعب زارت في ليـالٍ قصيرة   يـخيّلْن لـي من حُسْنِهنّ كَواعـبا

---

[1]- الوساطة، ص26

[2]- المصدر نفسه، ص25-26

[3]- دراسات في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، مكتبة الأدب، القاهرة، ط2، 2006م، ص174

[4]- الوساطة، ص27-28

سلَبْن غِطاء الحُسْن عن حُرِّ أوْجُهٍ تظل لـلُـبِّ السّالِبيـها سـوالبـا
وجـوهٌ لو أن الأرض فيها كواكب تـوقّدُ للســاري لكانـت كواكِبا

ويعلق القاضي الجرجاني على هذه الأبيات بقوله: « كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغث وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغرر في ديوانه كيف يرضى أن يقرن إليها تلك الغرر! وما عليه لو حذف نصف شعره، فقطع ألسن العيب عنه ولم يشرع للعدو بابا في ذمه!»[1].

ومن أجل أن يؤكد هذا القول، وينفي عن نفسه صفة التهجم على أبي تمام يورد مقاطع تراوح فيها شعره بين مطبوع حسن أفسده أبو تمام بأن أضاف إليه شعراً متكلفاً رديئاً، فنجده يقول عن هذا التحول في القصيدة الواحدة : « وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبعه فينظم أحسن عقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة، حتى تعارضه تلك العادة السيئة فيتسنم أوعرَ طريق، ويتعسف أخشن مَرْكب، فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طَلاوة ما قد قدّم... ومنه قوله:

لـو حـار مرتـاد المنية لم يجـد إلا الفـرق على النفوس دليـلا
قالوا الرحيل، فما شككت بأنها نفسي مـن الدنيا تريد الرحيـل
الصبر أَجْمَلُ غـير أنّ تلـذذا في الحب أحرى أن يكون جّميلا

فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخُسْرُواني، والوشي المنمنم، حتى يقول:

لله درُّك أيُّ مِعْبر قَفْرَةٍ لا يوحشُ ابنَ البيضة الإجْفيلا
أو ما تراها لا تراها هزة تشْأى العيون تَعَجْرُفاً وذَميلا

فنغص عليك تلك اللذة، وأحدث في نشاطك فترة»[2].

ولهذا نجد الكثير من النقاد وعلى رأسهم القاضي الجرجاني يربطون بين لغة الشعر ومسألة الطبع والتكلف« فالشعر المطبوع هو ما انسجم فيه المعجم مع طبيعة العصر والبيئة، فتكون الغرابة مع البداوة، والسهولة مع التحضر، وهذا في كل عصر. وإذا اختل هذا المقياس فكانت لغة الحضر بداوية، عُدَّ ذلك تكلفاً»[3].

وكلام القاضي عن التكلف متشعب في وساطته، لارتباطه بالكثير من القضايا، وربما

[1] - الوساطة، ص28
[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص28-29
[3] - معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص71-72

يكون ما ذكرناه قسط قليل من كثير ذكره القاضي.

رابعاً: قضية عمود الشعر ومذهب البديع:

استطاع القاضي أن يحدد بدقة الأركان أو الأسس التي يقوم عليها عمود الشعر عند العرب« وعمود الشعر هو ما عبَّرَ عنه بطريقة العرب، أو تقاليدهم في نظم الشعر، وهو بهذا عبارة عن مجموعة من المبادئ الشعرية التي تلخص جماليات الشعر العربي القديم وبالتالي يشكل عمود الشعر معياراً جمالياً يقوم على أساسه شعر المحدثين»[1]،فإن كان يُراد بعمود الشعر الأسس الجمالية التي ينهض عليها بناء القصيدة عند العرب القدامى،فإن هذه الأسس هي السبيل الوحيد للتميز بين مذهب الشعراء القدامى، الملتزمين بعمود الشعر ومذهب المحدثين ممن تحفل أشعارهم بألوان البديع، فنجد القاضي يفاضل بين الشعراء « في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وَبَدَهَ فأغزر، ولِمَن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفِل بالإبداع في الاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض»[2]،فقد ذكر القاضي ستة أسس يبنى عليها عمود الشعر عند العرب وهي: (شرف المعنى وصحته–جزالة اللفظ واستقامته–وإصابة الوصف– ومقاربة التشبيه– وغزارة البديهة– وكثرة الأمثال والشوارد) ومن خلال هذا التحديد يمكن القول إن القاضي« جمع خصائص القصيدة العربية القديمة قبل أن تمتد إليها يد التجديد التي ذهبت بمعظم تلك الخصائص كما ندركه في شعر المولدين»[3]، ولا يكتفي القاضي بهذا بل يمثل لعمود الشعر و ما يحتفي به من حسن ومتانة وقوة وإلمام بالأركان التي ذكرناها سابقاً، بقول بعض الأعراب:[4]

أقول لصاحبي والعيس تهوى   بنا بين المُنِيفَة فالضمار
تَمَتَّع مِنْ شَمِيم عَرارٍ نَجْدٍ   فما بعد العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
ألا يا حَبذا نَفَحَاتُ نَجدٍ   ورَيَّا رَوضهِ غِبَّ القِطَار
وعيشك إذ يَحُلُّ القوم نَجْداً   وأنتَ على زمانك غيرُ زارِ

---

[1]- المرجع السابق، ص146

[2]- الوساطة، ص38

[3] – في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص180

[4]- الوساطة، ص38

ويعلق عن هذه الأبيات بقوله: « فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المأخذ، قريبُ التناول»[1].

وفي المقابل نجد أن القاضي يرى أن البديع الذي يأتي في أشعار القدامى كان يأتي عن عفوِ خاطر ومن دون قصد، ولهذا يزيد الكلام بهاء ويكسوه رونقاً، فلما تكلفه المحدثون وأسرفوا فيه سقط بكلامهم إلى الركاكة وزاده غثاثة وبرودة.

يقول: « وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدهم، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، وتكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط»[2]. ثم يمثل للبديع بقول أبي تمام:

دعني وشربَ الهوى يا شربَ الكاسِ فـإنـني لِلَّـذي حسِّيتَـهُ حـاسـي
لا يوحِشنَّك ما استعجلتَ مـن سقمي فـإنَّ مـنزلَـهُ مـن أحسنِ النـاسِ
مـن قطعِ ألفـاظِهِ توصيلُ مَهلكتي ووصْـلِ ألـحاظِـهِ تقطيعُ أنـفاسي
مـتـى أعـيشُ بتأمـيل الرجـاء إذا ما كان قطعُ رجائي في يَدَيْ ياسي

ويعلق بقوله: « فلم يَخْلُ بيت منها من معنى بديع...فقد جمعت على قصرها فنوناً من الحسن، وأصنافاً من البديع»[3].

وقد أورد القاضي الجرجاني الكثير من الأمثلة عن ألوان البديع أو فنونه، كما مثل لعمود الشعر ببعض أشعار القدامى وحتى المحدثون كأبي تمام، ولعله يهدف من وراء هذا التمثيل إلى إعطاء صورة واضحة للمحدثين كي يحتذوا بها، ثم يحذرهم من سوء استخدام البديع.

خامساً: قضية العلاقة بين الشعر والدين:

تطرق الجرجاني لهذه القضية ودعا إليها وهو في صدد الدفاع عن المتنبي، والصلة بين الأدب والدين أو الفن عامة والأخلاق الدينية؛ شغلت العرب والأمم الأخرى منذ القديم، ومن المدهش أن نجد القاضي يجهر برأيه حين يفصل بين الدين والشعر، ويصر على أنه إذا ورد في الأدب ما يعارض الدين، فإن هذا لا يضر الأدب، ولا يحط من قيمته الفنية، ومثل

[1]- الوساطة، ص 38
[2]- المصدر نفسه، ص39
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص 37

هذا الرأي يدل على أن الرجل كان جريئا يقول ما يعتقد، وهو رأي يجبن كثيرون عن المجاهرة به حتى في أيامنا هذه[1]. والأمر الذي دفع الجرجاني للتطرق إلى هذه القضية هو إنقاص بعض النقاد من قيمة شعر أبي الطيب، بسبب بعض أبياته التي تدل على فساد عقيدته يقول: « والعجب ممن ينقص أبا الطيب، لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله :

يَتَرَشَّفْن من فمي رَشفاتٍ   هُنَّ فيهِ أحلى من التوحيد

وقوله:

وأبْهَرُ آيات التهامي أنّهُ   أبوكم وإحدى مالَكُم من مَنَاقب»[2].

وينطلق دفاع القاضي الجرجاني عن المتنبي في هذا الشأن من المبدأ الأول الذي يشكل أساس كتاب الوساطة؛ وهو مبدأ المساواة بين الشعراء، وتوخي العدل في إصدار الأحكام النقدية على أشعارهم[3]. ولهذا نجده يورد أشعاراً لأبى نواس وغيره من الشعراء ثم يعقب عليها بقوله: « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمْحَى اسم أبى نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهلُ الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعري وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بُكماً خرساً، وبِكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[4]، وعلى هذا الأساس ينكر القاضي الناقد، صنيع من ينقص من قيمة شعر المتنبي ويتحامل عليه بسبب أبيات يوهم ظاهرها مخالفة أصل من أصول العقيدة الصحيحة في وقت يتغاضى عما هو أشدُّ منها عند شعراء آخرين، ويذكر أمثلة عن فساد عقيدة مجموعة من الشعراء الإسلاميين على قرار ديك الجن وأبي نواس الذي يقول:[5]

يا عاذلي في الدهر ذا هَجْرُ   لا قَدَرُ صحَ ولا جَبْرُ

---

[1]- ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص160

[2]- الوساطة، ص62

[3]- ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص280

[4]- الوساطة، ص63

[5]- المصدر نفسه، ص63

ما صح عندي من جميع الذي يذكر إلا الموت والقبر
فـاشرب على الدهر وأيامـــه فإنما يهلـكـنا الدهـر

وقوله:[1]

فدع الملامة فقد أطعت غوايتي ونبذت موعظتي وراء جداري
مـــا جـاءنا أحـد يُخبّر أنـــه في جنة مُذ مات أو في نار

وقوله:

فـاشرب على الدهر وأيامه فإنمـا يهلكنا الدهـر

ويعقب القاضي الجرجاني على أبيات أبي نواس بتساؤل كيف لناقد أن يحتمل لأبي نواس هذه الأبيات، فيما يقلل من قيمة شعر أبي الطيب وينقص منه لمثلها. وهذا رأي جريء عجيب من قاضي القضاة الشافعي الراسخ القدم في الإسلام، كما يقول مندور.

ويستخلص القاضي الجرجاني من الموقف الإسلامي العملي من الشعر الماجن ما يمكن أن يسمى(إبعاد الدين عن الشعر). ذلك أن الموقف الديني للشاعر لم يؤثر في الأحكام الجمالية على شعره. وعليه فإن الحكم الديني على الشعر شيء، والحكم الجمالي عليه شيء آخر؛ فقد يخالف الشاعر مبادئ الدين، بل قد يكون كافراً تماماً، وتظل لشعره رغم ذلك منزلته وقيمته[2].

وفي حديثه عن ضعف العقيدة عند المتنبي، يتفق الثعالبي مع رأي القاضي من ناحية ويخالفه من ناحية أخرى حسب ما يفهم من كلامه حين يقول: « على أن الديانة ليست عاراً على الشعراء، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، ولكن الإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً، ومن استهان بأمره، ولم ذكره ذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه، فقد باء بغضب من الله تعالى، وتعرض لمقته في وقته»[3] .

والحق أننا لسنا مع القاضي فيما ذهب إليه من الفصل بين الدين والشعر، وذلك لأنه لابد للشعراء أن يسيروا في ركب الـدين حتى يدخلوا في الطـائفة المستثناة من الشعراء في

[1]- النقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص120-121
[2]- ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص 280-281
[3]- يتيمة الدهر،ج1ص210

قوله تعالى: (⬩♑♒ ✁♐♐✐⅄♎♑⇦×♦ ⬀◆✁✌♦☪⇱❑✁☎
❑◆⇱♦☺♑🖪➔❑✁☎ ✁♐♐🕲🕐⭘🕐🖪♑⬧⬕🕐💥♑) [1].

وكذلك لا يصح أن ينظر إلى الشعر على أنه ليس إلا ألفاظاً وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها، ولا يليق أن نعده من وحي الشياطين، فيكون لهوا وعبثا في الحياة لا غير، وإنما يجب أن يكون الشعر إلهاماً شريفاً، ووحياً صالحاً، وعملاً نافعاً في هذه الحياة ويدعو إلى النهوض ويجهر بالإصلاح، ويوقظ النفوس النائمة هداية فينفعون ولا يضرون ولا يكونون في هذه الحياة أبواقا للشياطين[2].

سادساً: قضية الخصومة بين القدماء والمحدثين:

من أهم القضايا التي افتتح بها القاضي الجرجاني وساطته قضية القدماء والمحدثين فنجده يعرض« لجوانب هذه الخصومة عرضاً منهجياً، ويبدو هذا واضحاً من مقدمته التي حاول المؤلف من خلالها، أن يؤكد على حياده النقدي تجاه طرفي هذه الخصومة»[3]. فيستغرب من موقف بعض علماء عصره الذين يتعصبون للقديم على حساب الحديث فأراد أن يتخلص من هذا التصور المثالي الذي أحاط بالشعر القديم، بسبب كونه شعر قديم فقط ودون مراعاة أسباب أخرى تنظر لشعر على أنه فن من فنون القول، ولا يستطيع منصف أن ينكر أن العبارة التالية للقاضي الجرجاني تشي بمثل هذا الاعتقاد: « ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقاد الناس فيهم أنهم القدوة، والأعلام والحجة، لوجدت كثيرا من أشعارهم معيبة مسترذلة، ومردودة منفية، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليه، ونفى الظنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام»[4].

---

[1]- سورة الشعراء، الآية227

[2]- ينظر: في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص174

[3]- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3،1995 م ص109

[4]- الوساطة، ص14

يريد الجرجاني أن يخلع شيئاً من ثوب المثالية الذي أحاط بالشعر القديم، دون المسارعة لرفض القديم لقدمه انتصاراً للحديث جملة ولشاعره خاصة[1]. ولكي يكون منصفاً في أحكامــه فقد حدد عناصر الفن الشعري والتي من خلالها يمكن الحكم على جودة الأشعار مهما كان زمانها، فيقول: « الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدُّرْبَة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه »[2]، ومن هنا يمكن القول إن الجرجاني قد تمكن من وضع معايير يمكننا من خلالها أن نميز ونفاضل بين شاعر و آخر وبالتالي: « فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ولا تفضيل في هذه القضية بين القديم والمحدث إلاّ أن حاجة المحدث إلى الرواية أمس»[3].

بل إن القاضي الجرجاني ذهب إلى « أبعد من هذا في توضيح أن تعظيم أنصار القديم للقديم لا يقوم على أساس منطقي سليم»[4]، ومن أجل تأكيد هذا الطرح يورد القاضي الكثير من القصص التي تؤكد أن النقاد و حتى اللغويين والرواة، كانوا يسمعون البيت ويستحسنوه فإذا عرفوا أنه لمحدث أنكروه، ذلك أنهم وجدوا أن نقضهم لقولهم أهون عليهم من الاعتراف بالإحسان لشاعر مولد[5].

وإن كان هذا لا ينطبق على كل المتعصبين للقديم فمنهم من يشيد بالمحدث إذا أجاد وأحسن كما ذكر القاضي عن أبي رياش القيسي والذي« كان معروفاً بالتحامل على هؤلاء والغض من أبي تمام والبحتري خاصة، حتى إن نسخ هذين الديوانين قلت بالبصرة في وقته لقلة الرغبة فيهما: أنه أُنشد ذات يوم قول البحتري:

نظرتُ إلى طَدّان فقلت ليلى هناك وأين ليلى من طَدَان
ودون مـزارها إيـجافُ شــهر وسبـع للمـطايا أو ثَمــانِ
ولـما غـرّبت أعْـراف سَلْـمى لـهن وشرّقت قُنَن القِنان
تصـويت البـلادُ بنــا إليـكـم وغـنّى بالإيـابِ الحـادِيان

[1] –ينظر: تراثنا النقدي دراسة في كتاب الوساطة، سيد فضل، منشأة المعارف، الإسكندرية (د.ط) (د.ت) ص16

[2] – الوساطة، ص23

[3] – المصدر نفسه، ص23

[4] – القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص126

[4] – ومن ذلك ما حكي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عندما أنشد الأصمعي بيتين، لتفصيل ينظر: الوساطة، ص52

فقال: أحسن والله! من هذا البدوي المطبوع؟ فقيل: إنها للوليد بن عبيد: فقال: أعد، فأعيدت فرجع عن رأيه فيه وحث الناس على رواية شعره»[1].

لذا لا يجوز تفضيل شاعر على آخر لأن الأول قديم والثاني محدث؛ فالشعر الجيد لا يختص بزمن دون آخر، كما قال ابن قتيبة: « ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره »[2]، وعليه يمكن أن نحصر عناصر الخصومة الحقيقية بين القدماء والمحدثين في اختلافهم على عمود الشعر ونهج القصيدة، وفي الإيمان بفكرة استنفاذ القدماء للمعاني[3].

ولكي لا يُسَاءَ فهم موقف القاضي من طرفي هذه الخصومة، يبادر بالقول: « وليس يجب إذا رأيتني أمدح محدثاً، أو أذكر محاسن حضري أن تظن بي الانحراف عن متقدم، أو تنسبني إلى الغض من بدوي، بل يجب أن تنتظر مغزاي فيه، وأن تكشف عن مقصدي منه ثم تحكم علي حكم المنصف المتثبت، وتقضي قضاء المقسط المتوقف»[4]، وبهذا القول يبعد القاضي عن نفسه كل شبهة بالميل لطرف دون أخر سواء كان متقدماً أو متأخراً.

وصاحب الوساطة كما رأينا بنى موقفه في هذه الخصومة، على اعتبار أن المتنبي شاعر عظيم، ولا يقل شاعرية عن غيره من الفحول المحدثين، ولكن فحولته الشعرية ضاعت بين إفراط المعجبين بفنه، وتفريط الكارهين له، ومن ثم فهو بحاجة إلى الإنصاف، وهذا يقتضي التسليم بما له من حسنات وما عليه من سيئات، كما يفعل مع غيره من فحول الشعراء المحدثين[5].

<u>سابعاً</u>: قضية التعقيد و الغموض في الشعر:

---

[1] -الوساطة، ص54

[2] - الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: مفيد قميحة، دار الكتب، بيروت لبنان، ط2، 1985 ج1ص63.

[3] -ينظر: مشكلة السرقات في النقد الأدبي، ص213

[4] -الوساطة، ص22

[5] - ينظر: الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، ص117

انشغل النقاد والمهتمون بدراسة الأدب منذ القديم وإلى عصرنا الحديث بمسألة التعقيد والغموض الذي يكتنف بعض النصوص، وسواءً كان هذا التعقيد يأتي عرضاً أو يتعمده المؤلف كأسلوب في الكتابة يتميز به عن غيره، فقد ظل محور تساؤل حول الجدوى منه ففي الشعر مثلا يشترط بعض النقاد« الوضوح رغبة منهم في التصوير الحسي، وإعراضاً عن التجريد العقلي، في فن الشعر، فطالبوا بالوضوح، واعتبروه مقياساً لجودة المعاني، ومن حسن المعاني- لديهم- أن تكون موجهة للغرض المطلوب، بحيث لا تحتاج إلى إنعام الفكر وإتعابه في استنباطها»[1].

ولأن التعقيد والغموض من العيوب التي وقف عليها خصوم المتنبي طويلاً؛ للقدح في شاعريته، رد القاضي الجرجاني بالقول أن وجود شيء منهما في شعر المتنبي لا يسقطه كله، بل أن وجودهما في أشعار من يعدون من فحول الشعراء شائع وبالقدر الذي لا يقارن به ما وجد في شعر المتنبي، فيقول: « ولو كان التعقيد وغموض المعنى يسقطان شاعراً لوجب أن لا يروى لأبي تمام بيت واحد، فإنا لا نعلم له قصيدة تسلم من بيت أو بيتين وقد وفر من التعقيد حظهما، وأفسد به لفظهما، ولذلك كثر الاختلاف في معانيه »[2]، ثم يقول:« وأنت لا تجد في شعر أبي الطيب بيتاً يزيد معناه على هذا الغموض، أو تتعقد ألفاظه تعقيد أبيات الفرزدق، فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين: التعقيد والغموض، ومن أنصف حجزه حضور البينة عن المنازعة»[3].

ويفرق القاضي بين ضربين من الغموض: غموض سببه غرابة اللفظ بسبب بعد العهد به وغموض في المعنى نفسه مع وضوح في الألفاظ[4]، ويستشهد للضرب الأول من الغموض باختلاف الناس في قول تميم بن مقبل:

يا دارَ سَلمَى خَلاَءً لا أُكلِّفُها   إلا المرانَةَ حتى تَعْرِفَ الدِّينَا

---

[1]-المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، محمد عزام، دار الشرق العربي، دمشق(د.ط)(د.ت)، ص264

[2]-الوساطة، ص345

[3]- المصدر نفسه، ص 347

[4]- ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص178-179

ويعلق عليه بقوله: « فإن الذي خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المرانة، فقال قائل: هي ناقته، وقال آخر: هي موضع دار صاحبته، وقال آخر إنما أراد الدوام والمُرونة»[1].

ويمثل للضرب الثاني من الغموض بقول الأعشى:

إذا كان هدي الفتى في البلا د صدرَ القناةِ أطاع الأَميرا

يعلق القاضي:« فإن هذا البيت-كما تراه- سليم النظم من التعقيد، بعيد اللفظ عن الاستكراه...

فإذا أردت الوقوف على مراد الشاعر فمن المحال عندي، ومن الممتنع في رأي أن تضل إليه»[2].

ولأن الذهن ينفر من الغموض التام بالقدر الذي ينفر من الوضوح التام فإن« خير المعاني ما خالط وضوحها شيء من الغموض فلا هي مبتذلة، ولا هي معقدة، وإنما هي تلميح دون تصريح»[3]، ورفض القاضي للغموض والتعقيد ينطلق من طبيعة الشخصية العربية التي تميل بذوقها الفطري إلى الوضوح والنفور من التعقيد.

ومن خلاصة ما قلناه نستطيع أن نؤكد أن الجرجاني قد استطاع أن يناقش جملة من القضايا النقدية التي يرد بها بعض ما أخذه المتحاملون والنقاد من خصوم المتنبي عليه، و هذا بحشده لأهم الآراء النقدية السابقة في تناولها لهذه القضايا؛ متبعاً خطوات نقدية فريدة ومتميزة في معالجته لمادة كتابه، ومهما يكن الأمر فقد اختط الجرجاني درباً نقدياً فيه كثير من الجدة والتوفيق وهذا ما وقفنا عليه في ما ذكرناه.

[1]- الوساطة، ص346

[2]-ينظر: الوساطة، ص 346

[3]- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص265

المبحث الثاني: أسس الفكر النقدي وقيمه في الوساطة

يحفل كتاب الوساطة بجملة من الآراء النقدية، التي تدل على الحسّ المرهف والثقافة الغزيرة التي يمتلكها القاضي، والتي استطاع بها أن يقدم صورة جديدة من التناول تختلف عن ما تعرض له سابقوه في الكثير من المسائل النقدية « ولعل أبرز ما يحسب للقاضي الجرجاني في تاريخ النقد العربي القديم أنه سعى إلى التقعيد، وحاول أن يكون قريباً مما يسمى اليوم (فلسفة المعرفة) فقد قدم الرجل تنظيراً مقبولاً لغير قليل من الظواهر الفنية في الشعر العربي»[1]. وسنحاول أن نعرض أبرز تلك المبادئ النقدية العميقة التي يقوم عليها التفكير النقدي عند القاضي والتي تعد قيمة نقدية رائعة في ذلك العصر أضاءت الطريق لغيره من النقاد والأدباء ممن جاؤوا بعده، ويمكن توضيح تلك الأسس والقيم على النحو الآتي:

<u>أولاً</u>: البيئة أساس اختلاف أسلوب الشعر:

خصص الجرجاني حيزاً كبيراً من وساطته لبيان مدى تأثير المواطن التي يعيش فيها الشعراء على جودة أشعارهم، ذلك لما للبيئة- حسب رأيه- من أثر بالغ في تمايز الأشعار وتباينها، وبنى رأيه هذا انطلاقاً من« شعور عام، كان يسيطر على أذهان النقاد اللغويين من الرواة آنذاك، وهو أن الشعر الجاهلي يختلف فنياً ولغوياً، حسب درجة تبديه أو تحضره فشعر أهل الوبر، وهم سكان البادية، يختلف فنياً ولغوياً عن شعر أهل الحواضر العربية»[2].

---

[1]- التفكير النقدي عند العرب، ص268

[2]- الخصومة بين القدماء والمحدثين، 19

وهذا ما يجعل شاعراً جاهلياً من أهل الحواضر كعدي ينظم شعراً أسلس كما يقول القاضي الجرجاني من شعر رؤبة والفرزدق وهما من الأعراب وأهل البادية [1].

فجودة الشعر مرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الشاعر، فكلما ابتعد عن حياة البدو إلى الحضر سلست ألفاظه، وسهلت معانيه، والعكس صحيح، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم(من بدا جفا)[2]، فأثر البداوة على الشاعر يتضح من خلال معجم الألفاظ التي يستعملها.

من هنا يؤكد الجرجاني أن هناك عوامل تؤثر في أساليب الشعراء وألفاظهم مما يؤدي إلى اختلافها، ويذكر من هذه العوامل الطبيعة الشخصية، والبيئة من بادية وحاضرة والحالة النفسية للشخص، ومن ثم يقول: « وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعّر منطق غيره وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة...»[3].

وكثرت الحواضر وانتقال أهل البوادي إلى القرى مرده عند القاضي اتساع ممالك العرب مع انتشار الإسلام، فلانت الطباع ورقت القلوب ونتيجة لهذا« اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً، وألطفها من القلب موقعاً، وما للعرب منه لغات فاقتصروا أسلسها وأشرفها»[4].

ولأن القاضي الجرجاني قد فهم حقيقة تأثير الظروف الطبيعية والاجتماعية في الإنتاج الأدبي، وطبق ذلك عملياً في الرد على ما ادعاه خصوم المتنبي وعابوه في شعره، فيكون بذلك ما توصل إليه منذ القرن الرابع الهجري يطابق« أحدث ما وصل إليه العلم الحديث في تأثير العوامل الطبيعية. فالبيئة الواحدة تكيف أسلوب الإنسان وعقليته، كما تكيف بنيته العضوية»[5].

---

[1]- ينظر: الوساطة، ص 25
[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص25
[3]- الوساطة، ص25
[4] – المصدر نفسه، ص25
[5]– مشكلة السرقات في النقد الأدبي، 263

وبما أن خشونة الألفاظ ووحشيتها وتوعُّرُها سمات غالبة على أشعار القدماء كنتيجة طبيعة لغلظة طباعهم وقسوتها ـالتي هي نتيجة طبيعية لقسوة البيئة وشدتهاـ فإن عكس هذه الصفات في كلام الشاعر هو النتيجة الطبيعية لبيئة هي عكس البيئة القديمة، أي لبيئة متحضرة رقيقة في مظهرها وفي طباع أهلها[1].

ومن هنا كان ما ذهب إليه الجرجاني عندما اعتبر أن ميل شاعر متحضر كأبي تمام إلى الإغراب والتعقيد واستخدام الوحشي من الألفاظ هو من قبيل التكلف لم ليس في طبعه جعله يقع في التناقض من ناحيتين« من ناحية يوقعه في التعقيد والاحتذاء، لنموذج في القول أملته طباع مخالفة لأنها عاشت في بيئة وعصر خلاف عصره وبيئته، ولأنه من ناحية أخرى يوقعه في التفاوت في مستوى كلامه نتيجة لما يتجاذبه من هذين القطبين: مقتضيات العصر والبيئة من جهة والنموذج القديم المحتذى من جهة ثانية»[2].

فشعر المحدثين يكون أقرب لحياتهم كلما بعد عن الغرابة والبداوة ومال إلى الليونة والسهولة أما إذا تكلف صاحبه الاقتداء بالأوائل فإن شعره يأتي « أمشاجاً متباينة، فيعيبه تعثره، وعدم لحاقه بمن أراد تقليدهم، وينبو به مركبه، وتتعثر قدمه»[3].

على هذا الأساس يرى الدكتور سلام زغلول أن الناقد بمقدوره أن يفرق بين ما ينظمه شعراء البوادي من جهة وما ينظمه شعراء الحواضر من جهة أخرى، لأن أثر البيئة ظاهر لا يمكن تجاهله « فالشاعر الذي يعيش في الصحراء يغرف من ألفاظ بيئته ويستلهم من طبيعتها ما شاء أن يستلهم، والشاعر بعد كل ذلك هو ابن بيئته وعصره، وليس شعر القدماء كشعر المحدثين ولا طلب من المولدين أن يتبعوا الجاهليين في أنماط شعرهم وأساليبهم وصورهم فلكل من الفريقين إمكاناته وظروف بيئته وعصره التي تملي عليه ما يقول»[4]، فإذا اختار الشاعر المحدث الاقتداء بكلا الفريقين وقع في« جنايات هذا الاختيار...وجار على عادته يختلجه الطبع الحضري، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الخنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة، وجد قلقاً بينها نافراً عنها؛ وإذا أضيف إلى ما وراءه وأمامه تضاعفت

[1]- ينظر: دراسات في النقد العربي، ص197
[2]- المرجع السابق، ص، 199
[3]- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة ، ص 358
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص291.

سهولته، فصارت ركاكة»[1]. وقصد القاضي بهذا الكلام أبي تمام الذي رام الإقتداء بالأوائل فتفاوتت أشعاره في القصيدة الواحدة، بين الجودة والرداءة.

وهكذا نرى أن الجرجاني قد أحس بأثر البيئة وأشاد به وجهد في تفسيره وتبريره وفي الاستشهاد له والبرهنة عليه والوقوف عند أمثلته وكأنه أراد أن يسوقه مذهباً أو كمذهب في الدرس الأدبي بالقدر الذي يسمح به القرن الرابع الهجري[2].

وقد سبق القاضي الجرجاني في الحديث عن تأثير البيئة في الشعر ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء) بل نجد أن القاضي يستشهد بشعر عدي لتبيان مدى تأثير البيئة في الشعر وهو من الأمثلة التي أوردها الجمحي، إلى أن القاضي تميز في طريقة طرحه للموضوع بأن أضاف لتأثير البيئة عوامل أخرى كما رأينا ـاختلاف الطبائع والمزاج النفسي وغيرهاـ وبهذا يكون القاضي قد مهد لتكون هذه الفكرة منطلقاً لمعرفة مدى تأثير السياق الخارجي لنص في جودته وهذا ما تنشغل به مدارس النقد الحديثة.

ثانياً: فصله بين الشعر والفلسفة:

يؤكد القاضي أن الشعر يخالف الفلسفة، فنجده يعيب على أبي تمام قوله:

قَسَمتَ لي، وقَاسَمتَنِي بِسلطَا نِ مِن السِحرِ مُقلتَا عبدُوس
فالقسيم القسام عن لحظات منها يختلسن حب النفوس
فالذي قاسمت بلحظ إذا الليل تمطي من الكرى النفوس

يعلق القاضي: « ولست أدريـ يشهد اللهـ كيف تصور له أن يتغزل وينسب، وأي حبيب يستعطف بالفلسفة؟ وكيف يتسع قلب عبدوس هذا وهو غلام غرٌ،وحدث مترف، لا استخراج العويص، وإظهار المعمّى؟»[3].

فمن البديهي أن يفصل الجرجاني بين الشعر والفلسفة، ذلك أن الشعر يخاطب الشعور والوجدان، ويعتمد على الخيال أداته الرئيسة، أما الفلسفة، فهي ترتكز على العقل والمنطق[4].

---

[1] – الوساطة، ص28

[2]– ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص309

[3]– الوساطة، ص67

[4]– ينظر: شعر القاضي الجرجاني في ضوء فكره النقدي ، دراسة لـ: د. صالح الشتيوي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج19، ع42، 1428هـ

وأبو تمام ليس الوحيد الذي يعاب بإدخاله الفلسفة في الشعر، فقد عاب القاضي على المتنبي عندما « خرج عن رسم الشعر إلى طريقة الفلسفة»[1]. ويفهم من كلامه هذا أن الخروج إلى طريق الفلسفة عيب في الشعر، لأن طبيعة كل منهما تختلف عن الأخرى، ومن أجل هذا يورد القاضي جملة أمثلة من شعر المتنبي، كقوله:

ولَجُدْتَ حتى كِدْتَ تَبْخَلُ حائلاً   للمنتهَي ومن السرورِ بُكاءُ

وقوله:

إلْفُ هذا الهواءِ أوْقَعَ في الأنْـ   ـفس أنْ الحِمامَ مُرُّ المَذَاقِ
والأسَى قبلَ فُرقَةِ الرُّوحِ عَجْزُ   والأسَى لا يكونُ بعد الفِراقِ

فيما يرى البعض أن الأفكار الفلسفية التي يضمنها الشعراء في أشعارهم سمة للتفوق وعلامة على العبقرية، شرط أن تكون مما خف ورق مع ملائمة هذه الأفكار للغرض الذي قيلت فيه وللشخص الذي تقال له[2].

ولكن تاريخ الأدب يؤكد لنا أن العرب قد فصلوا بين الشعر والفلسفة، وذلك عندما قرنوا الشعر، والأدب عامة، بالسحر والكهانة والجنون، وأدركوا أن للكلام تأثيراً قوياً في النفوس وبلغ من انفعالهم بالقرآن الكريم أن دعوا النبي ساحراً وكاهناً ومجنوناً[3].

<u>ثالثاً</u>: العدل ونبذ التعصب في النقد:

يفتتح القاضي وساطته بمقدمة يلح فيها على نبذ الأهواء في ما يصدره الناقد من أحكام ويدعو إلى ضرورة الإنصاف لأنه أصل العدل، ولهذا وضع القاضي خطوطاً عريضة يستوجب على الناقد التقيد بها، للحكم على أي شاعر، بعيداً عن العصبية في النقد التي تكدر الطبع وتطفئ الذهن، وتلبس العلم بالشك، فتحسن للمنصف الميل؛ فإن استحكم التعصب ورسخ في ذهن الناقد صور له الشيء بغير صورته، وحال بينه وبين تأمله ويتخطى به من الإحسان الظاهر إلى العيب الغامض؛ فما ملكت العصبية قلباً فتركت فيه للتثبت موضعاً؛ أو أبقت منه للإنصاف نصيباً[4].

---

[1] – الوساطة، ص160

[2]– ينظر: القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص366

[3] – ينظر: القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص172

[4]– ينظر: الوساطة، ص343

فالحكم النقدي قد يحيد عن الإنصاف والموضوعية، إذا لم يتخل الناقد عن ذاتيته وأحكامه المسبقة، والتي لا تستند على براهين مثبتة، بل تستند على دوافع نفسية محضة كالتعصب والحسد والحقد، ففي مقدمة كتابه يكرر القاضي لفظة الحسد خمس مرات لتنبيه النقاد من خطورة هذه الصفة البغيضة وأثرها السلبي على تقويم أي عمل أدبي، وهذا واضح في ما اقتبسنا من مقدمة الوساطة« والتنافس سبب التحاسد...فلجأ إلى حسد الأفاضل...كم من فضيلة لم تستثرها المحاسد ...لكن برزت فتناولتها ألسن الحُسد...»[1]، هذه الصفة الناتجة عن عصبية غير مبررة حسب رأي القاضي؛ ستجعل من روائع الأشعار ومختاراتها معيبة ناقصة.

ومن هنا كانت دعوة القاضي لنبذ التعصب والعدل في ما يصدره الناقد من أحكام منطلقاً للكثير من الدارسين ليعتبروا في تعليقهم عن منهج القاضي في الدفاع عن المتنبي أنه منهج واضح المعالم، بين الملامح، إذ بدأ بالدعوة إلى العدل في الحكم وعدم تناول الموضوع بروح التحيز والهوى له أو عليه[2].

فالقاضي لا يجامل المتعصبين من النقاد بل يصفهم في أكثر من موضع في وساطته بالنقص والتقصير ولذلك يرى أن « أهل النقص رجلان: رجلٌ أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطبعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه؛ وآخر رأى النقص ممتزجاً بخلقته، ومؤثّلا في تركيب فطرته، فاستشعر اليأس من زواله، وقصرت به الهمة عن انتقاله، فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل...»[3] . فدافع الكثير ممن عاب شعر المتنبي هو الحسد و انتقاص الأفاضل للحط من قيمة أشعارهم، وهي حسب القاضي صفة تكدر صفوة النقد وموضوعيته، فسببها عجز الحاسد وعدم قدرته على الوصول إلى المكانة التي يتبوّؤها المحسود؛ فيعمد إلى الانتقاص من كل ما هو جميل وحسن، والتستر عن عجزه بتهجم عن غيره[4].

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه، ص11
[2]- ينظر: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص 369
[3]- الوساطة، ص 11
[3]-ينظر: القيمة النقدية لكتاب الجرجاني (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، دراسة لحسن أبو الرب، جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد21 (2) العدد1، 2007م

كما أن القاضي يكرر في أكثر من موضع في كتابه ويلح على فكرة الإنصاف والتثبت في ما يصدره الناقد من أحكام؛ وينبه إلى أن « العصبية قد تحمل العالم على دفع العيان وجحد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، والاشتهار بالجور والتحامل»[1].

وثمة مبدأ يسير عليه القاضي الجرجاني، ينتصر فيه لهذه الفكرة النقدية، هو مبدأ (العَدل). والعدل عند القاضي الناقد يستلزم أمرين: الانتصار لمن وقع عليه الجور بسبب ما يُدّعى من نقيصة، والاعتذار لنقائصه إن كانت هذه موجودة حقاً[2]، وعن هذا يقول القاضي: « وكما أن الانتصارَ جانب من العدل لا يسدّه الاعتذار؛ فكذلك الاعتذارُ جانبُ هو أولى به من الانتصار، ومن لم يفرق بينهما، وقفت به الملامةُ بين تفريط المقصّر، وإسراف المفرَّط، وقد جعل الله لكلّ شيء قدراً، وأقام بين كل حديث فصلاً، وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند الآدميّ إلا ما كان في طبيعة وَلدِ آدم...»[3].

فعلى الناقد الحقيقي أن يكون وسطياً عادلاً منصفاً في ما يصدره من أحكام، ومن أجل هذا عليه أن يتجرد من الأهواء الذاتية و الجنوح إلى الموضوعية، إذ لا مكان للأهواء في العلم فيقول: « وكما ليس من شرط صلة رحمك أن تحيف لها على الحق، أو تميل في نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك»[4].

ودعوة القاضي إلى الموضوعية والتجرد من الذاتية والأهواء الشخصية، مردها طريقة النقد التي كانت شائعة في عصره و التي غلب عليها التعصب لبعض الشعراء دون سواهم إذ إن « هذه العصبية تشوه فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، فتفقد الإنسان عفوية الذوق الذي يعد مفتاح لكل عملية نقدية، ثم إن العصبية تكبت في الإنسان كل قدراته العقلية التي على أساسها يبني عمله في تحليل الأعمال الأدبية وتفهمها وتفسيرها»[5]. فالقاضي يعتبر الناقد بمثابة قاضي فهو ملزم بتجرد من أهوائه وميولاته الخاصة فيما يصدره من أحكام.

[1]-الوساطة، ص180.
[2]- ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص269
[3]- الوساطة، ص13
[4]- الوساطة، ص 12
[5]- مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة لـ: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد (01)، 2002م

وهذا ما جعل بعض النقاد يصرون على أنه لا يوجد صفة يتحلى بها الناقد أجل وأعظم من صفة العدالة في وزنها وقيمتها، فيصبح الناقد بذلك بمثابة الحَكَمٌ الأمين الذي ينبغي أن يضع في يده موازين عادلة، رشيدة لا تميل مع أي هوى ولا أي تعصب[1]، فالعدل والإنصاف في الحكم ليس شعاراً بل مبدءاً عمل به القاضي من بداية كتابه إلى منتهاه، وطبقه حتى على نفسه فيقول: « وتحكم علي حكم المنصف المتثبت وتقضي قضاء المقسط المتوقف»[2] وقوله: « ثم انظر وحكم وأنصف...»[3]، فنجده يلح على العدل والإنصاف في كل حكم على اعتباره الهدف والأصل في كل عملية نقدية، فالقاضي الجرجاني رجل لا يعرف التعصب كما يقول محمد مندور[4].

كما أنه يدعو كل ناقد إلى خلع رداء العصبية، فقد « يتفق لأحد هؤلاء غلبة الإنصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت، فيخلع رداء العصبية، ويصغي ويميز فيراجع...»[5].

فالكثير من النقاد تأخذهم عزة النفس على الرجوع عن موقف أو حكم غير منصف أصدروه ظلماً وتعصباً، وإن كان البعض منهم يمتلك صفات الناقد المنصف فلا يتوانى في الرجوع عن موقفه إذا رأى ما ينقضه.

رابعاً: حوافز الإبداع في فن الشعر:

الشعر عند القاضي الجرجاني علم له أدواته وشروطه ومقاييسه الخاصة، التي يجب أن يلتزما بها من أراد قرضه، ومن اجتمعت له هذه الشروط أو العناصر فهو المجيد المبرز فالقاضي يقول:« إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحدٍ من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان»[6].

يجمع القاضي في هذه العبارات المقتضبة، كلاماً بالغ الدلالة بل إنه كلام متقدم على أهل زمانه؛ ومستعصي حتى على نقاد عصرنا الحالي إذ مازالوا منبهرين ومختلفين حوله إذ

---

[1]- **ينظر: النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر ط1 (د.ت)، ص 57.**
[2]- **الوساطة، ص22**
[3]- **المصدر نقسه، ص31**
[4]- **ينظر: النقد المنهجي عند العرب، ص265**
[5]- **الوساطة، ص54**
[6]- **المصدر نفسه، ص 23**

يخرج القاضي الشعر من الإطار الضيق الذي حشر فيه-عندما حددت مقياسه بالوزن والقافية فقط- ليجعله علم من علوم العرب « على أن نفهم مدلول كلمة علم في هذا العصر الذي لم يكن يفرق بين العلم والأدب، ويجعل كلمة (العلم) شاملة لهما. وهو قد تحدث عن حوافز الإبداع الأدبي، وحددها بصورة أدق مما كانت معروفة عند العرب والإفرنج»[1].

فعلى على قدر حظ الشاعر من هذه العناصر يأتي تجويده وتفوقه في ما ينظمه من أشعار على أن درجة الأهمية لهذه الحوافز أو العناصر تختلف من شاعر إلى أخر فإذا « كان تعويل المحدثين على (الرواية) في المقام الأول، فإن تعويل القدماء إنما كان على (الطبع)،رغم أخذهم بالرواية والحفظ»[2]، فالقاضي ينطلق من فكرة مفادها أن العرب كانت« تروي وتحفظ، ويعرف بعضهم برواية شِعر بعض؛ وكما قيل: إن زهير كان راوية أوس، وإن الحطيئة راوية زهير...غير أنها كانت بالطبع أشد ثقة وإليه أكثر استئناساً، وأنت تعلم أن العرب مشترك في اللغة واللسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة »[3].

فقد تفطن القاضي إلى أن الرواية عند العرب بمثابة التلمذة « فمن الشعراء من تتلمذ لغيره بأن صار راوية له فبرز في الشعر سائراً على نهج أستاذه حتى لتتكون أحياناً مدارس بعينها كتلك التي قامت على أوس بن حجر وزهير والحطيئة. وقد أخذ هؤلاء الثلاثة بعضهم عن بعض وحدثنا عن ذلك القدماء، فاستطاع ناقد حديث كالدكتور طه حسين أن يستنبط الخصائص الفنية التي تميز تلك المدرسة وأن يردها إلى تثقيف الشعر، ثم إلى الاعتماد على الخيال الحسي»[4]، فعندما ذكر أن زهيراً كان راوية أوس قصد انه تلميذه ونفس الشيء مع أبي ذؤيب فهو تلميذ ساعدة بن جؤية وغير ذلك من الأمثلة التي أوردها.

ومن هنا اعتبر الكثيرون أن تحديد الجرجاني لعناصر أو حوافز الإبداع في فن الشعر من الاجتهادات الموفقة التي تحسب له، وقد دفعه إلى استنباطها تساؤله الدائم عن أسباب

---

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص132
[2]- التفكير النقدي عند العرب، ص271
[3]- الوساطة، ص23
[4]- النقد المنهجي عند العرب، ص258-259

التفوق في الإبداع الشعري لتكون هذه العناصر- الطبع والرواية والذكاء والدربة- بمثابة الحوافز التي إذا ما توافرت لشاعر اغتفرت زلاته وهناته[1].

فالشعر لم يعد مقياسه الوزن والقافية فقط بل لا بد من طبع وذكاء ودربة ورواية، ولعل الجرجاني قد أفاد من الآراء المتقدمة وبنى عليها، فمن النقاد القدماء من فرق بين الشاعر المطبوع والشاعر الذي يعاود النظر في شعره بالتنقيح والتحسين، وأطلقوا على شعر الثاني شعر الصنعة، كما كنا نقرأ عن زهير بن أبي سلمى وغيره ممن سموا بعبيد الشعر[2].

والواضح من كلام الجرجاني حسب رأي محمد السمرة من خلال تقسيمه لعناصر الفن الشعري (الطبع، والذكاء، والرواية، والدربة) أنها على نوعين: فالطبع والذكاء يولدان مع الفنان، والرواية والدرية تكتسبان فيما بعد[3].

وتحديد القاضي لعناصر أو حوافز الإبداع الأدبي، يعد بحق من القيم النقدية الخالدة في تاريخ النقد العربي القديم، إذ استنتجنا من خلال هذا التحديد درجة النضج التي بلغها التفكير النقدي في ذلك القرن عموماً و عند القاضي الجرجاني بالخصوص.

<u>خامساً:</u> تحكيم الذوق مع التعليل والتحليل:

جعل القاضي من الاحتكام إلى التذوق سبيلاً لكل ناقد من أجل إيجاد حل لما استعصى عليه من المواقف التي يعجز عن تعليلها وتحليلها، ذلك أن القاضي يعتمد وبشكل كبير على تعليلات وتحليلات موجزة تعقب ما يورده من شواهد شعرية، حتى أن الشواهد الشعرية تطغى على الكتاب، فيما تتخللها أحكام نقدية موجزة، ويظهر هذا من خلال الطريقة التي يعرض بها مادة الكتاب؛ فنجده ينصح الناقد الذي يستعصى عليه التفسير أو الحكم على أثر أدبي أو ظاهرة فنية، أن يحتكم إلى« الذوق المصقول المدرب، فقد كان الجرجاني أديباً وناقداً، مرهف الحس...وبهذا جعل الذوق هو الحكم الأخير في روائع الأدب»[4].

---

[1]- ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص270

[2]- ينظر: القيمة النقدية لكتاب الوساطة، دراسة لـ: حسن أبو الرب، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد22 (2)،2007م

[3]- ينظر:القاضي الجرجاني الأديب النافد، ص 133

[4]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص151

فالجرجاني كثيراً ما يترك الحكم لذوقه، فنجده يختار للمتنبي بعض النماذج التي يعدها من عيون شعره، فقصيدة المتنبي التي قالها في مصر، ووصف فيها الحمى، تصادف من ذوق القاضي قبولاً ومن نفسه ارتياحاً:

وَزَائِـرتي كـأَنَّ بـهَا حَـيـاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إلَّا في الظَّلَامِ
بَذَلتُ لهَا المَطَارِفَ وَالحَشَايا فعَافتْها وبَاتتْ في عِظامي
يَضِيقُ الجِلدُ عَن نَفْسي وعَنها فـتُوسِـعهُ بأَنوَاعِ السَّقَـام

يعلق القاضي بقوله: « وهذه القصيدة كلها مختارة لا يعلم لأحد هي معناها مثلها، والأبيات التي وصف فيها الحمى أفراد قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس»[1].

فالحكم الصادر عن ذوق مجرب، مصقول بالدربة وطول الملابسة، يكسبه مصداقية يستغني معها المتلقي على حاجته إلى الشرح والتفسير[2].

وعليه نجد القاضي الجرجاني يعطى للذوق أهمية بالغة في تمييز جيد الكلام من رديئه سواء كان هذا الكلام شعراً أو نثراً كما في قوله: « فإن العامي قد يميز بذوقه الأعاريض والأضراب، ويفصل بطبعه بين الأجناس والأبحر»[3].

واحتكام القاضي إلى ذوقه الشخصي نابع من إيمانه الراسخ بفكرة مفادها أن أي عمل أدبي يقاس « بمقدار تأثيره في نفس السامع وهزها، وهذا لا يكون إلا بما يحويه من عناصر إنسانية صادقة يكون لها صدى في النفوس، وهذا اتجاه نفسي في النقد قل أن تجد له مثيلاً عند النقاد الآخرين والحق أن صفة الإنسانية واضحة عند هذا الناقد في كثير من اتجاهاته»[4].

فنجده يعلق على قصيدة للبحتري بقوله: « ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقد ما يتداخلُك من الارتياح، ويستخفك من الطرب إذا سمعته، وتذكر صَبوَة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك، ومصورة تلقاء ناظرك»[5]،ولا يكتفي القاضي بهذا التعليق الذي يميل فيه إلى ذوقه

[1]- الوساطة، ص108-109
[2]- ينظر: معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص28
[3]- الوساطة، ص 343.
[4]- النقد المنهجي عند العرب،ص 263
[5]- الوساطة، ص33

الفني النابع من إنسانيته الطاغية على الكثير من أرائه النقدية، فنجده يقول: « فإن قلت: هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به، والهوى يسرع إليه فأنشد له في المديح قوله:

بلونا ضرائب مَنْ قَد نَرى فما إن وجدنا لفَتْح ضَرِيبَا
هو المرء أبدت له الحادثا ت عزماً وشيكاً ورأياً صليبا
تنقَّل فــي خُـلُقَي سُـؤددٍ سمـحاً مُرجًّى وبأساً مَهِيبا
كالسَّيف إن جئته صارخاً وكالبحر إن جئته مستثيبا»[1].

فالقاضي يعطي بعداً إنسانياً نفسياً للنقد، إذ استسقى بعض أرائه النقدية من ذوقه الشخصي النابع من تركم خبراته الأدبية.

ومع هذا يظل التعليل ضروري لتعزيز ما يذهب إليه أو ما يصدره الناقد من أحكام في ذهن القارئ، كما هو الحال عندما يعرض بعض ما عيب على المتنبي ثم يعرض بعض جيده فيقول: « وليس من شرائط النصفة أن تنعى على أبي الطيب بيتاً شذّ، وكلمة ندرت وقصيدة لم يسعده فيها طبعه ولفظة قصرت عنها عنايته، وتنسى محاسنه وقد ملأت الأسماع، وروائعه وقد بهرت، ولا من العدل أن تؤخره الهفوة المنفردة، ولا تقدمه الفضائل المجتمعة، وأن تحطهُ الزلة العابرة ولا تنفعه المناقب الباهرة»[2].

وقد أورد القاضي الكثير من الأمثلة معتمدا على منهج المقايسة بين الأشباه والنظائر، كما فعل في تعليله لما عابه النقاد على أبي الطيب من إفراط و إغراق وغلو في الكثير من أشعاره كما في قوله:[3]

ولـوُ قَلَـمُ ألقيتُ في شقِّ رَأسِهِ من السُقمِ ما غيرتُ من خَطِّ كاتِبِ

فبعدما يورد القاضي هذا البيت مع مجموعة أخرى من أبيات المتنبي، و التي بالغ فيها وأغرق في ألفاظها ومعانيها، يورد في المقابل مثيلتها من أشعار المتأخرين والمتقدمين ليبرر إفراط المتنبي ويؤكد أن الإفراط مذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون[4].

---

[1]- المصدر نفسه، ص33
[2]- المصدر نفسه، ص 92.
[3]- ديوان،المتنبي، ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت(د.ط)1983م ج1ص139.
[4]- ينظر: الوساطة، ص 348.

فالقاضي يدعو صراحة إلى الاعتداد في النقد بالذوق المثقف الذي يعتمد على إقامة الحجة ومقارعة الدليل بأقوى منه، ولا يعترف بالنقد الذاتي[1]، وهذا ما يشي به قوله: « فأما وأنت تقول: هذا غث مستبرد، وهذا متكلف متعسف، فإنما تخبر عن نبو النفس عنه، وقله ارتياح القلب إليه»[2]، أما التعليلات الموجزة التي يعقب بها القاضي الشواهد الشعرية، فقد استندت إلى حجج وبراهين انطلاقاً من فكرة المقايسة التي اعتمدها الجرجاني في مادة الكتاب، فهو يورد ما عيب على المتنبي ويقيسه بشواهد متعددة من شعر القدماء والمحدثين من أجل بيان أن ما عيب على أبي الطيب يعاب على غيره أيضاً.

سادساً: الحكم الفاصل بين طرفي المخاصمة:

الجزء الأخير من الوساطة يضعنا في أجواء محاكمة بين متنازعين، يكون القاضي الجرجاني هو المستمع لطرفي النزاع، ثم يفصل بين المتخاصمين بإصدار الحكم، هذا الحكم « هو النهاية التي ينتهي إليها كل نقد، أو محاكمة، لأن فيه يكون القول الفصل بين المتنازعين، والجواب الموضح للغامض المبهم من الأمور، ومن البديهي أن الحكم لا يتخذ شكلاً واحداً ثابتاً، بل يتغير ويتحول وبتغير القضايا المطروحة، وبتـغير المرجـعية المعتمدة في ذلك»[3]، وربما كان لاشتغال الجرجاني بالقضاء تأثيره الواضح في معالجته لمادة كتابه الوساطة، كما هو الحال في تعامله مع ما أُخـذ عن المتنبي، فيـقول عـلى لسان خصوم المتنبي: « قد صغر الليلة ثم استطالها فقال: لُيَيْلَتنا المَنُوطة بالتناد. قال أبو الطيب: هذا تصغير التعظيم، والعرب تفعله كثيراً، قال لبيد:

وكلُّ أُنَاسٍ سَوفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُويهِيةٌ تَصْفرُّ منهَا الأنَامِلُ

أراد لطف مدخلها فصغرها. وقال الأنصاري: أنا عُذَيْقها المُرَجَّب، وجُذَيلُها المُحَكَّك؛ فصغر وهو يُريد التعظيم»[4].

وبعدما يريد القاضي حجة طرفي الخصومة، يدلي بحكمه وهو الفاصل في المسألة مع الالتزام بالوسطية وعدم الميل لطرف دون آخر، فيقول: «أما تصغير اللفظ على تكثير

---

[1]- ينظر: النقد الأدبي، مصطفى السيويفي، دار البيان للطباعة مصر (د.ط)، 2002م ص15
[2]- الوساطة، ص91
[3]- مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة لـ: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، الجزائر، ، العدد (01)، 2002م
[4] -الوساطة، ص379-380

المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ ولكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دويهية في هذا الموضع تصغير في المعنى واللفظ، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا لا يكون لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتك به الإبل...وقول أبي الطيب"لُييلتنا" خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله: "المنوطة بالتناد" فقد بين أنه لم يرد قصر مدتها»[1].

فتصور لنا الوساطة محاجات بين طرفي القضية - المتنبي و خصومه- تنتهي بالحكم الفاصل الذي يصدره القاضي الجرجاني، والذي جعل من العملية النقدية « محاكمة ترتفع فيها الدعوات، ويختصم في ظلالها المختصمون وفيها يبت في الأمور بتا عادلاً، يوفر لكل ذي حق حقه، وينزل كل منزلته التي أنزله فيها عمله وأوصله إليها جده ومثابرته»[2].

وقد كشف هذا المنهج الذي يتبعه القاضي على جانب آخر من شخصية المتنبي الشاعر فعرفنا على شخصية المتنبي المطلع والحافظ لعلوم اللغة وتراثها الأدبي وكأن الجرجاني يحاول أن يعرض المآخذ التي عابها القدماء على المتنبي، مشفوعة برأي الشاعر فيها وتعليله إياها، وبتالي يبقي المجال مفتوحاً أمام المطلع على الوساطة؛ وهذا حين يقرأ المآخذ التي عابها القدماء على المتنبي، ورد المتنبي عليها[3].

ورغم أن هذه الطريقة في التناول انحصرت في الصفحات الأخيرة من الكتاب، وهي الصفحات التي خصصه المؤلف لما أنكره خصوم أبي الطيب في بعض أشعاره؛ ومع هذا تعد هذه الطريقة سابقة تفرد بها القاضي حين منح الفرصة للشاعر كي يرد عن ما كان يؤخذ عليه.

سابعاً: منهج القاضي في الوساطة

إذا كان الآمدي قد اعتمد على (الموازنة) في عمله النقدي، لأنه كان أمام شاعرين(أبي تمام والبحتري) ولأن بينهما نقاط توافق ونقاط اختلاف، مما أتاح الفرصة أمام الآمدي وبشكل كبير للموازنة بين هذه النقاط، ولكن ما يثير التساؤل؛ على ماذا سيتكئ القاضي

1- المصدر نفسه، ص380

2- مفهوم النقد الأدبي في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني، دراسة لـ: بالقاسم مالكية، مجلة الأثر، الجزائر، ، العدد (01)، 2002م

3- ينظر:القيمة النقدية لكتاب الوساطة، دراسة لـ: حسن أبو الرب، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المجلد 22 (2)،2007م

الجرجاني في محاولته التوسط بين طرفي الخصومة حول شعر المتنبي من هنا كانت « المقايسة هي المبدأ الكبير في نقد الجرجاني؛ فالناقد الذي يتحرى الإنصاف قبل أن يفرد عيوب شاعر أو حسناته بالتميز عليه أن يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء، فلا يستهجن خطأه في اللفظ لأنه قلما تجد شاعراً سلم من هذا الخطأ، ولا يستنكر خطأه في المعنى فكم عدد العلماء من صنوف هذا الخطأ في شعر الأقدمين، ولا يسقط شاعر بسبب التفاوت في شعره»[1] .

ولنفهم منهج القاضي في الوساطة نعيد إلى الذاكرة المشهد الذي تهجم فيه الحاتمي على المتنبي« فحينما اقتحم عليه مجلسه في دار البصري وأخذ يسرد ما استرذله من شعره لم يكن دفاع المتنبي عن نفسه فيما حكاه الحاتمي إلا أن قال: أين أنت من قولي كذا وكذا؟ أما يكفيك إحساني في هذه وتغفر لي إساءتي في تلك؟!!»[2] .

فالقاضي عندما يحاول أن ينصف المتنبي،لا يقوم بمناقشة ما حاول خصومه تخطئته فيه بل يقيسه بأشباهه ونظائره عند الشعراء المتقدمين، ويبين أنهم لم يسلموا هم أيضاً من الخطأ وعليه فإن « أساس منهج الجرجاني في النقد يمكن أن نلخصه في جمله واحدة هي أنه رجل " يقيس الأشباه والنظائر" وعلى هذا الأساس بني معظم "وساطته" بين المتنبي وخصومه»[3].

ولا يعني القول بأن القاضي قد اعتمد على منهج قياس الأشباه بالنظائر في دفاعه عن أخطاء المتنبي، عدم وجود طرق أخرى استعان بها في الرد عن المعيبين عن شاعره فنجده يلجأ إلى « مناقشة المأخذ الفنية واللغوية، التي أخذها بعض النقاد عليه، ورأى أنها

تحتاج لمناقشة وتصويب أن أمكن، توجيه ألفاظها ومعانيها على نحو مخالف لتوجيهات هؤلاء النقاد الذين هم أحد رجلين، إما نحوي لغوي لا بصر له بالشعر، وإما معنوي لا علم له بالإعراب ولا اتساع: له في اللغة»[4]، وكشف الجرجاني في هذه المناقشات عن علمه

---

[1]- ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص309

[2]- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص234

[3]- النقد المنهجي عند العرب، ص256

[4]- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، ص112

الواسع بعلوم اللغة، وإحاطته بجانب لا بأس به من المسائل اللغوية على اختلافها بين المدرستين الكوفية والبصرية.

كما أن الكثير من الدارسين يلح على أن « المقايسة التي سار عليها-القاضي الجرجاني- لا تخلو من مزالق كالتعميم والإيهام المنطقي وعدم الوقوف على رأي قاطع لا سيما فيما لا يمكن الاتفاق عليه بين النقاد ذوي الأذواق المختلفة»[1] .

وقياس الأشباه بالنظائر ليس سبيل القاضي الوحيد في الدفاع عن المتنبي، بل قد استعان بطريقة ثانية، قام فيها بالأخذ من حسنات الشاعر بمقدار سيئاته، أي من كل سيئة حسنة أو أكثر، والحكم له أو عليه يكون من خلال طغيان الحسنات على السيئات أو العكس؛ وسمى هذه الطريقة (المقاصة) وصرح بذلك في قوله: « هذا ديوانُه حاضراً و شعره موجوداً ممكنا هلم نستقرئه ونتصفحه، ونقلبه ونمتحنه، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات وبكل نقيصة عشر فضائل، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته، وقادك الاضطراب إلى القبول أو البهت، ووقفت بين التسليم والعناد عدنا بك إلى بقية شعره فحاججناك به، وإلى ما فضل بعد المقاصة فحكمناك إليه»[2].

والأمر الذي اعتمده القاضي في المقاصة هو« ما قال أبو إسحاق القيرواني من أنه " قد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظة ويمر البيت من خلال الأبيات وتعرض الحكاية في عرض الحكايات يتم بها المعنى المراد وليست مما يستجاد»[3].

وطريقة المقاصة سارت جنباً إلى جنب مع طريقة قياس الأشباه والنظائر في دفاع القاضي الجرجاني على المتنبي.

وما يتفق عليه الكثير من الدارسين لكتب تراث النقد العربي، أن كتاب (الوساطة بين المتنبي وخصومه) يعد بحق بصمة مشرقة ومتميزة في تاريخ النقد العربي، وهذا مرده أن« التفكير النقدي عند الجرجاني يتسم بقدر كبير من النضج والكمال، يدنو به من أن يكون منظراً أدبياً كبيراً، إذا لم يقف القاضي عند حد وصف الظواهر والتعليق العابر عليها، بل

---

[1]- اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، ص276
[2]- الوساطة، ص55
[3]- القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص239

تعدى ذلك إلى آفاق التفلسف وبيان الماهِيات والعِلل، ومرجع ذلك قدرته، فيما يبدو، على الإحاطة بطبيعة الشعر العربي قديمه وحديثه وتحديد آفاق التجديد التي طرأت عليها»[1].

[1]– التفكير النقدي عند العرب، ص291

مدخل:

بلغ عدد ما أحصيناه من المصطلحات النقدية والبلاغية(57مصطلحاً) وهي عينة تمثل أهم المصطلحات في الوساطة وليست كلها، فالمصطلحات التي يتضمنها هذا الكتاب أكثر بكثير من هذا العدد، فاكتفينا بهذا العدد مع إعطاء كل مصطلح حقه من التفصيل والتدقيق.

ومجموع مرات تكرار هذه المصطلحات بالإضافة إلى ما تبعها من اشتقاقات ومرادفات في كتاب الوساطة بلغ(**1637 مرة**)، وقد كان هناك تباين في عدد مرات تكرار كل مصطلح وما دخل تحته من مشتقات.

ويمكن توزيعها على الشكل التالي:

مرات التكرار	عدد المصطلحات ومشتقاتها	النسبة
من 1إلى 50	890	%54،4
من 51 إلى 100	485	%29،6
أكثر من 100	262	%16

ما نخلص إليه من خلال التمعن في هذا الجدول:

1ـ أكثر المصطلحات تكراراً في الوساطة مصطلح المعنى مع تنوع الأوصاف والنعوت والعيوب التي أضافها القاضي له، وإن كانت أغلب الدراسات المصطلحية في المدونات النقدية خاصة و الأدبية عموماً أهملت إدخال هذا المصطلح في جملة المصطلحات التي تحصيها في أي مدونة سواء كانت حديثة أو قديمة، على اعتبار أن وجود هذا المصطلح تحصيل حاصل ومجبر كل مؤلف على استخدامه، غير أننا وجدنا في تميز القاضي وتفرده في التعامل مع هذا المصطلح سبباً مقنعاً لإيراده، كما أنه المصطلح الوحيد الذي فاق عدد مرات وروده(100مرة) بنسبة(16%)من مجموع المصطلحات التي أحصيناها.

2ـ ولأن قضية السرقة قد شغلت الحيز الأكبر من كتاب الوساطة، فقد تكرر مصطلح السرقة مع ما تبعه من مشتقات(47مرة) بنسبة(2،9%)من مجموع المصطلحات المحصاة وهي نسبة عالية إذا ما علمنا أن القاضي تكلم عن السرقة باستعمال مصطلحات دالة عنها (القلب–الأخذ–الزيادة–الاحتذاء–النقل...) هذه المصطلحات تكررت في مجموع مرات ورودها مع ما تبعها من مشتقات(206مرة) بنسبة(12،6%) من مجموع المصطلحات

المحصاة؛ وإن كانت هذه المصطلحات منفردة لم يتعد أي منها في مرات تكراره عتبة (50مرة) باستثناء مصطلح الأخذ(74مرة) بنسب(4،5%).

3ـ ولأن مؤلف الوساطة قاضي فقيه فإن المصطلحات المتداولة في القضاء وبين أطراف المنازعة كان لها حصة كبيرة من المصطلحات الواردة في الوساطة، وهي مصطلحات استخدمها القاضي استخدام نقدي لفض النزاع بين طرفي المحاكمة القائمة بين ـالمتنبي وخصومه ـ وقد وجدنا أن أغلب هذه المصطلحات وما تبعها من مشتقات فاق عدد مرات ورودها عتبة (50مرة). فنجد الاحتجاج وما تبعه تكرر(71مرة) بنسبة(4،3%)من مجموع المصطلحات المحصاة، ومصطلح التفضيل وما تبعه تكرر (74مرة) بنسبة(4،5%)من مجموع المصطلحات المحصاة، بالإضافة إلى مصطلح الوساطة ومصطلح الاستشهاد اللذان لم يتعديا عتبة(50مرة) وهذه المصطلحات مجتمعة بلغ عدد مرات تكرارها مع مشتقاتها (192مرة) بنسبة(11،7%) من مجموع المصطلحات المحصاة.

4ـ ولأن القاضي في الجزء الأخير أمعن وتوسع في كلامه عن الكثير من المسائل المتعلقة باللغة، وجدت هذه المصطلحات مكاناً لها في كتاب الوساطة وحازت على نسبة مهمة مجموع المصطلحات، فنجد من هذه المصطلحات(الحذف والفساد واللحن والإحالة والغلط والأصل...) التي تكررت في مجموعها مع ما تبعها من مشتقات(138مرة) بما نسبته (8،4%).

5ـ وكان لمصطلح الأوائل وما تبعه من مشتقات حضور في كتاب القاضي نظراً لاعتماده الكبير على ما قاله أسلافه، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على سعة اطلاعه على ما خلفه سابقوه، فقد تكرر هذا المصطلح مع ما تبعه من مشتقات (74مرة) أي ما نسبته(4،5%)من المصطلحات المحصاة.

6ـ والكثير من الدارسين يعتبرون كتاب الوساطة تمهيداً للفصل بين المصطلحات النقدية والبلاغية، ويتضح هذا من خلال المصطلحات البلاغية الخالصة التي أوردها القاضي و فصّل في الكلام عنها ـ وإن كان في توظيفها تراوح بين النقد والبلاغة ـ متطرقاً إلى أقسامها وعلاقاتها وأدواتها وتحديداً ذكر القاضي (الاستعارة، التجنيس، المطابقة،التشبيه،المبالغة...) وقد وجدنا أن مصطلح التشبيه وما تبعه أكثر هذه المصطلحات تكراراً (83مرة) ما نسبته

(07،5%)من مجموع المصطلحات المحصاة، بينما هذه المصطلحات مجتمعة تكررت في مجموع مرات ورودها(152مرة) ما نسبته(28،9%).

ومن خلال هذه الاستنتاجات استطعنا أن نرسم خارطة نتقصى من خلالها أهم المصادر والمؤثرات التي أسهمت في بناء هذا الهيكل المصطلحي المترامي في صفحات الوساطة والمتميز بتنوعه وغناه وعدم انحصاره في حقل معرفي أو توجه فكري بعينه بل كانت الشمولية والقبول للفكر الآخر هي السمة الغالبة عليه.

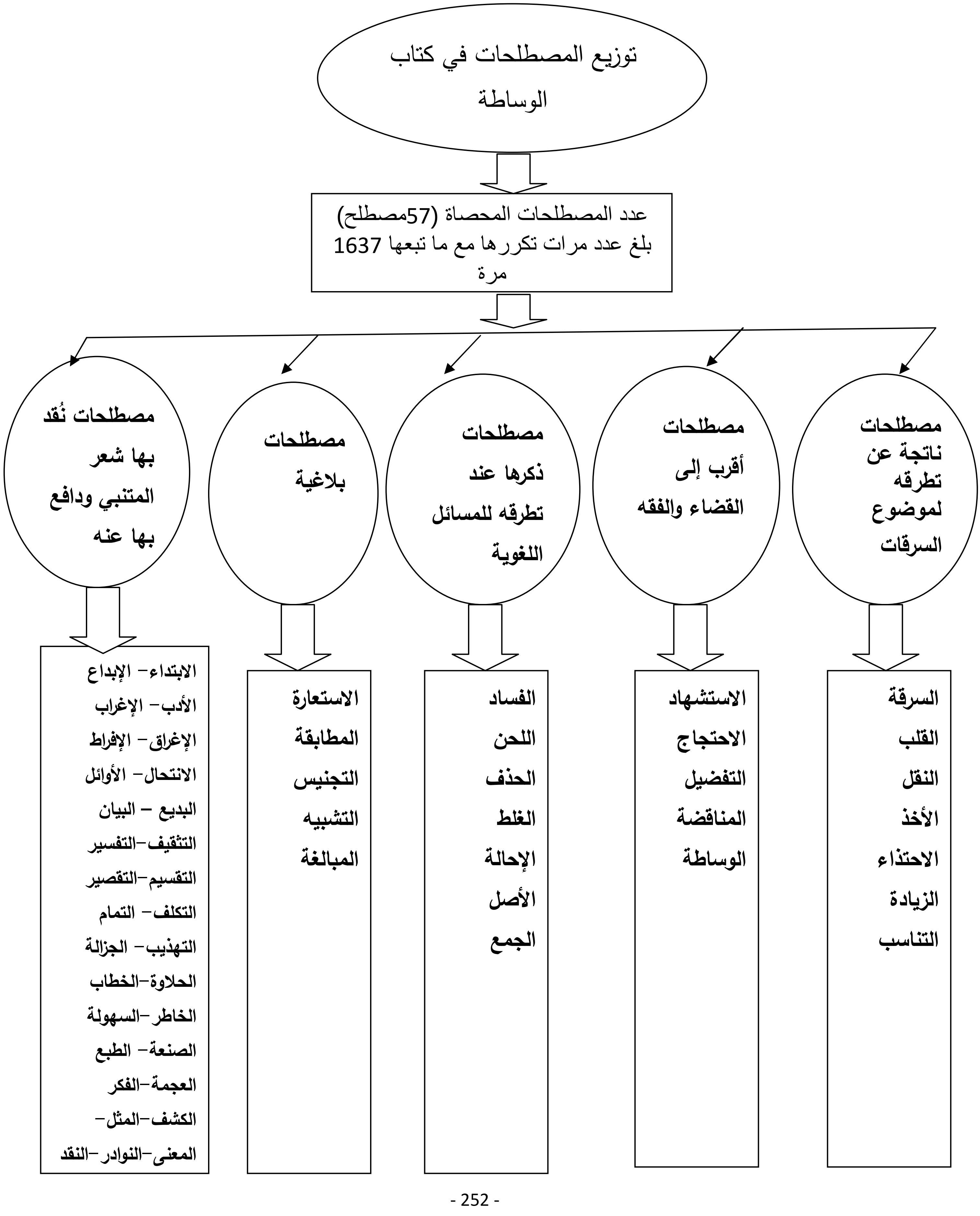
توزيع المصطلحات في كتاب الوساطة
عدد المصطلحات المحصاة (57مصطلح)
بلغ عدد مرات تكررها مع ما تبعها 1637 مرة
مصطلحات ناتجة عن تطرقه لموضوع السرقات
مصطلحات أقرب إلى القضاء والفقه
مصطلحات ذكرها عند تطرقه للمسائل اللغوية
مصطلحات بلاغية
مصطلحات نُقد بها شعر المتنبي ودافع بها عنه
السرقة
القلب
النقل
الأخذ
الاحتذاء
الزيادة
التناسب
الاستشهاد
الاحتجاج
التفضيل
المناقضة
الوساطة
الفساد
اللحن
الحذف
الغلط
الإحالة
الأصل
الجمع
الاستعارة
المطابقة
التجنيس
التشبيه
المبالغة
الابتداء- الإبداع
الأدب- الإغراب
الإغراق- الإفراط
الانتحال- الأوائل
البديع – البيان
التثقيف-التفسير
التقسيم-التقصير
التكلف- التمام
التهذيب- الجزالة
الحلاوة-الخطاب
الخاطر-السهولة
الصنعة- الطبع
العجمة-الفكر
الكشف-المثل-
المعنى-النوادر-النقد

المبحث الأول: مؤلفات أسلافه القدماء:

إن تأثر القاضي بما خلفه أسلافه من النقاد والبلاغيين وحتى النحاة واللغويين كان له الأثر الواضح فيما استعمله من مصطلحات بل وفي ما اتبعها من اشتقاقاتها ومرادفات فالقاضي يعد ابناً باراً لهذا التراث، فلم يخرج عن المتعارف عليه حول المعنى العام لكل مصطلح، وربما كان تميزه وتفرده في توظيفه لهذه المصطلحات وفق منهج خاص قام فيه بالمقايسة والمناظرة بين الأشباه والنظائر.

أما عن قولنا باعتماده على ما خلفه القدماء من نصوص فكان واضحاً وجلياً، وقد ذكر القاضي بعض هذه المصادر التي اعتمدها في كتابه أو ذكر مؤلفيها دون ذكر لمؤلفاتهم ولأننا وجدنا أن أغلب الدراسات التي اهتمت بجوانب مختلفة في دراستها لكتاب الوساطة أهملت هذا الجانب رغم أهميته، كونه المنبع الرئيسي الذي استقى منه القاضي الجرجاني أغلب مصطلحاته التي أحصيناها سابقاً، ثم طرحها لنا بطريقة متميزة وفريدة أظهر فيها شخصية الناقد الفذ والأديب المتمرس الذي لم يكتف بالنقل عن سابقيه بل زاد عنهم في الكثير مما أخذ.

والغاية من معرفة المصادر التي اعتمدها القاضي في وساطته، التمكن من تمييز النتائج والأفكار وحتى المصطلحات التي توصل إليها القاضي بنفسه، ونظيرتها التي نقلها عن سابقيه، وأدرجها ضمن كتابه، وهذا هو السبيل الوحيد لتقييم جهود القاضي الجرجاني وأهمية كتابه الوساطة.

ولأن أغلب الدارسين اكتفوا بإشارات سطحية وتلميحات إلى مصادر القاضي دون التفصيل في ذكرها، فحاولنا تتبع بعض المصادر التي اعتمدها القاضي في وساطته منطلقين من عدة اعتبارات فرضت علينا أن نقسم ما أحصيناه من مصادر إلى قسمين- اخترنا فيهما أشهر العلماء-(قسم للعلماء الذين ذكرهم دون أن يذكر مؤلفاتهم وقسم للعلماء الذين ذكرهم مع مؤلفاتهم):

أ- <u>من أخذ عنهم دون ذكر لمؤلفاتهم:</u>

1- الجاحظ:

ذكر القاضي اسم الجاحظ مرتين في الوساطة، كانت إحداهما في قوله: ÷ وحكى الجاحظ

عن بعض الحكماء أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً ومجداً، فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال×[1]، والأخرى في قوله: ÷ أنشد الجاحظ لبعضهم:

غزا ابنُ عميرٍ غَزْوةً تركت لها ثناءً كرِيح الجَوْرَبِ المتمزق×[2].

وكُتب الجاحظ لا غنى لأي مؤلف أو باحث في النقد عليها، لأنها تمثل الكتابات الأولى والمصدر الرئيسي لكل من أراد الكتابة في أغلب القضايا النقدية، وربما يمكننا أن نذكر بعض النقاط أو القضايا التي سبق أن ذكرها الجاحظ في مؤلفاته خاصة في كتابه (البيان والتبيين) وتناولها القاضي في وساطته؛ وهذا لا يعني أنه أخذها عليه فالقاضي لم يشر لذلك بل يمكن أن يكون قد اطلع عليها وكانت له منطلقاً، ومن هذه الأفكار النقدية ما أشار إليه الدكتور عبد العزيز قلقيلة؛ فيذكر أن الجاحظ تطرق لشروط الأديب أو حوافز الإبداع الفني كما أشرنا إليه سابقاً(الطبع والرواية والدربة والذكاء) ثم يعلق: ÷ والتشابه واضح بين هذا الذي يرويه الجاحظ... وبين ما قاله القاضي من أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له ... ×[3].

كما أن دعوة الجاحظ الصريحة للبعد عن الهوى والمحاباة في النقد؛ وضرورة أن يكون النقد موضوعياً معللاً ومبنياً على أسس تبعده عن التحيز والتعصب... وأن للنقد رجاله المتخصصين فيه[4]، يتفق مع المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه منهج القاضي في الوساطة وهو" العدل والإنصاف ونبذ التعصب في الحكم "[5]، كما أن القاضي يرى أن لكل صناعة أهلها[6]، وهذا ما ذكره الجاحظ كما أشرنا.

وتعد هذه عينة من بعض الآراء النقدية التي يتوافق فيها الجاحظ والقاضي، وإن كان القاضي قد أخذ عن الجاحظ فلابد أنه قد تأثر بطريقة توظيفه للمصطلحات كما يمكن أن يكون قد استلهم منه المفاهيم العامة لبعضها.

2-الأصمعي:

ذكر الجرجاني اسم الأصمعي في واحد وعشرين موضعاً في الوساطة، وأغلب ما نقل

---

[1] - الوساطة، ص322
[2] - المصدر نفسه، ص332
[3] - ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص143
[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص146-147
[5] - يراجع نفسه، ص60-61
[6] - يراجع نفسه، مصطلح الصنعة، ص194

عنه كان عبارة عن روايات ومقارنات بين الشعراء، فنجد قوله: ÷ وأنشد الأصمعي قول مزرد ابن ضرار:

ومَسْفُوحَةُ فَضْفَاضّةُ تُبَّعِيَّةُ   وَآهَا القَتِيرُ تَجْتَويهَا المَعَابِلُ

قال الأصمعي: لئن كان أجاد في وصف الدرع لقد عاب لا بسها...وأنشد:

الدِّرعُ لا أبغي لها ثروة   كل امرئ مستودع ماله

هكذا الأصمعي ينشده ويقول في معناه: كل من قدر عليه الشيء أصابه×[1]. وما أورده القاضي من أبيات أنشدها الأصمعي، مصدرها مما اطلع عليه القاضي من مؤلفات الأصمعي التي لم يذكر أياً منها؛ كما في قوله: ÷ وقد حكى الأصمعي أن أخوين من العرب مكثا متهاجرين زماناً، وهما يحلان ويرتحلان معاً...×[2]، كما يورد القاضي رأي الأصمعي في شعر الكميت ومقارنته بشعر الطرماح وذي الرمة[3].

3-الفراء:

ذكر القاضي اسم الفراء في أربعة مواضع في الوساطة، واستعانة القاضي بآراء الفراء كان في الجزء الأخير من كتابه، أي الجزء المخصص للمسائل اللغوية التي أثارها خصوم المتنبي في شعره، فنجد القاضي يستعين بالفراء في الدفاع عن المتنبي، كما في تبريره لاستعماله لـ(إلا) في قوله:

ليس إلاك يا عليُّ همام   سيفه دون عِرضه مسلولُ

يعلق القاضي: ÷ وقد روى الفراء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه:

فما نبالي إذا ما كنت جارتنا   ألا يجاورنا إلاك ديار×[4].

ثم يضيف: ÷ وأنا أرى ألا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة وناهيك الفراء×[5].

كما استعان القاضي بشواهد الفراء، للرد على خصوم المتنبي الذين عابوا عليه إضافة

---

[1]- ينظر: الوساطة، ص361

[2]- المصدر نفسه، ص367

[3]- يراجع نفسه، مصطلح اللحن وينظر:الوساطة، ص ص354،334،333،329،166،141،56،53،20،19،17، 387،386،376،361

[4]- الوساطة، ص378

[5] - المصدر نفسه، ص378، وينظر:385،383

الهاء بـ(قلباه)، فيرد القاضي بقوله: ÷ وقد أجاز الفراء وغيره إلحاق هذه الهاء في الوصل وروى فيه:

يا ربِّ يا ربَّاه إياك أسل عفواً أيا ربَّاه من قبل الأجَل×[1].

وإطلاع القاضي على كتب الفراء ـ وإن لم يذكرها ـ مكّنه من الاستشهاد بآرائه وربما التأثر بمصطلحاته وإن لم يظهر ذلك جلياً.

4-الصاحب ابن عباد:

ذكر القاضي صديقه الصاحب مرة واحدة في الوساطة، وقد ذكرناها سابقاً[2]، ومن أهم الأفكار النقدية التي يتفق فيها رأي القاضي مع الصاحب، التفاوت في شعر المتنبي ولهذا نجد ÷ الصاحب يبرهن على تفاوت شعر المتنبي وربما كان يعتذر عن هذا التفاوت بقوله: وأي عالم لا يهفو؟ وأي صارم لا ينبو؟ وأي جواد لا يكبو؟!!×[3]، وهذا ما يخبرنا به القاضي في وساطته، عندما يعتبر أن التفاوت شائع عند الشعراء سواء كانوا قدماء أو محدثين.

5-ابن قتيبة:

ذكره الجرجاني مرة واحدة يتيمة في الوساطة، كانت في قوله:÷ وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هدبة:

ولا أتمنَّى الشرَّ والشرُّ تارِكي ولكن متى أُحْمَل على الشرِّ أرْكَب

أنه مأخوذ من قول تأبط شراً:

ولَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذا الدهرُ سرَّني ولا جازعٍ من صَرْفِه المتحوِّلِ×[4].

وابن قتيبة كان لغوياً نحوياً درس الشعر وقد ألف كتابين في النقد(الشعر والشعراء) و(أدب الكتاب) ومن أبرز القضايا النقدية التي ذكرها القاضي الجرجاني في وساطته وكان÷ لابن قتيبة فيها رأي جريء هي الخصومة بين القدماء والمحدثين، والقدماء هم أنصار الشعر الجاهلي والأموي إلى نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني أي إلى

[1]- الوساطة، ص383
[2]- يراجع نفسه، ص33
[3]-القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص184
[4]- الوساطة ، ص184

مـا بعد جرير والفرزدق* بقليل، أما المحدثون فهم من أتوا بعدهم وأنصارهم×[1]، وكما رأينا في موقف القاضي من هذه القضية، فإنه في عمومه لا يختلف عن موقف ابن قتيبة، فمقياس المفاضلة بين الفريقين-القدماء والمحدثون- هو الجودة ولا فضل لمتقدم على متأخر[2].

وفي حديثه عن تأثير البيئة على الشعر يستشهد ابن قتيبة بشعر عدي ابن زيد، والذي سبقه في التمثيل بشعره ابن سلام الجمحي في نفس القضية، وعلى طريقهما سار القاضي في التمثيل بشعره لتبيين موقفه من أثر البيئة على اختلاف جودة الأشعار[3].

6-الصولي:

ذكره القاضي مرة واحدة فريدة، في قوله: ÷ وهذا كما زعما الصولي أن قول البحتري:

علي تحت القوافي من مقاطعها وما علي إذا لم تفهم البقرُ

مأخوذ من قول البحتري:

لا يَدْهمَنَّكَ من دهمائهم نَفر فإنَّ جلهُمُ بل كلُّهُم بقرُ×[4]

والقاضي يتهم الصولي بادعاء السبق في العلم بنقد الشعر، بعدما أورد هذه الشواهد[5].

وللقاضي الجرجاني رأي يتفق مع رأي الصولي في قضية العلاقة بين الدين والأدب أو الشعر، فكلاهما يرى بضرورة الفصل بين الأمرين.

ويرى عبده قلقيلة أن الصولي في كتابه (أخبار أبي تمام) سبق القاضي في التماس عيوب القدماء دفاعاً عن أبي تمام[6]؛ ومن هنا يمكن القول إن القاضي استقى منهجه في الدفاع عن أبي الطيب، والذي قابل فيه عيوب شعر المتنبي بمثيلاتها في أشعار القدماء من خلال إطلاعه على منهج الصولي في الدفاع عن أبي تمام.

---

*كانت وفاتهما سنة 110هـ

1- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص150، وينظر: النقد المنهجي عند العرب، ص266

2- يراجع نفسه، ص51-52-53

3- الوساطة، ص25

4- ينظر: المصدر نفسه ، ص291

5- يراجع نفسه، مصطلح النقد، ص241

6 – ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص169

وطرحنا لمثل هذه القضايا التي سبق بعض النقاد القاضي الجرجاني في طرحها يعطينا فكرة عن مرجعيات القاضي التي تكونت من خلالها المفاهيم العامة لما ضمنه من مصطلحات في كتابه الوساطة؛ كما يمكننا هذا من تقييم جهد القاضي الخاص، ويكون هذا بمعرفة مواضع إبداعه وابتكاره التي تفرد بها والتي لم يعتمد فيها على أفكار غيره أو ما أضافه على ما وجده وعدم اكتفائه بالنقل.

ب-من أخذ عنهم مع ذكر مؤلفاتهم:

1-أبو زيد الأنصاري وكتابه (النوادر):

ذكر القاضي اسم أبي زيد الأنصاري ست مرات في الوساطة، وذكر في مرة واحدة منها أنه نقل عن كتابه النوادر، كانت في رده على من عاب على المتنبي حذفه النون من (تكن) لأن حذفها عند استقبال اللام خطأ، كما في قوله:

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَأِ الأَغَنِّ الشِّيحُ

فيرد القاضي: ÷ ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه النوادر، وأنشد فيه لحسين بن عرفطة:

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أن هاجَه رَسْمُ دَارٍ قد تَعَفَّى بالسُّرذر

وأبو زيد ثقة والرواية عن العرب حجة×[1]. كما ذكر اسم أبو زيد في ما كان يجري بين الرواة و الشعراء، يقول: ÷ ثم استعرضت إنكار الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهها، وما جرى بين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه×[2].

كما نقل القاضي الكثير مما أنشده أبو زيد، فتكررت عبارة ÷ أنشده أبو زيد...×[3].

2-أبو حاتم السجستاني وكتابه (الإبل):

ذكر القاضي الكتاب ومؤلفه في قوله: ÷ إنه قد جاء عن العرب خُماس وسداس إلى عشارة؛ حكاه أبو عمرو الشيباني وابن السكيت، وذكره أبو حاتم في كتابه الإبل×[4].

3-أبو عبيدة وكتابه(مجاز القرآن):

[1] -الوساطة، ص366
[2] -المصدر نفسه، ص17
[3] -المصدر نفسه، ص16
[4] - المصدر نفسه ، ص379

ذكر القاضي اسم أبو عبيدة في خمسة مواضع في الوساطة، كان في واحدة منها مرفقاً بكتابه مجاز القرآن: ÷ وزعم أبو عبيدة في (المجاز) أنه لا يعلمهم قالوا فوق رباع، وهؤلاء ثقات لم يحكموا إلا ما علموا×[1]، كما نقل الكثير مما روي عنه كما في قوله: ÷ زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب... ×[2] ، وقوله:÷ حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد الله ابن الزبير...×[3].

4- ابن السكيت وكتابه (أدب الكتاب):

ذكر القاضي اسم ابن السكيت في ثلاثة مواضع في الوساطة، أرفقه في إحداها باسم كتابه أدب الكتاب، فيقول على لسان أبي الطيب: ÷ يقال أترجة وأترج وترج، حكاها أبو زيد وذكرهما ابن السكيت في أدب الكتاب×[4].

5-أبو عبيدة وكتابه (الغريب المصنف):

ذكره القاضي مرة واحدة في وساطته، كانت في معرض دفاعه عن مآخذ العلماء على المتنبي في قوله:

أَثَابَ بها مُعْيِي المِطيِّ ورَازِمُهْ إذا ظفرت منك العيون بنظرة

يعلق القاضي: ÷ فزعموا أن كلام العرب: ثاب جسم فلان: رجع لقوته بعد المرض؛ وهذا أبو زيد يروي عن العرب: أثاب الرجل إذا ثاب إليه جسمه، وقد حكاه عنه أبو عبيد في الغريب المصنف، وحكي غيره ثاب وأثاب بمعنى واحد×[5].

6- ديوان أبي نواس:

ذكره القاضي ونسب شرحه لابن السكيت، يقول: ÷ وهو الشيخ المقدم والإمام المفصل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي، وفسر ديوانه ابن السكيت×[6]، فالقاضي يصف يصف أبا نواس بالشيخ والإمام المفضل والمقدم ويشير إلى اطلاعه على ديوانه الذي فسره ابن السكيت.

---

[1] – المصدر نفسه، ص379

[2] – المصدر نفسه، ص169

[3]– المصدر نفسه، ص168، وينظر: المصدر نفسه: ص385،56

[4] – الوساطة، ص389، وينظر: المصدر نفسه: ص379،56

[5]– المصدر نفسه، ص365

[6]– المصدر نفسه، ص365

7-ديوان الأقيشر:

ذكر القاضي الديوان وصاحبه و أشار إليه أكثر من مرة في الوساطة، كما في قوله: ÷ وأنا أرتاب من أبيات الأقيشر؛ فإنها لا تشبه شعره، ولم أرها في ديوانه×[1]. واستشهد القاضي بالكثير من ا لأبيات التي نسبها إلى الأقيشر.

8-أشعار الهذليين:

ذكر القاضي في تعليقه عن قول أحد الشعراء الهذليين: ÷ ومن ذا يسمع قول الهذلي:

أبو مالك قاصِرُ فَقرَه   على نفسه ومُشِيعُ غِناهُ
إذا سُدْتَه سُدْت مِطْواعةّ   ومهما وَكَلْت إليه كفاهُ

فيشك أنها تندر فلتة، وتصدر بغتة، وأن لها مقدمات سهلت سبيلها، وأخوات قربها مأخذها؛ وهي في شعر الهذليين أبيات لم يرو لشاعر غيرها ×[2].

ولم يكتف القاضي بذكر شعر الهذليين عامة بل خصص كل شاعر على حدا، فنجده يستشهد بشعر أبي ذؤيب، وأبي خِرَاش الهذلي، وأبي صخر الهذلي...[3].

9-شعر العجاج(جيميته):

ذكره القاضي واستشهد بشعره للفصل بين طرفي الخصومة، فعندما قالوا: ÷ "مخشلبا" ليس من كلام العرب. فقال أبو الطيب: هي كلمة عربية فصيحة، وقد ذكرها العجاج. ولست أعرفها في شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن العرب×[4]، كما أشار لجيميته واستشهد بالكثير من أبياتها: ÷ وقد استعمل العجاج في قوافي جيميته ألفاظاً منه×[5]، وذكر له قصيدة أخرى، في قوله: ÷ كما فعل أبو نخيلة بأرجوزة العجاج×[6].

10-ديوان أبي تمام:

---

[1] - المصدر نفسه، ص172 وينظر: المصدر نفسه، ص16

[2]- الوساطة، ص141

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص221،179،21

[4]- المصدر نفسه، ص381-382

[5]- المصدر نفسه، ص382

[6]- المصدر نفسه، ص169، وينظر: المصدر نفسه، ص393،385،382،381

ذكر القاضي ديوان أبي تمام أكثر من مرة، كما في قوله:÷ وأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسمين...×[1]، وقوله: ÷ وأعجب من ذلك شاعر يرى ذلك الغُرّرَ في ديوانه كيف يرضى أن يقرن له ذلك الغرور×[2].

هذه عينة فقط من بعض المصادر التي استعان بها القاضي في دفاعه عن المتنبي وصرح بها، ولعل ما لم يصرح به أكثر بكثير، لكن ما عرفناه يعطينا فكرة عن مرجعيات القاضي التي استعان بها وأسهمت في توجيه استعماله لبعض المصطلحات وطريقة تناوله لكثير من القضايا.

وما يلفت النظر أن القاضي يتجاهل ذكر الآمدي ولا يصرح بما أخذه من كتاب الموازنة رغم أن نقاط التداخل بينهما كثيرة، فمثلاً يتعامل مع مصطلح السرقة وفق التقسيم الظاهر الذي سبق أن قال به الآمدى حيث أن:[3]

أ- هناك معانٍ مشتركة مبتذلة لا يصح أن تكون لشاعر دون آخر.

ب- هناك معانٍ احتازها الشعراء السابقون، وأصبحت من حقهم لأنهم ابتدعوها وهي التي يمكن أن تكون من البديع المخترع.

ج- هناك معانٍ محورة، مجددة، قد تمت إلى معاني شعراء سابقين أو إلى معان مبتذلة فيكون للشاعر حق تحريرها أو تجديدها.

فقد تمثل الجرجاني بما جاء به الآمدى في تقسيمه لمصطلح السرقة، واستعان بمصادر أخرى خاصة بالسرقات جمعها في قوله: ÷ ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي الطاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام، وتتبعه بشر بن يحيى على البحتري، ومهلهل بن يموت على أبي نواس...×[4]، لكن هذا لم يمنعه من أن يضيف لهذا المصطلح ما يتميز به به عن من سبقه، فقد جعل القاضي السرقة درجات، أقلها سرقة الألفاظ وأقصاها سرقة المعاني، وقد تخفى فلا يتبينها سوى الخبير المقتدر العارف بأسرار الشعر ومواطنه.

---

[1]- المصدر نفسه، ص347

[2]-المصدر نفسه، ص28

[3]- تاريخ النقد والبلاغة، ص370، وينظر، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص315

[4]- الوساطة، ص181

كما أن القاضي نأى بنفسه على أن يتهم أي شاعر بسرقة، فهو يعذر الشعراء المتأخرين، لأن الأول لم يترك للأخر من المعاني إلا اليسير.

فاستفاد منه في الكثير من القضايا وتبعه في غير قليل من المصطلحات؛ مما جعل أحد الدارسين المحدثين يقول:÷ وأشهد لقد كان يخيل إلي وأنا أقرأ الموازنة في هذا الموضع أنني أقرأ الوساطة، وبالعكس×[1].

وإذا ما نظرنا إلى تعامل القدماء مع مصطلحات التكلف والصنعة والطبع، نجد أنهم اكتفوا بالتميز أو الفصل بين المتكلف من الشعر والمطبوع، إذ يقول ابن قتيبة: ÷ ومن الشعراء المتكلف والمطبوع، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر.... والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، واراك في صدر البيت عجزه...×[2]، فيما ظلت نظرتهم للعلاقة بين الشعر المطبوع والمصنوع غير محددة فلم يكن هناك فصل بين المصطلحين حتى جاء الجرجاني في القرن الرابع الهجري ليضع حداً فاصلاً بين المصطلحين إذ÷ يعد من أكثر نقاد القرن الرابع الهجري إدراكاً للعلاقة الجدلية بين الطبع والصنعة، حتى أنه يصف قصيدة(الحمى) لأبي الطيب بأنها جاءت "مطبوعة مصنوعة" فيلتقي الطبع والصنعة نعتاً لنص واحد، ذلك أن الجرجاني أدرك أن الطبع يستوعب الصنعة وهي تسعى إليه×[3]، وهذا مخالف لما اعتمده الآمدى في الموازنة بين الطائيين إذا اعتمد على الطبع والتكلف كأساس للمفاضلة بينهما، على اعتبار أن عمود الشعر يقوم على الطبع، والتكلف خروج عنه.

كما لم يخرج الجرجاني في كلامه عن (الناقد البصير) عن ما ذكره الآمدى، فالناقد عند الجرجاني هو الناقد نفسه عند الآمدى، فنفس الشروط التي يشترطها القاضي في الناقد الحقيقي؛ وضعها صاحب الموازنة في كتابه، إلا أنها أوسع عند الجرجاني منها عند الآمدى[4].

وربما دفع اعتماد الجرجاني الكبير على الآمدى بعض الدارسين إلى تقديمه عليه كما فعل محمد مندور فيقول: ÷ ونحن بعد نضعه في المرتبة الثانية بعد الآمدى. وذلك لأن

---

[1]- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص129

[1]- الشعر والشعراء، ص12

[3]- ينظر: معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص160

[4]-ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص313

معظم أرائه العامة عن الحقائق الأدبية قد سبقه إليها صاحب الموازنة×[1]، أو جعل كتابه وكتاب الموازنة توءماً كما فعل سلام زغلول إذ يقول: ÷ نستطيع أن نضع كتاب الجرجاني في موضعه اللائق في تاريخ النقد العربي، ونقولك انه وكتاب الموازنة توءمان يقيمان منهجاُ واضحاً لدراسة الشعر ونقده×[2] .

ولا يقصد بهذا التقليل من مكانة القاضي الجرجاني ومن قيمة الجهد الذي بذله في تأليف كتابه الوساطة، فالقاضي وإن أخذ عن من سبقه إلا انه لم يقف عند حد الأخذ بل طور وجدد؛ بل تفرد وتميز بالكثير مما أضاف، مما جعل إحسان عباس يعتبر أن القاضي الجرجاني ÷ اعتمد بعض الآراء التي وضعت قبل زمنه وحاول ترسيخها بالتوضيح والشرح والتدقيق في التفصيلات× وهذا يتفق مع ما قاله محمد السمرة عندما رأى أن القاضي الجرجاني قد ÷ عالج قضايا كبرى، وأخرى ثانوية، وبينا أنه قد سُبق إلى الكثير من أرائه ولكنه مع هذا يبقى ناقداً فذاً، ومنارة لا يخبو نورها في تاريخ النقد الأدبي عندنا، لأن المهم في الناقد روحه، ومنهجه، وذوقه، قبل آرائه×[3].

ويكفي القاضي أنه استطاع أن يطلع على هذا الكم الهائل من آراء سابقيه ويصوغها من جديد مع استغلالها في الدفاع عن المتنبي؛ كما فعل بآراء ابن سلام في أثر البيئة وصناعة الشعر، وموقف ابن قتيبة من القديم والحديث، وآراء الأمدى في عمود الشعر والسرقات... ليكون بهذا ÷ خاتمة النقاد التأثرين عند العرب الذين كان لهم فضل كبير على عبد القاهر الجرجاني وعلى الذين درسوا المتنبي فيما بعد كالثعالبي صاحب" يتيمة الدهر" والعميدي صاحب" الإبانة عن سرقات المتنبي" والبديعي صاحب " الصبح المنبي عن حيثية المتنبي" وغيرهم من النقاد والمؤلفين×[4].

وعرضنا لما أخذه القاضي عن بعض النقاد كما يرى عبده قلقيلة[5]، الغاية منه أن نعرف ما هو له خالصاً من دون الناس وما هو للناس خالصاً من دونه فنكون قد وضعنا الأمور في نصابها ورددنا الحقوق إلى أصحابها وبهذا نحسن تقويمه ونعدل في الحكم له أو عليه.

---

[1]- النقد المنهجي عند العرب، ص307
[2]- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص371
[3]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص183
[4]- ينظر: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص332
[5]- القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، ص 137

المبحث الثاني: أثر القضاء والثقافة الفقهية:

عرف بين النقاد والدارسين والمترجمين لسيرة حياته من المؤرخين بالقاضي الجرجاني رغم أن اسمه عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني، فتركت كل هذه الكنيات ولقب بالقاضي، وربما قد نبحث له عن لقب آخر أو كنية فلن نجد وإن وجدنا فلن نخرج على من يصفه بالفقيه الشافعي، ومرد هذا أن ما يفصح عليه أسلوبه ولغته في التأليف تجعلنا نشعر أننا أمام ÷ القاضي الذي أشرب طبعه وذوقه وعقله حب العدالة ومجانبة الهوى ودقة الحكم، وهي نزعة لا بد أنه قد استمدها من تجاربه الطويلة في القضاء وتمرسه بواجباته×[1].

فنستطيع القول أن لغة القاضي التي صخرها في تأليفه لكتاب الوساطة هي لغة القضاء كما يصفها محمد مندور÷ هي أشبه باللغة التي لم نعد نسمعها اليوم إلا من الرهبان الذين ينفقون حياتهم بالأديرة في خدمة العلم، بل قل أنها لغة القضاء، ومن خير القضاة، وهذا
واضح لا في الروح فحسب بل وفي الأسلوب وطرق العبارة×[2] .

ومنصب القضاء في الدولة الإسلامية في فتراتها المختلفة، لم يكن يمنح لأيٍ كان بل هناك شروط أو صفات يستوجب توفرها في شخصية من يشغل هذا المنصب، ومن هذه

[1]- القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص229
[2]- النقد المنهجي عند العرب، ص254

الصفات ÷ أن يكون متصفاً بالصفات التقليدية من رجولة وعقل وحرية وإسلام وعدالة وسلامة حواس، ثم العلم الكامل بأحكام الشريعة×[1].

إذا فأهم شرطين يستوجب توفرهما في شخص من يشعل منصب القضاء هما (العقل والعلم)؛ أما العقل فلا يكتفي فيه بالعقل الفطري الذي يصح معه التكليف، بل يشترط أن يكون القاضي صحيح التميز جيد الفطنة بعيداً عن السهو والغفلة ليتوصل لحل المشكلات وفهم المعضلات.

وكذلك العلم لا يجب أن يقتصر فيه على العلم بالمدركات الضرورية بل يراد به العلم بأصول الشريعة وفروعها(العلم بكتاب الله عز وجل...العلم بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم... العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوقة)[2].

ومن هنا يمكن القول أن القاضي ما كان ليتبوأ هذا المنصب لولا رجاحة عقله وتمام دينه ونضج شخصيته وهذا ما يتضح جلياً من خلال ما يستعمله من عبارات ومصطلحات في كتابه الوساطة.

فنجده يقيم أركان وساطته وأسسها، معتمداً أو منطلقاً مما تشبعت به روحه طيلة مدة اشتغاله بالقضاء، فتكون الوساطة بمثابة المتنفس للملكة الإبداعية التي طال كبتها، فنجده يقول: ÷ وقد وفينا لك بما اقتضاه شرطُ الضمان وزِدنا، وبرئنا إليك مما يوجبه عقد الكفالة وأفضنا، ولم تكن بُغيتنا استيفاء الاختيار، واستقصاءَ الانتقاد، فيقال: هلا ذكرتَ هذا فهو خير مما ذكرت، وكيف أغفلت ذلك وهو مُقدَّم على ما أثبت! وإنما دعوناك إلى المقاصّة وسِمْنّاك في ابتداء خطابنا المحاجّة والمحاكمة، فلزمنا طريق العدل فيها... وأن فيما غادرنا منه ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك، ولا تضعف معه محاجّتك، ولعلك إذا رأيت هذا الجدّ في السعي والعنف في القول تقول: إنما وقفت موقف الحاكم المسدد، وقد صرت خَصْماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط ثم أراك حزباً منازعاً. فإن خطر ذلك ببالك وحدثتك به نفسك فأَشْعِرها الثقة بصدقي، وقرر عندها إنصافي وعدلي، واعلمُ مُبَلغ، وسامع مُؤَدّ، واني كما أناظرك أناظر عنك، وكما أخاصمك أخاصم لك؛ فإن رأيتني جاوزت لك موضوع حجة فردني إليها، ونبهني عليها، فما أُبَرئُ نفسي من الغَفْلَةِ، ولا أَدّعي السلامة من

---

[1] – القاضي الجرجاني و النقد الأدبي، ص51

[2]– المرجع نفسه، ص51

الخطأ؛ والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من التوسط، وعناية الخصم بشهوده أتمّ من عناية الحاكم×[1].

هذا الاقتباس يكشف لنا الكم الهائل من الاصطلاحات القانونية والفقهية، التي يستعملها القاضي، فهو يعتبر نفسه موكلاً بالفصل في الخصومة، فيقول: ÷ وشرعت شروع القاضي المتوسط × فينتهج منهج القضاة عندما يأخذون بالمقاصة، فيسقطون ما على الخصم مقابل ماله، وهذا هو منهجه في كل كتاب، فهو يورد عيوب المتنبي ثم يشغلها بمحاسنه ليعمل المقاصة في الجانبين[2].

ويظهر جلياً مدى تأثير عمل الجرجاني في ميدان القضاء على ما كان يصدره من أحكام، ويعالجه من قضايا، وما كان يستعمله من مصطلحات.

فقد درس القاضي علوم الدين واللغة ونال حظاً من العلوم والآداب، حتى صار علماً اسمه على كل لسان، لكمال علمه وذيوع أخباره، بين العامة وطلاب العلم في عصره، فقد عمل في القضاء عند الصاحب ابن عباد، وقد تركت مهنة القضاء أثراً بالغاً في نفسية وسلوك الجرجاني في الحياة، ومن هذه الخلفية لم يرق له موقف بعض الناس من المتنبي بين مادح مفرط في المدح وقادح مغالٍ في القدح، فتحرك فيه ذوقه الشعري ليرسم نظرات نقدية منصفة في حق علم من أعلام الأدب، وتأججت فيه مشاعر القاضي الغيور على الإنصاف حين يشعر بوقوع الظلم على أحد من الناس، وكأنه شعر بأن واجبه كقاضي يوجب عليه الحكم في مثل هذه المخاصمات الشعرية كما كان محتم عليه الحكم بين خصمين في مسألة من مسائل الحياة[3].

وقد بدا هذا جليّاً في فكرة (العَدْل)، التي أدار حولها معظم ردوده على خصوم المتنبي. وقد انبثق عن فكرة العدل جملةُ من الأفكار الجزئية التي انبثَّت ملامُحها في تضاعيف الوساطة: الاعتذار للمتنبي، والدفاع عنه، والمعاملة بالمِثْل. كما تجلَّى هذا التّأثُّر باستخدام القاضي كثيراً من مصطلحات القضاء: العدل، والدِّفاع، والْجَرْح، والحكومة، والحكم والحجة والقضاء، والشهادة، والبيِّنة[4].

[1]- الوساطة، ص155-156

[2]- ينظر: النقد المنهجي عند العرب، ص254

[3]- ينظر: مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، دراسة: لحسن أبو الرب، المجلد22 (2)،2007

[4]-ينظر: التفكير النقدي عند العرب، ص291

والأساس الذي تقوم عليه فكرة العدل عند الجرجاني يلزمه من جهة بالدفاع عن المتنبي والرد على منتقديه، ومن جهة ثانية الاعتراف بنقائصه والكشف عنها.

فالمطلع على كتاب الوساطة تشعره أغلب مصطلحاته أنه أمام حاكم أو قاضي يدير محاكمة بين متخاصمين ÷ ولا أدعي السلامة من الخطأ؛ والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من التوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم×[1]، وقوله: ÷ وليس الحكم بين القدماء و المولدين من التوسط بين المحدث والمحدث بسبيل×[2].

والقاضي الجرجاني لا يفوت فرصة إلا واستغلها من أجل إظهار ثقافته الفقهية، فهو يفتخر بكونه فقيهاً شافعياً، فلا تخلو الوساطة من مسائل فقهية وظفها القاضي في قضايا نقدية، كما هو الحال عند تعرضه لمعنى كلمة الأيّم لغة وشرعاً لورودها في قول أبي تمام:

حلَّتْ محلَّ البِكْر من مُعْطّي وقد   زُفَت من المعطِي زِفَافَ الأيِّم

فيخوض في هذه المسألة الفقهية مستشهداً بالقرآن والسنة ومستعيناً بآراء الإمام الشافعي في هذه المسألة التي استغرق حديثه فيها ثلاث(03) صفحات، فيقول: ÷ فجعل الأيم مقابل البكر في التقسيم، والأيم قد تكون بكراً؛ وإنما هي التي لا زوج لها...فأما قول النبي(ص): " الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها" فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة....فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيم الثيب، وليس يحفظ عنه، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم والثيب في اللغة عبارتان عن معنى واحد...×[3].

فالقاضي يشير إلى عدم وجود شيء في كُتب الشافعي يدل على أن الأيم والثيب لهما دلالة واحدة، فالقاضي يصرح باطلاعه على كتب الشافعي كاملة، وتصفحها فلم يجد لهذه المسألة إشارة تؤكد اتفاق الكلمتين في المعنى، ويجدر الإشارة إلى أن القاضي ذكر اسم الشافعي أكثر من أربع مرات في الوساطة.

ويكفي القاضي أن يطلع على كتب الشافعي حتى يتشبع ويتأثر بفكره الفقهي، مما ينعكس على أسلوبه ونظرته لبعض القضايا، كما أن تأثير ثقافته الفقهية كان واضحاً من خلال طريقة رده على خصوم المتنبي وكثرة استشهاده بالقرآن والحديث الشريف.

1- الوساطة، ص156
2- المصدر نفسه، ص52
3 – ينظر: الوساطة، ص75

فقد بلغ عدد الآيات القرآنية التي استشهد بها أو ذكرها القاضي في سياق حديثه في وساطته (18 آية) قرآنية، وأما عدد الأحاديث النبوية التي استشهد بها في مسائل مختلفة فقد بلغ(05 أحاديث) منها ما ذكره في قضية البيئة وأثرها على أسلوب الشعر؛ ومنه ما استشهد به في موضوع السرقات؛ ذلك أنه من الشعراء من يأخذ معاني الأحاديث النبوية ويضمنها في شعره، وعموماً أغلب الأحاديث التي أوردها كانت للفصل في ما أختلف حوله من مسائل لغوية في شعر المتنبي.

ويكون القاضي الجرجاني بهذا قد ألف كتاباً في النقد أبان فيه عن قدر كبير من الثقافة الفقهية-من خلال ما عرضه من مسائل- واستطاع أن يوظف قدراً من المصطلحات التي أغرب ما تكون إلى النقد؛ توظيفاً يكشف عن تشبعه بروح القضاء وميله إليها.

المبحث الثالث: المسائل اللغوية:

حفل الجزء الأخير من كتاب الوساطة بالكثير من المسائل النحوية والصرفية، التي تطرق لها القاضي من جانب نقدي÷ فانتشرت مصطلحات البصريين والكوفيين في ثنايا كتاب الوساطة، واستعملها الجرجاني من دون ترجيح تماشياً مع ما شاع في الدرس النحوي في عصره، فكشف القاضي عن شخصية المتنبي اللغوية من خلال كتاب الوساطة، فقد نقل الجرجاني في مواضع كثيرة عن المتنبي أقوالاً وردوداً وتعليقات صرفية ونحوية ساقها أبو الطيب دليلاً على استقامة أبياته الشعرية وسلامتها اللغوية×[1].

فالجرجاني عندما قسم خصوم المتنبي إلى صنفين÷ إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر، فهو يتعرض إلى انتقاد المعاني لما يدل على نقصه ويكشف عن استحكام جهله... أو معنوي مدقق لا علم له بإعراب ولا اتساع له في اللغة، فهو ينكر الشيء الظاهر وينقم الأمر البين×[2].

وفي ما أثارته هذه المسائل النحوية والصرفية من خلاف بين خصمي الوساطة، تدخل القاضي العادل، ليحكم بعين العالم الملم بأنواع العلوم بما في ذلك علوم اللغة مستخدماً بعض المصطلحات النقدية والتي أغرب ما تكون إلى كونها مصطلحات لغوية كالغلط

[1]- ينظر: المسائل الصرفية والنحوية في الوساطة، ص136
[2] -ينظر: الوساطة، ص360

واللحن والفساد في اللغة و والإحالة التي تحيد الكلام عن وجهه وتسبب الخطأ في الإعراب و حتى الحذف والزيادة و التقصير، وهي حسب رأينا ما كان القاضي ليأتي على ذكرها لولا تطرقه لهذه المسائل اللغوية.

فالرد على ما عابه اللغويون عن المتنبي كشف القاضي عن بعض العيوب المسكوت عنها منطلقاً من مبدأ أساسه أنه إذا ÷ كان يؤخذ على المتنبي والمحدثين أغلاط في النحو و المعاني، فقد وقع القدماء في مثلها×[1].

فنجد القاضي في دفاعه عن المتنبي عندما طعن في شعره من جهة الإعراب واللكنة يؤكد أن ما وقع عليه الطعن من جهة الإعراب، واللكنة في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البينة، والتقصير الفاحش[2].

ويتغاضى الجرجاني عن الكثير من الأخطاء اللغوية التي وقع فيها الشعراء المحدثون على اعتبار أنها من دواعي الضرورة الشعرية التي يجب أن نجيزها لشاعر فالكثير من ÷ النحاة و اللغويين أجازوا للشاعر ركوب الضرورة- وهم حراس اللغة والقائمين على نقائها وسلامتها- لإدراكهم حاجة الشاعر إلى هامش من الحرية تسمح له بالانزياح عن الاستخدام العادي للغة. والعدول عن بعض القواعد دون إفراط أو تفريط×[3].

وسبب حاجة الشاعر إلى ركوب الضرورة الشعرية هو إقامة الوزن وإيقاع القافية باعتبارهما قيدين شعريين على نحو ما[4].

وغاية القاضي من إجازة الضرورة الشعرية للمحدثين هو تبرير أخطاء المتنبي و إنصافه بين شعراء عصره ومن سبقوه، فلا حرج على أبي الطيب في إتباع فصحاء العرب في ضروراتهم، فمثلا في قوله:

مَضَى بَعْدَمَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعَةً   كَمَا يَتَلَقَّي الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الهُدْبَا

يعلق القاضي: ÷ فأنكروا تثنية الرماح، وهو جمع رمح فحاجهم أبو الطيب ببيت أبي النجم:

تنقلتُ من أول التنقل   بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ ونَهْشَلِ

---

[1]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص124-125

[2]- الوساطة، ص360

[3]- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص46

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص56

والتثنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس، وأكثر ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النجم وأضربه من الشعراء العرب، فهم القدوة وبهم الائتمام، وفيهم الأسوة×[1].

ولا يعني هذا أن القاضي يجيز للشاعر ركوب الضرورة الشعرية إجازة مطلقة؛ بل يستعين بها إذا اضطر إليها، في حين لا يعذر الشاعر فيها، عندما يترك الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية أو حاجة ماسة[2].

ومن خلال كلامه نتأكد أن القاضي محيط بآراء الكوفيين والبصريين اللغوية فهو يحتج من هذا ومن ذلك فيذكر على لسان المحتج: ÷ هذا لعمري أصل القياس في النحو؛ غير أن ضرورة القياس تجيز ترك القياس في النحو، وقد أجازوا ذلك في النكرات، وهو في الجواز من هذه المعارف؛ قال الشاعر:

صـاحِ هــلْ أبْصـرْت بالــخّبْــ ـتَيْنِ من أَسْمَاءّ ناراّ

وقال العجاج:

جــاري لا تـستـنكـري عــذيــري ....*

فإذا جاز هذا في النكرات فهو في المعارف أجوز؛ مع أن النحويين قد ذكروا ذلك وأدخلوه في أبواب ضرورة الشعر.

وقوله:

بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا التكلّم دُلُّها تِيهاّ وَيَمْنَعُهَا الحَيَاءُ تَميسَا

فنصب تميس مع حذف أن، وهو عند النحويين ضعيف، ولا يجيزون النصب على إضمار أن، إلا أن يكون عوض، وقد أجازه الكوفيون، وأنشدوا قول طرفة:

أَلَا أَيُّهذا اللَّائِمِي أَحْضُرَ الوَغّى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

بإضمار أن، والبصريون يروونه على الرفع×[3].

لم نستشهد ونمثل للمصطلحات النقدية التي ذكرها القاضي عند تطرقه للمسائل اللغوية لأننا سبق وأن ذكرنا أغلبها، بل وأحصيناه ومثلنا له في معجم المصطلحات[1].

---

[1]- الوساطة، ص173

[2]- ينظر: معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص55-56

* لم يرد الشطر الثاني من البيت، ولم يشر له المحقق في الإحالة

[3]- الوساطة، ص385-386

[1] – يراجع نفسه، مصطلح الإحالة، الفساد، الحذف، الأصل، التقصير.....

مدخل:

شغل كتاب الوساطة منذ تأليفه وإلى العصر الحالي الكثير من الدارسين، ولعل مرد هذا الانشغال والاهتمام يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة شخصية مؤلف هذا الكتاب، والذي يضاف إلى كونه ناقداً وأديباً متمرساً؛ طول اشتغاله بالقضاء وتمكنه من علوم الدين والتفسير وامتلاكه لغة الفقهاء وأسلوبهم ومصطلحاتهم، وهذا ما انعكس بشكل أو بآخر على مادة كتابه، وعلى منهجه الذي سار عليه في معالجته لبعض القضايا؛ والتي وإن سبقه إليها الكثير من أسلافه النقاد، غير أنه وجد لنفسه طريقة في التناول والمعالجة لهذه القضايا تميزه عن من سبقه، بل تجعله محور الاهتمام والمصدر الرئيس لمن يبحث أو يستفسر حول ما أثير من خلاف بين النقاد حول أهم القضايا في تاريخ النقد العربي القديم.

ولأن المصطلحات في كتاب الوساطة- وهي محور هذه الدراسة- تشكل المفاتيح الأساسية التي يمكن من خلالها، التعرف على موقف القاضي من أهم القضايا التي أُختلِف حولها في نقدنا القديم؛ وهذا من خلال ما يوظفه وطريقة توظيفه وتعامله مع كل مصطلح، وجب علينا الوقوف على المفاهيم العامة لهذه المصطلحات في فكر القاضي الجرجاني.

وبما أن القاضي لم يذكر تعريفات أو يحدد معاني أو مفاهيم ما يستعمله من مصطلحات؛ ذلك أنه لم يكن في كتابه بصدد التعريف بها بل كان يذكرها في سياق تعليقاته على بعض الشواهد الشعرية، أو في محاجاته لخصوم المتنبي، فوجب علينا استنباط معاني تلك المصطلحات من خلال تتبع أشكال ورودها في نصوص مختلفة؛ من أجل الخروج بمفهومها الحقيقي الذي لم يصرح به القاضي وإن كان متأصلاً في تفكيره وعقله.

وليس بخفي على كل مطلع على كتاب الوساطة اختلاط مسائل النقد بالبلاغة، وهذا الاختلاط بين مسائلهما أمر طبيعي ما دام موضوعهما واحد وهو النصوص الأدبية كما يقول عبده قلقيلة[1]، فالفصل بين النقد والبلاغة أمر تأباه طبيعة الأشياء من جهة وتاريخ تطور النقد من جهة ثانية.

ومع هذا هناك اتفاق بين عدد لا بأس به من الدارسين، حول أسبقية القاضي في التأسيس للفصل بين المصطلحات النقدية والبلاغية، كما يرى محمد مندور[2]، عندما يعتبر

[1]- ينظر: القاضي الجرجاني والنقد الأدبي، عبده قلقيلة، ص378

[2]-ينظر: النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، ص266

أن القاضي مهد السبيل إلى تحويل النقد إلى بلاغة وذلك لأنه لم يعتمد على النقد الموضوعي قدر اعتماده على المبادئ العامة التي حاول أن يستخلصها أو ينمها إن كان قد سبق إليها.

وعموماً هذا ما حولنا الوقوف عليه من خلال خطوات هذه الدراسة التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1-إحصاء المصطلحات وما يتبعها من اشتقاقات
2-تقسيم المصطلحات ومشتقاتها إلى حقول أو مجموعات تشترك في نفس الجذر
3-التعريف اللغوي للمصطلح الأهم في كل مجموعة وبعض مشتقاته
4-التعريف الاصطلاحي لجذر المصطلح في كل مجموعة وبعض مشتقاته
5-تحديد عدد مرات ورود المصطلح وما تبعه من اشتقاقات تحديداً دقيقاً
6-إيراد معنى المصطلح عند القاضي مع التمثيل
7-ذكر أوصاف ونعوت و عيوب المصطلحات المحصاة-إن وجدت-
8-آثرنا أن نشير للقضايا التي أثارها القاضي حول بعض المصطلحات
9-نختم عرضنا لكل مصطلح ومشتقاته بخلاصة لأهم ما ذكرناه عنه

مع الإشارة إلى أن اختيارنا للمصطلحات الرئيسية التي تتصدر كل مجموعة والتي تخص بالتعريف اللغوي و الاصطلاحي، بالإضافة إلى ترتيبنا لما يتبعها من مشتقات، لم نراعي فيه قرب المصطلح من جذر أو أصل الكلمة، بل كان اختيارنا للمصطلحات التي أقرب ما تكون وأسهل لاستنباط المعنى العام لهذا المصطلح، فمثلاً اختيارنا لمصطلح (الأوائل بدل الأول) رغم قرب مصطلح الأول من أصل أو جذر الكلمة، مرده أننا وجدنا مصطلح الأوائل في استعمال القاضي أوضح في الدلالة على القدماء والأسلاف من الأول، وهكذا مع باقي المصطلحات.

معجم المصطلحات:

الابتداء

(الابتداءات-المبتدئ)

الابتداء: يقول ابن فارس: « الباء والدال والهمزة من افتتاح الشيء، يقال بَدَأتُ بالأمر وابْتَدْأتُ، من الإِبتِدَاء»[1]، و« بَدَأَ بِهِ اِبْتَدأَ، وَبَدَأهُ فعله وابتَدَاءَ وبَدَأَ الله الخلق: خلقهم وأوجدهم»[2]، وقيل: « بَدَأَ الشيء: فعله ابتَدَاءَ أي قدمه في الفعل، والمُبدِئ: هو الذي أنشاء الأشياء و اخترعها من غير سابق مِثال»[3]، و« البَدْءُ والإبداءُ تَقْدِيم الشيءِ عَلَى غيرِهِ ضرباً من التقديم ... وَمَبدَأُ الشَيءِ هو الذي منه يتركب أو منه يكون»[4]، كما أن« البَدْء فعلُ الشيءِ أَوَّلُ ... والابتداءُ في العَرُوض: اسم لكل جُزءٍ يَعتل في أَوَّلُ البيت بعلةٍ»[5].

و في الاصطلاح: « ذكر البلاغيون أن الأديب ينبغي أن يتأنق في ثلاث مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظاً، وأحسن سبكاً، وأصح معنى. وهذه المواضع هي: الابتداء، و التخلص والانتهاء»[6]، وفي الكشاف « حسن المطلع يكون باستخدام ألفاظ فصيحة وجزلة وأن تكون معانيها بديعة ومناسبة لمقتضى الحال»[7]، وقيل« الابتداء أن يكون مطلع الكلام شعراً أو« نثراً، أنيقاً بديعاً، لأنه أول ما يقرع السمع، فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن

---

[1]- معجم مقاييس اللغة، أبو حسن احمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة(د.ط)،1952م مادة (بدأ)

[2]- مختار الصحاح، أبي بكر بن عبد القادر الرازي،عني بترتيبه: محمود خاطر، دار الفكر، بيروت،(د.ط)،2009م، مادة (بدأ)

[3]- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2،2007م، مادة(بدأ)

[4]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الأصفهاني، تح: محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت،(د.ط)،2009م،مادة (بدأ)

[5]- لسان العرب، أبو الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، مادة(بدأ)

[6]- معجم النقد العربي القديم، احمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م، ص32

[7]- موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تح: علي وحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط1،1996م،ج1ص673

كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن»[1]. واعتبر أن« الابتداء الحقيقي هو الذي لم يتقدمه شيء أصلاً»[2].

في اصطلاح (الوساطة):

الابتداء:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة(معرفاً ومنكّراً)، وقد جاء بمعنيين:

أ- الابتداء بمعنى البيت أو الأبيات الأولى التي تفتتح بها القصيدة يقول: « واستقبح افتتاحه مخاطبة ملك»[3]، يقصد المتنبي في قوله:

كفى بك داءَ أن ترَى الموتَ شافيا وحَسْبُ المنايا أنْ يكنَّ أمانيَا

ويضيف القاضي في كلامه عن ما عيب من ابتداء المتنبي فيقول:« وما عيب من ابتدائه»[4]، ثم يورد مجموعة من الأبيات التي تمثل بعض ما عيب من مطالع قصائد المتنبي كقوله:

كُـفّي أرَاني وَيْكِ لَـوْمِكِ أَلْوَمَا هـم أقـام عـلى فؤاد أنجمـا

وقوله:

هذي بَرّزْتِ لنا فهِجْتِ رَسِيسَا ثم انثَنَيْت وما شفَيْتِ نَسِيسَا

وقوله:

أَوْهِ بـدِيلٌ مـن قَـوْلتي واهَـا لِمَـنْ نَـأَتْ والْبَـدِيلُ ذِكْرَاهَـا

ب- الابتداء بمعنى اختراع المعنى والسبق إليه، ونجد هذا في رد القاضي الجرجاني على من يعيبون مطالعاً من شعر أبي الطيب، بقوله أن له في هذا الباب ما هو غاية في الجودة؛ وأنه كان يحتذي القدماء في عدم التأنق في الاستهلال، فيرى أن ما عيب من ابتداء المتنبي يقتفر له إذا ما سمعنا قوله:

أَتـرَاهـا لِـكُثْرَةِ الـعُشَـاقِ تَحْسِبُ الدَمْعَ خِلْقَةً في المآقِي

---

[1]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد(د.ط) 1983م ج1ص 30-31

[2]- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، أعده: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998م، ص30

[3]- الوساطة، ص138

[4]- المصدر نفسه، ص136

فيعلق عن البيت بقول: « فإنه ابتداء ما سمع مثله، ومعنى انفرد باختراعه»[1]، ثم يضيف أمثلة أخرى عن ما استحسنا من ابتداء المتنبي كقوله:

على قَدْرِ أهْل العزمِ تأتي العَزائِم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقوله:

الرّأيُ قبلَ شَجاعةِ الشُجْعانِ هُوَ أوَّلُ وَهِيَ المَحَلُّ الثانِي
فإذا هما اجْتمَعا لنَفْسٍ مِرَّةٍ بلغَتْ من العلياءِ كلَّ مكـانِ

وكلها ابتداءات ذائعة تفرد بها المتنبي وتشهد له بالاقتدار وامتلاك القدرة عن الاختراع والسبق للمعاني، وتَغفِر لهُ ما عيب من ابتداءه.

الابتداءات:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، و الابتداءات جمع ابتداء وعنى بها القاضي أول الكلام، نثراً كان أو شعراً، يقول: « وترك الخير في كثير من الابتداءات في مواضع من الشروط»[2].

المبتدئ:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء فيها بمعنى السابق للأمر في حديثه عن المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه فيقول: » وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه، والمبتذل الذي ليس أحد أولى به، تبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياه السابق فاقتطعه»[3].

وقد دعا القاضي إلى ضرورة عناية الشعراء بافتتاح قصائدهم، فالشاعر الحاذق عنده من يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولهذا على كل شاعر أن يتلطف ويترفق، ويتخذ من النسيب أو المديح معبراً يصل به إلى قلب السامع دون أن يحدث نبواً أو انقطاعاً.

---

[1]- المصدر نفسه، ص138
[2]- الوساطة ، ص376
[3]-المصدر نفسه، ص161

الإبداع

(الابتداع-المبتدَع)

الإبداع: من بَدَع، فيقال: « بَدَع الشيء يبدُعُه بَدعاً وابتَدَعَهُ: أنشأه وبدأه، وابتَدَعتُ الشيء: اخترعتُهُ لا على مِثَال، وفي التنزيل: (🔔➔✍⬀ ✌♦✍ 🖅🖎↗☪☼💣➔ 🖃⍓⑨⇳⍗✡🔔 ✌⍩⍧♎♊⌘ ✁✍🖎❷❾♋←✍⬀)[1]، أي ما كنت أول من أُرسِل، قد أَرسِل قبلي رُسل كثير، وأبتَدَعَ الشيء: جاء بالبَدِيع»[2]، وقيل: « أَبْدَعَ الشاعر: أتَى بِالبَدِيع، وأُبْدِعَ: أُبْطِلَ، وبَدَعَهُ: نَسَبَهُ إلى البَدِيع، واسْتَبدَعَه: عَدَّه بَدِيعاً»[3].

وفي الاصطلاح: « الإبداع إيجاد الشيء من لا شيء وقيل الإبداع تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق إيجاد شيء من شيء»[4]، كما اعتبر أن« الإبداع هو الإتيان بشيء لا نظير له، أو إخراج ما في العَدَم إلى الوجوب والجودة»[5]، وقيل:« الإبداع لا يكون خلقاً من عدم إذ يفترض مادةً لغويةً ومواضعاتٍ فنيةً تاريخيةً يستلهمُها الفكرُ الإبداعيُّ الخلّاقُ في الأدب»[6]، وهو« أن يكون الكلام مشتملاً على عدة أنواع من البديع»[7].

في اصطلاح(الوساطة):

الإبداع:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وجاء فيها بثلاثة معاني وهي:

أ- الإبداع بمعنى السبق لاختراع و ابتكار المعاني الجديدة، وقد ورد هذا في قوله: « فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه اختراعه وإبداع مثله»[8].

---

[1]- سورة الأحقاف، الآية 9

[2]- لسان العرب، مادة (بدع)

[3]- القاموس المحيط، مادة(بدع)

[4]- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ط1985،1م ص6

[5]- المعجم المفصل في اللغة والأدب، إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م ص25

[6]- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م، ص16

[7]- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت (د.ط) 2003م، ص334

[8]- الوساطة، ص185

ب- الإبداع بمعنى الفطنة والذكاء والسبق إلى المستظرف من المعاني، يقول: « وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبياتٍ تُختار، ومعانٍ تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب وإبداع يدل على الفطنة والذكاء، وتصرُّف لا يصدُر إلا على غريزة واقتدار »[1]، فالإبداع هنا مقابل للفطنة والذكاء وسرعة البديهة والتصرف في ارتجال الألفاظ والمعاني المستظرفة والجديدة، وقوله: « وأعزل لك المقدم والمؤخر، وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد»[2].

ج- الإبداع بمعنى البديع والتصنع في الشعر، مثلما ذهب إليه أصحاب البديعيات وعلى رأسهم المصري، والذين اعتبروا أن الإبداع هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر يشتمل على عدة ضروب من البديع[3]، وهذا أغرب ما يكون من ما ذهب إليه القاضي القاضي في تعليقه على أبيات من شعر البحتري بقوله: « ثم انظر: هل تجدُ معنى مبتذلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً !، وهل ترى صنعة أو إبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً!»[4].

الابتداع:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وقد جاء بالمعنى الأول للإبداع أي الابتكار والاختراع في قوله: « ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراعُ والابتداع؛ فوجدت منه مستفيضاً متداولاً متناقلاً لا يعد في عصرنا مسروقاً...»[5]، وفي قوله: « فهذا مقدارُ اختراعه، وهذا طريقةُ ابتداعه»[6].

المُبتدَع:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والمُبتدع عند القاضي هو المُبتَكَر والجديد، الذي لم يسبق إليه أحد، سواء كان في النثر أو الشعر، يقول: « وينفرد أحدهم بلفظة تُستعذب، أو

[1]- الوساطة، ص55
[2]- المصدر نفسه، ص142
[3]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص35
[4] – الوساطة، ص33
[5]- المصدر نفسه، ص 161
[6]- المصدر نفسه، ص158

ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدَع المخترع»[1]، ثم يمثل للمتداول-عكس المُبتدع- بقول لبيد:

وجَلاَ السُّيُولُ عن الطُّلُولِ كأنها   زُبُرُ تُجِدُّ مُتُونَـها أَقْلامُها

ويعلق عن هذا البيت بقوله: « فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء»[2]، فالبيت خالي من الاختراع والإبداع، اعتمد فيه لبيد على معاني متداولة بين الشعراء.

مصطلح الإبداع عند القاضي غلبا عليه معنى التفرد والسبق إلى الجديد من المعاني والألفاظ التي لم يسبق إليها أحد، بعيدا عن التقليد والإتباع، كما يدخل في معناه كل ظريف ونادر ومستظرف تتمتع به النفس، ولم تجري العادة بمثله.

1- المصدر نفسه، ص163

2- الوساطة، ص 164

الاحتجاج
(الحجة–المحاجة–المحتج)

الاحتجاج: جاء في المقاييس: « يقال حاججت فلاناً فحجَجْته أي غلبتُه بالحجّة، وذلك الظّفرُ يكون عند الخصومة، والجمع حُجَج. والمصدر الحِجَاج»[1]، وقيل « الحُجَّة: البُرْهان وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم؛ وقال الأَزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ والتَّحاجُّ: التَّخاصُم؛ و حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها»[2].

أما في الاصطلاح: « في اللغة إثبات القاعدة بالشاهد النثري أو الشعري ...والحجة: البرهان...وقيل: ما دُوفع به الخصمُ»[3]، و القصد من الحجة « إلزام الخصم وإسكاته»[4] .

في اصطلاح (الوساطة):

الاحتجاج:

تكرر هذا المصطلح في ثلاث عشرة موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً)، وقصد به القاضي الجرجاني ما يستخدمه أحد طرفي الخصومة من إثباتات أو أدلة شعرية أو نثرية لرد على الطرف الأخر، كما فعل من يعتبرون شعراء الجاهلية القدوة، والأعلام والحجة ولهذا « ذهبت الخواطر في الذبِّ عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام»[5] وفي دفاعه عن المتنبي يصرح القاضي بأنه لم يترك إثباتا في دفاعه إلا واستخدمه، فيقول: « قد قلت في هذه الأبواب...قولاً مجملاً يسهل لك السبيل، ويوقفك على جهة الاحتجاج. ولم أجد لإثبات كلِّ لفظة، واستعراض كل بيت موقعاً...»[6].

الاحتجاج بالشعر:

وهو أمر محضور عند القاضي « في العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِر الاحتجاج بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقة الشعراء»[7].

---

[1]– معجم مقاييس اللغة، مادة(حج)
[2]– ينظر: لسان العرب، مادة(حج)
[3]– المعجم المفصل في الأدب، ص36
[4]– كشاف اصطلاحات الفنون، ص622
[5]– الوساطة، ص14
[6]– المصدر نفسه،ص360
[7]– المصدر نفسه، ص28

الحجة:

تكرر هذا المصطلح في ثلاثة وعشرين موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً) وقصد به القاضي الدليل والبرهان، يقول: « وهو باب يضيق مجال الحجة فيه، يصعب وصول البرهان إليه»[1].

المحتج:

تكرر هذا المصطلح في ستة وعشرين موضعاً من الوساطة(منكراً ومعرفاً) وكان أغلبها في الجزء الأخير، والمحتج عند القاضي جاء على صنفين يختلف معناه فيهما باختلاف موقفهما من المتنبي:

أ-المحتج وقصد به المدافع عن المتنبي، وتقمص هذا الدور في كتاب الوساطة القاضي الجرجاني بدفاعه عن أبي الطيب، فيقول: « فقال لهم المحتج عن أبي الطيب: لعمري إن وجه الكلام ما ذكرتم، ولكن ضرورة الشعر تجيز حذف النون مع الألف واللام »[2]، فالقاضي يدافع عن المتنبي مستنداً إلى حجج تؤكد ما يذهب إليه، ففي رده عن أصحاب المعاني الذين عابوا عن شعر المتنبي؛ انقطاع المصرع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى« فقال المحتج عنه إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام...فأما أن يستوفي مراده، ثم ينتقل إلى غيره فليس عيب»[3].

ب-المحتج وقصد به الخصم المتهجم والطاعن في شعرية أبي الطيب، وتقمص هذا الدور خصوم المتنبي، فقد« زعم بعض المحتجين عنه أن العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرف الضمير عن وجهه»[4]، وهي المرة الوحيدة التي حمل فيها المحتج معنى الخصم.

فتتكرر في الجزء الأخير من الوساطة عبارة(فقال المحتج) وهو القاضي الجرجاني حين يرد على خصوم المتنبي .

المحاجة:

تكرر هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة(منكراً ومعرفاً) و قصد القاضي بالمحاجة

---

[1]- الوساطة،91

[2]- المصدر نفسه، ص366

[3] - ينظر: المصدر نفسه، ص366

[4]- المصدر نفسه، ص370

المعارضة بإيراد الحجة التي تعارض حجة الطرف الآخر، يقول: « ومن القسم الذي لا حظ فيه للمحاجة، ولا طريق له إلى المحاكمة»[1]، وقوله: « ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك ولا تضعف معه محاجاتك»[2].

ومصطلح الاحتجاج وما تبعه من اشتقاقات وظفه القاضي بطريقة تؤكد أننا أمام قاضي متأثر في ما يستخدمه من مصطلحات نقدية بالقضاء.

[1]- الوساطة، ص341

[2]- المصدر نفسه، ص156

الاحتذاء

(مُحتذَ- مُحتذِي)

الاحتذاء: « حَذا حَذوَهُ: فَعَل فِعلَه، ويقال فلان يَحتَذِي على مِثال فُلان: إذا اقتدى به في أمره، وَحَاذى الشيء: وَازَاهُ، واحتَذَى به: اقتدى به»[1]، وقيل: « حَذَا النعلَ بالنَعلِ أي قدر كل واحدة منهما على صاحبتها، والحِذَاء النعل واحْتَذَى انتعل، وحِذاءُ الشيء إزاؤُهُ، واحْتَذَى مِثَالَه اقتدَى به»[2]، وقيل: « حَاذَاهُ: آزَاهُ والحِذَاءُ: الإزَاءُ، والحِذْوَةُ: العَطِيَّةُ، والقِطعَة مِن اللَحْم»[3].

وفي الاصطلاح: تجمع المعاني اللغوية على أن الاحتذاء هو أن يتبع أحد غيره فيقتدي به ويقلده، والمثال المشهور بين النقاد في الاحتذاء، قول الفرزدق:[4]

أترجو ربيع أن تجيء صغارها   بِخَيْرٍ، وقد أَعْيا ربيعاً كِبارُها

احتذاه البعيث فقال:

أَترجو كُلَيْبُ أن يجيءَ حديثُها   بخيرٍ، وقَد أعيا كُلَيباً قَديمُها

فقال الفرزدق عندما سمع هذا البيت:

إذا ما قُلتْ قافيةً شَروداً   تَنَخَّلها ابنُ حمراءِ العِجَان

والحذو في هذه الأبيات يراد به الإتباع في الألفاظ والمعاني.

في اصطلاح (الوساطة):

الاحتذاء:

ورد مصطلح الاحتذاء عشر مرات في الوساطة كان في ثماني منها (منكراً)، أما معناه عند القاضي فهو الإتباع أو التقليد الذي يعتمده بعض الشعراء، مع اختلاف في الطريقة فقد يكون الاحتذاء في اللفظ والمعنى، وقد يكون في تتبع الشاعر لأسلوب شاعر أخر، وهذا ما يستفاد من المرات التي ورد فيها مصطلح الاحتذاء في كتاب الوساطة بالمعنى الذي ذكرناه أنفاً. ويمثل القاضي لاحتذاء بقول ابن الرومي:

---

[1]- لسان العرب، مادة (حذا)

[2]- مختار الصحاح، مادة(حذا)

[3]- القاموس المحيط، مادة(حذا)

[4]- ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، محمد عزام، ص16

هي الأعيُنُ النُّجلُ التي كنتَ تَشْتَكي مواقعَها في القَلب والرأْسُ أَسْوَدُ
فمـالــكَ تَأسَـى الآنَ لـمَّا رأيتَــها وقد جَعَلَت تَرمِي سِوَاك وتَعمَـدُ

يعلق القاضي: « فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه»[1]، ثم يورد قول أبي الطيب:

مَنى كُنَّ لي أنَّ البياضَ خِضَابُ فيَخفَى بِتَبييضِ القُـرُون شَبَـابُ
فكيفَ أَذم اليومَ ما كنتُ أَشتَهِـي وأَدعُو بما كنت أَشكُوهُ حينَ أُجَابُ

ويعلق بقوله: « وقد كان الاحتذاء في المعنى، وإن تغير تركيب الكلام نتيجةً للقلب»[2].

ويمثل القاضي للاحتذاء الجيد بما فعله أبو الطيب ببيت البحتري والذي فيه:

فالأَرضُ مِنَ تُربَةٍ والنَّاسُ مِنْ رَجُلِ ولا تقل أمام شتى أو فرق

يعلق القاضي: « وقال أبو الطيب واحتذى مثال البحتري وأجاد، وللبحتري الفضل»[3]، ثم يورد قول أبو الطيب الذي احتذى فيه بالبحتري:

إِذَا صَدِيقُ نَكِـرتُ جَـانِبَـهُ لَم تُعنِي فِي فرَاقِهِ الحِيَلُ
فِي سَعَة الخافِقَينِ مُضطَرَبُ وفِي بِلادٍ مِنْ أُختِهَا بَدَلُ

والاحتذاء هنا في الأسلوب والمعنى، وإن اختلفت الألفاظ، وهذا للقدرة على الإجادة في الاحتذاء التي يتمتع بها المتنبي.

ويرد هذا المصطلح في سياق حديثه عن مدى إحاطته بشعر الأوائل والأواخر، فيقول: « لأني لم أدعي الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر...عساني أن أكون رويته ثم نسيته،أو حفظته لكني أغفلت وجه الأخذ منه، وطريقة الاحتذاء به»[4].

مُحتَذَ:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة يتيمة في الوساطة، ومحتذ من الاحتذاء، ويحمل معناه يقول القاضي: « ومثل المصرع الأول لأبي الطيب وهو محتذ قول البحتري:

متى ما أسير في البلاد ركائبي أجد سائقي يهوى إليك وقائدي »[5].

---

[1]- الوساطة، ص340

[2] – المصدر نفسه، ص340

[3]- المصدر نفسه، ص253-254

[4]- المصدر نفسه، ص140

[5]- المصدر نفسه، ص212

مُحتَذِي:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة وكانت نكرة في الوساطة، وقصد به الجرجاني من يقوم بالاحتذاء بغيره من الشعراء فهو عنده محتذياً أو مقلداً متبعاً، كما في كلامه عن السرقات الشعرية إذ يقول: « فصار المعتدي مختلساً سارقاً، والمشارك له محتذياً تابعاً»[1]، فمن الجلي أن المحتذي هنا جاء بمعنى المتبع المقلد، وهذا هو المعنى العام للاحتذاء عند القاضي.

فالاحتذاء عند القاضي الجرجاني قد يكون في المعنى وقد يكون في اللفظ وقد يكون في الأسلوب أو تركيب الكلام.

[1]- الوساطة، ص161

الإحالة
(المحال)

الإحالة: أَحَالَ أَتَى بِمُحَال، يُقَال أَحَلتُ الكَلامَ أُحِيلُهُ إِحَالَةً: إذَا أَفسَدتُهُ، والمُحَالُ من الكلام ما عدل به عن وجهه، وحَوَلَهُ: جعله مُحَالاً[1]، وقيل: « حَالتِ القوسُ واسْتَحَالَتْ أي انقلبت واعوجت، وحَالَ عن العهد انقلب، وحَالَ لونُهُ تغير، وحَالَ الشيء بيني وبينه أي حَجَزَ،وحَالَ إلى مكان آخر تَحَولَ، و أحَالَ الرجل أتى بالمُحَالِ وتكلم به»[2]، وقيل: « حَوَلَهُ جَعَلَهُ مُحَالاً، والمِحوَالُ: الكَثِيرُ المُحَالِ»[3].

وفي الاصطلاح: « أن يذكر الشاعر أو غيره معنى يستحيل وقوعه، كقول ابن مقبل:

أمـَّـا الأداة ففينا ضُمَّر صـنـع جـــودٌ حواجزُ بالألباب واللـــجمِ
ونسج داود من بيض مضاعفةٍ من عهد عاد وبعد الحيَ من إرَمِ»[4]

و« المحال الموقف أو الأمر الذي يتنافى مع المعقول، وإدراكه قد يثير الضحك»[5]. في ما اعتبر « المحال من الكلام: ما عُدِل به عَن وَجهه»[6]، وقيل أن« الاستحالة امتناع وقوع الشيء عقلاً، وهو معيار رداءة يترتب عليه تعطيل دور الخيل في إدراك صور ومعاني الشعر»[7]، وللإحالة معنى آخر: « وهو إرجاع الشيء إلى الشيء، يقال: الإحالة: مصدر أحلته على كذا وهي قسمان: خفية وجلية »[8].

في اصطلاح(الوساطة):

الإحالة:

ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة في الوساطة(منكراً ومعرفاً)، وجاء فيها بمعنيين:

---

[1]- لسان العرب، مادة (حول)

[2]- مختار الصحاح، مادة(حول)

[3]- القاموس المحيط، مادة (حول)

[4]- ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص100

[5]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكمال المهندس،مكتبة لبنان، بيروت، ط2،1984م ص340

[6]- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م، ص241

[7]- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص88

[8]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص55

أ- قصد بالإحالة ذكر الشاعر لمعنى يستحيل أن يحصل، يقول القاضي في تعليقه عن الإحالة عند أبي نواس: « ووجد له في الإحالة قوله:

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشَّركِ حتى إنَّه لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ »[1]

فالمعنى المستفاد من هذا البيت يستحيل وقوعه، ولهذا اعتبره القاضي من الإحالة في شعر أبي نواس.

والإحالة مما يعيبه خصوم المتنبي على شعره، يقول القاضي: « ولم تزد عن أحرف تلقطها، وألفاظ تمحلتها، ادعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة ووصفت بعضاً بتعسف والغثاثة»[2]، ومن إحالة المتنبي التي لا يتصور وجودها في الحياة قوله:

كَفَى بجسمي نحولاً أَنَّني رَجُلٌ لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني[3]

فمهما بلغ المرء درجات النحول، لن يبلغ درجة أن يصبح غير مرئي.

ب- كما حملت الإحالة معنى العدول بالكلام عن وجهه، في تعليقه على قول أبي تمام:

يَدِي لمن شاء رَهْنُ لم يذُق جرْعاً مِنْ راحتيك دَرَي ما الصَّابُ والعَسَل

فيقول: « فحذف عمدة الكلام، وأخلَّ بالنظم؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن(إن كَان) لم يذق. فحذف(إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه»[4]. ففساد الترتيب الترتيب واختلال النظم، نتيجة لإحالة الكلام عن وجهه.

والمرات المتبقية التي ذكر فيها القاضي مصطلح الإحالة كانت مرتبطة بالغلط واللحن وفساد المعنى، يقول: « وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط و إحالة وفساد معنى»[5]، وقوله: « ونعارض حجتك بإلزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن، ونسبته إلى الإحالة والمناقضة»[6] وقوله:« وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة»[7].

---

[1]- الوساطة، ص61
[2]- المصدر نفسه، ص77
[3] - المصدر نفسه، ص348
[4]- المصدر نفسه، ص75
[5]- المصدر نفسه، ص17
[6]- المصدر نفسه، ص91
[7]- المصدر نفسه ص158

والإحالة في الشعر عند القاضي نتيجة لإفراط والمبالغة فهي شعبة من الإغراق، يقول: « وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق»[1].

الإحالة البينة:

وهي الظاهرة، وردت في دفاعه عن المتنبي فيما طعن في شعره من جهة الإعراب واللكنة، يقول: « فأما ما وقع عليه الطعن من جهة الإعراب، واللكنة في ناحية الزلل في اللغة، وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البينة، والتقصير الفاحش»[2].

المحال:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بالمعنى الأول للإحالة في تعليقه عن قول أبي نواس، الذي ذكرناه سابقاً، فيقول: « فهو من المحال الفاسد...»[3].

فالإحالة عند القاضي مما يعاب في الشعر، كونها سبب في خروج الكلام عن وجهه واختلال نظمه وفساد ترتيبه، كما أن الإحالة سببها الإفراط والمبالغة في المعاني وما ينجر عنه من إغراق يخل بمعاني الشعر.

1- الوساطة، ص348
2- المصدر نفسه، ص360
3- المصدر نفسه، ص354

الأخذ

(المأخوذ)

الأخذ: الأصل في الأخذ: « حوز الشيء[1]»؛ ويكون ذلك « تارة بتناول نحو قوله تعالى:
(♎⬩✍✌♦ ✌♦➔⌧✍❶⬩ ✂✍✎★ 🕮❒♌ ✡✵♁▫❀➔⓿⌧ ☽♈⬩·
✌♦♊ ❑♦♊⌧⑨⇧✡♦✍ ✌♦☞♦⌚➔⌧✡❑✍ ⬉♑✡⑨⌧■←⌚▦
ﮫ)[2]، وتارة بالقهر نحو قوله تعالى: (✂✍✎✦ ⬩✋ ♈☽♑⬩⌚❍♦ ☽♈⬩·
♎➔❑♦ ✂✍◉♑⇘⌫⌧✐❺ ✂✍◉♑⇘☽⬩⓿❿❑⚐⬉ 🗐 ⬩⬩
✍⬩♁▫❀➔⓿⬈■←⌚ ♒⬁☾♦❑⋞ ❒♦⬩⬩ ✡♦❑⬀⚐⋞)[3]...»[4]، وقيل: «
الأخذ على خلاف العطاء، وهو بمعنى التناول، أخذت الشيء أخذاً: تناولته»[5]، ويقال: « ائْتَخَذُوا بِهمزتينِ: أَخَذَ بعضُهم بعضاً، ومآخِذُ الطَّيْرِ: مصايِدُها»[6].

وفي الاصطلاح: « الأخذ مصطلح أدبي مأثور عن قُدامى البلاغين، والنقاد العرب بمعنى تناول الشعراء المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم. وهي مسألة تدخل في نطاق السرقات»[7]، كما يطلق « هذا المصطلح على الشاعر الذي أخذ المعنى أو أو جانباً منه ممن سبقه أو عاصرهُ من الشعراء»[8]، كما أنه« استغلال الشاعر أو الناثر لما لما جاد من معاني سابقيه وألفاظهم بنقلها مع تحوير»[9].

وقد يأخذ هذا المصطلح معنى السرقة، إذا« أخذ القائل من آخر معناه أو معناه وبعض لفظه، أو معناه وكثيراً من لفظه»[10].

في اصطلاح الوساطة:

الأخذ:

1- ينظر : مقاييس اللغة، مادة (أخذ)
2- سورة يوسف، الآية 79
3- سورة البقرة، الآية 254
4- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أخذ)
5- لسان العرب، مادة (أخذ)
6- القاموس المحيط، مادة(أخذ)
7- معجم المفصل في اللغة والأدب، ص55
8- المعجم المفصل في الأدب، ص43
9- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، الشاهد البوشيخي، دار الأفاق الجديدة، بيروت (د.ط) 1982م ص54
10- معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، محمد سعيد اسبر و بلال جنيدي، ط1، 1981م، ص526

ورد هذا المصطلح في ستة وخمسين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني متصل بسرقة، فمنه ما هو مذموم قبيح، لما فيه من استغلال لمعاني وألفاظ السابقين، ومنه ما هو حسن مقبول، لما فيه من تجديد وزيادة مليحة، ذلك أن الأخذ قائم على تداول المعاني بين الشعراء وهي مسألة لابد منها لأن اللاحق يتأثر بالسابق، يقول: «... ثم تُدُوول بعده، فكثُر واستُعمل، فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد، والاستفاضة على ألسُن الشعراء، فحمى نفسه من السرق، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ...»[1].

ويقول أيضاً في ما معناه أن الأخذ هو إتباع وتقليد من اللاحق إلى السابق: « حكمت بأن السرقة عنها منتفية، والأخذ بالإتباع مستحيل ممتنع»[2]، ويمثل لبعض ما أخذه المتنبي من غيره وما أخذه غيره منه فيقول: « وإنما أخذه أبو تمام من قول الأول»[3]، ثم يورد قول أبو تمام:

نُؤْيَ كما نَقَصَ الهِلال مَحَاقُهُ أو مِثلَ ما قَصَمَ السُوَارَ المِعْصَمُ

ويقصد بالأول قول المتنبي:

ونُؤيٍ كأنَّهُنَّ عليهـ ـنَّ خِدَامُ خَرْسَ بسُوقٍ خِدَالِ

ولأبي هلال العسكري رأي آخر يساير رأى القاضي في مسألة الأخذ، فيقول: « ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب عن قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض تأليف ويوردوها في غير حليتها الأولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها»[4].

حسن الأخذ:

هو أخذ المعنى مع التجديد في صيغته، وتضمينه الزيادة المليحة ونجد هذا النوع من الأخذ في تبرير الجرجاني لبعض ما أخذه المتنبي عن غيره يقول: « وما ضرّ قول المتنبي:

1- الوساطة، ص162

2- المصدر نفسه ، ص161

3- المصدر نفسه، ص213

4- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية، ط1، 1952م، ص196

فاستعارَ الحديدُ لوناً وألَقَى لونَهُ في ذَوائبِ الأطفال

وإن كان مأخوذاً من قول العامة: هذا أمر يشيب الطفل. وكانت الشعراء قد تدَاوَلَته وابتذلته حتى أخلق ورثَّ، وقد زاد فيه الزيادة المليحة»[1] .

ونجد الجرجاني يستحسن أخذ الجُوَيرية العبدي لبيتي الخنساء وجمعهما في بيت واحد فيقول: « وقد أخذ أبو الجويرية بيتي الخنساء أحسن أخذ، وجمعهما في بيت استوفى فيه معنييهما»[2]. قالت الخنساء:

وما بَلَغت كفُّ امرئٍ متناول من المجد إلا والذي فيك أَطْوَلُ

وما بُلغ المُهْدُون نحوك مِدْحَة وإن أطنَبوا إلا وما فيك أفضلُ

أخذهما أبو الجُوَيرية وجمعهما في قوله:

يزيدُ على سَرْوِ الرجال بَسْروِه ويقصر عنه قولُ مَنْ يتمدّح[3]

مذمة الأخذ:

مصطلح أطلقه القاضي على الشاعر الذي يعمد إلى معنى غيره فيأخذه بلفظه كله دون تغير، فيفسده ويقصر فيه عن من تقدمه، يقول: « وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ»[4]، وهذا ما عابه القاضي عن أبي الجويرية فقال: « إنما العيبُ على أبي الجويرية العبدي إذ أخذ قول نُصَيْب، فقال:

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهلَ ودّانَ طالِبُ

فعاجُوا فأثْنَوا بالذي أنت أهلُه ولو سَكتُوا أثنت عليكَ الحقائب

فنقل معناه وكثيراً من ألفَاظه، ثم يقع من إحسانه أحسن موقع فيقول:

أقولُ لِقَافلين يُرَى عليهم عطايا منكَ ليس لها حِسَا

قِفَوا أُخْبِرْكُمُ وتُخَبِّرُوني قَليلا والسَّرَابُ له اختِياب

لأفْصِحُهم وما كفروك حُسْنا ولوا فَعلوا لكذَّبه العِياب »[5]

---

[1]- الوساطة، ص 167

[2]- المصدر نفسه، ص167

[3]- المصدر نفسه، ص167

[4] - المصدر نفسه، ص162

[5] - المصدر نفسه ، ص167

وتطرق الكثير من النقاد إلى هذا النوع من الأخذ، فنجد أبو هلال العسكري يقول عنه: « قبح الأخذ أن تعمد على المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن»[1]، وقد أورد القاضي الكثير من الأمثلة عن الأخذ بين الشعراء، وما تبع ذلك من مناقشات ومخاصمات، بين من له الأحقية في أن ينسب له هذا البيت أو ذاك.

المأخوذ:

ورد هذا المصطلح خمس عشرة مرة(معرفاً ومنكراً) في الوساطة، والمأخوذ ما يقع عليه فعل الأخذ، فالشعر المأخوذ ليس لشاعر بل أخذه عن غيره يقول القاضي: « فإن ألحقت به المأخوذ المسترق فلبعض الأغراض المتقدمة»[2]، ويذكره القاضي في حديثه عن المعاني المشتركة التي لا يعد أخذها من السرقة يقول: « ولا يحسب مأخوذاً، وإن كان الأصل لمن انفرد به، وأوله للذي سبق إليه »[3].

المأخذ:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة وكلها معرفة، ومعناه عند القاضي هو الطرق أو السبل التي يستقي منها الشاعر أشعاره، يقول: « وأن لها مقدمات سهَّلت سبيلها وأخوات قربت مأخذها»[4]، وقوله: « والحكم على كل واحد بعينه؛ لاختلاف مأْخَذِ حججه»[5].

ومن هذا نرى أن القاضي الجرجاني يميل إلى أن الشاعر يصبح أحق بالمعنى إذا أخذه وزاد فيه وأحسن، لأن تدول المعاني بين السابق واللاحق أمر مسلم به، فللأول فضل السبق إلى المعنى، وللآخر فضل الزيادة فيه. و أخذ المعاني ليس بالأمر السهل بل يحتاج تمكن ودراية لإخفاء الأخذ.

[1] - كتاب الصناعتين، ص229
[2] - الوساطة، ص142
[3] - المصدر نفسه، ص161
[4] - المصدر نفسه، ص141
[5] - المصدر نفسه، ص360

الأدَب

(أهل الأدب- التأدب-الأديب-الأدباء)

الأدَب: « الذي يَتَأدَبُ بِه الأَدِيبُ من الناس، سمي أَدَباً لأنه يَأدبُ الناسَ إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح، وأصل الأَدَبِ الدُعَاء ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاةُ ومَأدَبَة، و الأَدَبُ: أَدَبُ النفس والدرس، وأَدَبَهُ فَتَأَدَبَ: علمه، واستعمله، ويقال: للبعير إذا ريضَ أُدِبَ، و الأَدَبُ: مصدر قولك أَدُبَ القوم يَأدبُهُم إذا دعاهم إلى طعامه، الآدِبُ: الداعي إلى الطعام، قال طرفة:

نحن في المشتاة نَدعُو الجَفَلَى   لا ترى الآدبَ فينا يَنتَقِر

والأَدَبُ: العجب»[1]، وقيل: « أدُبَ بالضم أَدَباً بفتحتين فهو أدِيبُ و استأدَبَ أي تأَدَّبَ»[2].

أما في الاصطلاح: من معانيه الكثيرة حسن الخلق، قال أبو زيد الأنصاري« الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل»[3]، وقد يقصد به « التهذيب في السلوك والكياسة في القول والتصرف»[4]، وهو أيضاً « علم من علوم العربية يتعلق بالفصاحة والبلاغة»[5]، وله معنى خاص« وهو الشعر والنثر وما يتصل بهما من أخبارٍ وأنساب وأحكام نقدية»[6]، وحديثاً« يعد الأدب لغة ما أي نظام علامات، ولا تتمثل كينونته في هذه اللغة، بل في نظامه»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

الأدَب:

---

[1]- ينظر: لسان العرب وقاموس المحيط، مادة(أدب)

[2]- مختار الصحاح، مادة(أدب)

[3]- المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(د.تح)، دار الصحوة ،ط1،2010 مادة(أدب)

[4]- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص58

[5]- موسوعة كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، ج1ص127

[6]- المعجم المفصل في الأدب، ص47

[7]- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط1، 1985م، ص31

تكرر مصطلح الأدب خمس مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقد جاء بثلاث معاني عند القاضي وهي:

أ- جاء بمعنى الخُلُق أو الأَخلاق التي يجب أن تراعى في التعامل مع الآخرين قال القاضي الجرجاني: « فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدِلَ لأجله عن الإنصاف أو تخرج في بابه إلى الإسراف»[1]، فالقاضي يدعو هنا إلى ضرورة العدل والإنصاف في الحكم عن شعر المتنبي، ليس مراعاة للأدب فقط بل لوجوب ذلك لما في هذا الشعر من مزايا ومحاسن.

ب- كما جاء الأدب بمعنى الكلام عامة شعراً كان أو نثراً شرط أن يكون كلاماً جميلاً حسناً، قال القاضي في هذا: « وعائب يروم إزالته عن رتبته، فلم يسلم له فضل، ويحاول حطه عن منزلةٍ بوأه إياها أدبُه، فهو يجتهد في إخفاء فضائله وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتهِ، وإذاعة غَفلاته»[2]، ويقول أيضاً: « وكلا الفريقين إما ظالم له أو للأدب فيه»[3].

ج- و جاء الأدب بمعنى الكلام الحسن المطبوع المهذب الخالي من التكلف والمصقول قال القاضي الجرجاني: « ولست أعني بهذا كل طبع، بل المهذب الذي قد صقله الأدب وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد... »[4].

أهلُ الأدب:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة، وأهل الأدب هم أصحاب صناعة الأدب- الخبراء فيه- سواء كانوا خطباء أو شعراء[5]، وقال القاضي الجرجاني: « مازلت أرى أهل الأدب- منذ ألحقتني الرغبة بجملتهم، ووصلَتِ العنايةُ بيني وبينهم- في أبي الطيب أحمد بنِ الحسين المتنبي...»[6]، وقوله في نفس السياق : « ومما أضيفه إلى هذا الباب وخالفني فيه فيه بعض أهل الأدب قول الأعشى...»[7]، وقوله :« ولقد حدثني بعض أهل الأدب أنه

1- الوساطة، ص12
2- المصدر نفسه، ص12
3- المصدر نفسه، ص12
4- المصدر نفسه، ص31
5- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص63
6- الوساطة، ص12
7- المصدر نفسه، ص46

حضر عند أبي الحسن بن لَنْكَك البَصْري- وكان على فضله في العلم ، وتقدمه في الأدب- »[1].

الآداب:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بالمعنى الأول للأدب؛ أي الأخلاق والقيم التي تربط بين الناس، يقول: « ولم تزل العلوم أيدك الله لأهلها أنسابا تتناصر بها والآداب لأبنائها أرحاماً تتواصل عليها»[2].

التأدب:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وإذا كان التأديب هو رياضة الأطفال وتربيتهم حتى تستقيم ألسنتهم وأخلاقهم[3]، فهذه النتيجة المتحصل عليها بعد التأديب هي التَأدُب أي تثقيف الأذهان، وتقويم الخلق واللسان وبالتالي فهو الانتقال من حال إلى حال يقول القاضي:« فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثُرت الحواضر ونزعت البوَادي إلى القرى، وفشا التأدب والتظرّف اختار الناس من الكلام ألينه وأسْهَله»[4].

فالتأدب عند القاضي هو انتقال العرب من استعمال وحشي الكلام وأصعبه، إلى اختيار أسهل الكلام وألينه وأكثره ظرافة، ويتضح هذا في قوله: « فإن أظهر التعجرف، وتشبه بالبدو، ونسي أنه حضري متأدب»[5]، فتأدب مرتبط بالحضر وأهل المدن عند القاضي الجرجاني .

الأديب:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، ومعنى الأديب في اللغة المُهذَّب والمُؤدَّب وبمعنى الظريف. وهو من أَدُبَ الرجلُ، يَأدُبُ أَدَباً، فهو أديب، من قوم أدباء[6].

وفي الاصطلاح: هو الكاتب المتفرغ للكتابة الأدبية، والمتمكن في لغته وعلوم اللغة جميعاً، والمثقف ثقافةً واسعة في تاريخ أدبه وتاريخ آداب كثير من الأمم[7].

---

[1]- المصدر نفسه، ص46
[2]- الوساطة، ص11
[3]- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص66
[4]- الوساطة، ص25
[5]- المصدر نفسه، ص72
[6]- لسان العرب، مادة (أدب)
[7]- المعجم المفصل في الأدب، ص76

وعنه الأديب يقول القاضي في وساطته:« الأديبَ الفاضل لا يستحسن أن يعقد بالعثرة على الذنب اليسير من لا يحمد منه الإحسان الكثير»[1]، ويقول: « وهيهات أن يعرضَ لك الأديبُ الفَطِن»[2]، ثم يورد قول عامر الثقفي :

كأن رَيُقَه لما عَلاَ سَبطاً أقرَابُ أبلق ينفي الخيلَ رَمّاح

ويرقى القاضي بالأديب إلى أعلى المراتب فيخصه بوصفه بالفاضل والفَطِن.

الأدباء:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والأدباء جمع أديب، قال القاضي: « وقد يمتنع بعض الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعاً»[3].

فالأدب عند القاضي مع تعدد معانيه واشتقاقاته غلبت عليه المعاني المرتبط بالأخلاق والجانب الديني، فهذا ما نلمسه في كل النصوص التي ورد فيها هذا المصطلح واشتقاقاته.

---

[1]- الوساطة، ص92

[2]- المصدر نفسه، ص163

[3]- الوساطة، ص51

الاستشهاد

(الشاهد- الشهود-الشهادة-الشواهد-المشاهدة)

الاستشهاد: « استَشهَدتُ فلان على فلان إذا سألته إقامة شَهادَة، يقال: أشْهَدتُ الرجل على إقرار الغريم واستَشهَدتُهُ بمعنى، ومنه قوله تعالى: (❑◆✁☞☜⇔☞♦⌖⇕☼☝⑨←❑✁☎ ✸⌧☜⓿⑨⌧⇦⇘×⇗ ✌☝Ⅱ ❻☼☜Ⅱ⌧☝☝☝☜⧗→☠→⇗) [1] أي: أشهدوا شهيدين»[2]، ويقال:« الشَّهادةُ: خَبَر قاطِعُ، واسْتَشْهَدَهُ: سألَهُ أن يَشْهَدَ، وشَاهَدَهُ عايَنَهُ»[3]، وشَهَدَ عند ابن فارس تدل على« حضور وعلم وإعلام...والشَّاهد: اللسان»[4].

وفي الاصطلاح: هو« أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر، فيكون هذا بمثابة الاستشهاد على الأول والحجة على صحته»[5]، كما أنه « وضع برهانٍ على لغة أو فكرة لتأكيد ما ذهبت إليه، وإثباته بالحجة، وهو نوعان: استشهاد في اللغة يكون بعرض قضية لغوية أو نحوية وإثباتها بسوق دليل من القرآن، أو الحديث، أو الشعر. واستشهاد في الأدب يكون بسوق دليل نثري أو شعري لإقامة الدليل على قضية أدبية تعالجها»[6]، ويعد« الشاهد من الشعر هو الذي يستشهد به بعد قول أو رأي لا ثبات صحته»[7]. والشاهد « ما يتمثل

---

[1]- سورة البقرة، الآية 282

[2]- لسان العرب، مادة(شهد)

[3]- القاموس المحيط، مادة(شهد)

[4]- مقاييس اللغة، مادة(شهد)

[5]- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص23

[6]- ينظر: المعجم المفصل في الأدب، ص85-86

[7]- معجم النقد العربي القديم، ج2ص64

به في إثبات قاعدة»[1]، وهذا ما ذكره أبو هلال العسكري عندما قال: « هو أن تأتي بمعنى وتؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته»[2].

في اصطلاح الوساطة:

الاستشهاد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، وقد عنى به القاضي الجرجاني أمرين:

أ- الاستشهاد بمعنى الإثبات والتأكيد بإيراد الحجة لإثبات صحة المعنى وقد جاء بهذا المعنى مرتين في الوساطة، إحداهما في تعليقه على البيت التالي:

أَحَادُ أم سُدَاسُ في أُحَادِ   لُيَيْلَتُنا المَنُوطةُ بالتَّنَاد

فيقول: « ومنها أنه أقام أُحادا وسُدَاسا مقام واحد وستة... ومنها أنه صغر الليلة، ثم وصفها بطول، ووصلها بتنادي، حتى احتاج إلى إطالة الاعتذار وإلى التناول والاستشهاد»[3]، وفي قوله: « ولسنا ننازعك في هذا الباب فهو باب يضيق مجال الحجة فيه، ويصعب وصول البرهان إليه، وغنما مداره على استشهاد القرائح الصافية »[4]، وقوله: « وإنما يستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ»[5] .

ب-الاستشهاد بمعنى الوضوح والبيان، كما في قوله: « ثم تُدُوول بعده فكثر واستعمل فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد»[6].

الشاهد:

الشاهد في اللغة له معاني كثيرة منها: الحاضر والعالم الذي يبين ما علم و اللسان وأصله عموما « يدل على حضور وعِلْم وأعلام »[7]، ومن معانيه، أيضا المخبر بالخبر القاطع[8].

1- المعجم الأدبي، ص146
2- كتاب الصناعتين، ص416
3- الوساطة، ص91
4- المصدر نفسه، ص91
5 - المصدر نفسه، ص312
6- المصدر نفسه، ص162
7- لسان العرب، مادة (شهد)
8- مقاييس اللغة، مادة (شهد)

في اصطلاح (الوساطة):

الشاهد:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة بمعنيين مختلفين:

أ- بمعنى الشعر الذي ينشد عقب خبر ما قصد إثبات صحته، وقد ورد هذا المصطلح بهذا المعنى مرة واحدة في الوساطة و كان نكرة، في قوله: « ولو أقبلنا على استيعابها وتميز ضروبها و أصنافها، لا حتجنا إلى إتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال»[1].

ب- بمعنى الشخص أو المخبر الذي يشهد على شيء كما في قوله تعالى: ♊♏👌 ⬀✖⬂⇦⌼⑨⓿♐♍⌼✸ ☎✃❑←⑨♑♒⇕⌖♦☞⇔♋♎✃◆❑) ❻♒♐♊⌼🔔🕾♏⌛→☠⬁)[2]، ورد مرة واحدة في قول الجرجاني: « توطئة لما نذكره على أثره، وتدريجا إلى ما بعده ليكون كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره »[3].

شهود:

جمع شاهد بمعناه الثاني، أي الشخص الذي يشهد على شيء، وقد ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة كلها نكرة، كما في قوله: « والمدعي أشد اهتماما بما يحقق دعواه من المتوسط، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم»[4]، وقوله: « وتجعل هؤلاء شهودك وحججك»[5].

الشهادة:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً) بهذه الصيغة، في ما جاء بصيغة الفعل (شهد) سبع مرات، وشهد من الشهادة عند القاضي فنجده يقول: « وعجلت بالحكم قبل استفاء الحجة، وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة »[6]، وفي حديثه عن أبي نواس يقول: « وهو الشيخ المقدم والإمام المفضل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة

---

[1]– الوساطة، ص51
[2]– سورة البقرة، الآية 282
[3]– الوساطة، ص51
[4]– المصدر نفسه، ص156
[5] – المصدر نفسه، ص56
[6]– المصدر نفسه، ص77

والأصمعي»[1] وقوله: « عرفت من طُرق السَّرق، ووجوه النقل ما يسوغ فيه حُكْمُك، وتُعَدَّلُ فيه شهادتك»[2].

الشواهد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، والشواهد جمع الشاهد بمعناه الأول فالشواهد في الشعر هي الأبيات التي تنشد لتأكيد صحة أمر ما، ومعناها عند الجرجاني لا يختلف عن هذا، يقول: « ولو لزمت هذا المثال في شعر أبي تمام لتظاهرت عليك الحجج و كثرت عندك الشواهد...»[3]، وقوله: « فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة، وأكثر هذا المصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه، وأقمت لك الشواهد عليه...»[4].

المشاهدة:

تكرر هذا المصطلح ست مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً) جاء فيها بمعنى الملاحظة فيقول: « وقد تحمل العصبية فيه العالم على دفع العيان، وجحد المشاهدة، فلا يزيد على التعرض للفضيحة، ولاشتهار بالجورِ والتحامل»[5]، وقوله: « فإن ادعيت ذلك وجدت العِيان العِيان حَجيجَك، والمشاهدة خصمك؛ وعدنا بك إلى أضعاف ما صدَّرنا به مخاطبتك »[6]، وقوله عن ما عيب عن شعر المتنبي وصححته المشاهدة: « وإن كانت المشاهدة صحَّحت قول الشاعر»[7]، وقوله: « لأنه من المبتذل العامي، المشاهد في كل حال»[8] .

فالاستشهاد عند القاضي بمثابة الحجة والبرهان لتأكيد صحة رأيه أو موقفه من قضية ما كما أن طرفي الخصومة اتخذاه وسيلة لتأكيد ما يذهب إليه كل منهما، بإيراد شواهد تجاري آرائهم في المقصد المراد الوصول إليه وتبليغه.

---

[1]- المصدر نفسه، ص56
[2] - المصدر نفسه، ص341
[3]- المصدر نفسه، ص 64
[4]- الوساطة، ص356
[5]- المصدر نفسه، ص180
[6]- المصدر نفسه، ص55
[7] - المصدر نفسه، ص395
[8]- المصدر نفسه، ص168

الاستعارة

(المستعار – المستعار له– المستعار منه)

الاستعارة:« عَوَر: تَدَاولُ الشيء، والعَارِيَة: نَقلُ الشَيءِ مِنْ شَخصٍ إلى آَخَر، حَتى تُصْبِحَ تِلكَ العَارِيَة مِنْ خَصَائِص المُعَارِ إليه، والعَارِيَة والعَارَةُ: ما تَدَاوَلُوهُ بَينَهُم، وقَد أَعَارَهُ الشَيء وأعَارَهُ مِنهُ و عَاوَرَهُ إيَاه، والمُعَاوَرَةُ والتَعَاوُرُ شِبهُ المُدَاوَلَة والتَدَاوُل يَكُونُ بَينَ اثنَين. تَعَاوَرَ واستَعَارَ: طَلَبَ العَارِيَة، واسْتَعَارَهُ الشَيءَ واسْتَعَارَهُ مِنهُ: طَلَبَ مِنهُ أَنْ يُعِيرَهُ إيَاهُ، واستَعَارَ المَالَ: طَلَبَه»[1]، واعتبرت « المُعَاوَرَةُ في مَعْنَى الاسْتِعَارَة»[2]، ويقال: « اسْتَعَارَهُ ثوباً فأَعَارَهُ إيَّاهُ. واعتَوَرَوا الشيء تَدَاوَلَوهُ فيها بينهم»[3].

أما في الاصطلاح: هي « استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، أو هي تشبيه حذف أحد طرفيه»[4]، كما أنها« استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة، من إرادة المعنى الأصلي»[5]، ويعتبرها البعض« تشبيه

[1] – ينظر: لسان العرب والقاموس المحيط، مادة(عور)
[2] – معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عور)
[3] – مختار الصحاح، مادة (عور)
[4] – المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص29
[5] – جواهر البلاغة، ص303

حُذف منه جميع أركانه إلا المشبه أو المشبه به، وألحقت به قرينة تدل على أن المقصود هو المعنى المستعار لا الحقيقي»[1].

في اصطلاح (الوساطة):

الاستعارة:

تكرر هذا المصطلح في تسعة وعشرين موضعاً(معرفاً ومنكراً)، ومعنى الاستعارة عند القاضي الجرجاني ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، يقول: « وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكُها تقريب الشَّبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»[2].

كما أن الاستعارة عند القاضي تعد عمدة الكلام والسبيل لتزين اللفظ و تجميل الشعر والنثر، يقول: « فأما الاستعارة فهي أحد أعمِدة الكلام، وعليها المعول في التوسع والتصرف و بها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر»[3].

ويقول أيضاً في تعقيبه عن بعض ما عيب في شعر المتنبي: « ادعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضها بالتعسف والغثاثة، وبعضاً بالضعف والركاكة، وبعضاً بتعدي في الاستعارة »[4]، ويقصد بالتعدي في الاستعارة هنا الإفراط والمبالغة في استعمالها.

ومن خلال هذه الاقتباسات نجد ثلاثة مصطلحات متعلقة بالاستعارة وهي:

المستعار:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والمستعار هو اللفظ المنقول في الاستعارة، كما في قول أبي تمام:

وَيَضْحَكُ الدهر منهم عن غَطَارِفَةٍ* كأن أيامَهم من حُسْنِها جُمعُ

---

[1]- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص89

[2]- الوساطة، ص45

[3]- الوساطة ، ص355

[4]- المصدر نفسه، ص77

* الغطارفة: السادة

المستعار هو الضحك، كما نجد هذا المصطلح في تعليق القاضي عن أبيات لأبي تمام: « فلم يخلُ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة، طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غزله »[1].

المستعار له:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد القاضي بالمستعار له اللفظ الذي يستعار له المعنى، وهو ما يقابل المشبه في التشبيه، ففي قوله تعالى: (❐◆✁✌⇧☝♦➔◻✍• ✁✌☜❷▪🕮▫◻🡣 ⅄☒⑩⍂⌛✡✌)[2]، المستعار له هو الشيب وقد تقدم في الاستعارة[3].

المستعار منه:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد القاضي بالمستعار منه اللفظ الذي تستعار منه صفة من الصفات، وهو ما يقابل المشبه به في التشبيه ففي قوله تعالى: (◆✁✌⅄⇧☝♦➔◻✍• ✁✌☜❷▪🕮▫◻🡣 ⅄☒⑩⍂⌛✡✌)[4]، المستعار منه هو النار، وقد تقدم في الاستعارة[5].

الاستعارة اللطيفة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وهو أحد أوصاف الاستعارة، التي أطلقها القاضي في تعليقه عن هذين البيتين:

قول امرئ القيس:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلِ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْش وَجْرَةَ مُطفِلِ

وقول عدي بن الرفاع:

وَكَأَنَّها بيْنَ النسَاءِ أعَارَها عَيْنَيْهِ أحْوَرُ مِنْ جآذِمِ جَاسِمِ

---

[1]- الوساطة، ص37

[2]- سورة مريم،الآية 4

[3]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص252

[4]- سورة مريم، الآية 4

[5]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1ص252

فيقول القاضي: « رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قربهما منه، والمعنى واحد وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيداً عن البديع، إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة، التي كسته هذه البهجة»[1].

وتعريف القاضي للاستعارة متميز عن تعريفات أسلافه، فهو أكثر وضوح وأعمق دلالة وهو يوضح العلاقة بين المستعار له والمستعار منه وهي المشابهة، وملاكها تغريب الشبه وائتلاف ألفاظ صورتها مع معانيها حتى لا توجد منافرة بينها.

الأصل
(الأصول)

الأصل: « أَسفل كل شيء وجمعه أُصول لا يُكَسَّر على غير ذلك...ورجل أَصيل: ثابت الرأْي عاقل»[2]، وقيل: « أصل الشيء قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائره لذلك قال تعالى: (🕮❒🕒⇳🖬➔♑☒🙦 ⚐❒🙦🖅🕱✳●➤ ❒◆▫♦❷⬀⬉⬉♑☒🙦 ×🕱❼ ✁🙦🕾⚯○○☺☒🙦✐⬈🕱)[3] »[4] وقيل: «الأَصلُ الحَسَبُ والفَصلُ اللِّسَان. والأصيل الوقت بعد القصر»[5].

[1] – الوساطة، ص36
[2] – لسان العرب، مادة(أصل)
[3] – سوره إبراهيم، الآية24
[4] – مختار الصحاح، مادة(أصل)
[5] – معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(أصل)

أما في الاصطلاح: « الأصل: ما يبنى عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره»[1].

في اصطلاح(الوساطة):

الأصل:

تكرر هذا المصطلح ست وأربعين مرة(معرفاً ومنكراً) في الوساطة، وجاء فيها بمعنيين:

أ- أصل الإنسان، طبيعته التي خلق عليها يقول القاضي: « بدوي جرى على طبعه، أو متحضر حن إلى أصله؛ لكنه يُعرِض عنه صَفحاً، ويتناساه جملة»[2].

ب- وأصل البيت من الشعر أول من نظمه في معناه، يعلق القاضي عن قول أبي الطيب:

وأَسمَرَ ذي عِشرين تَرضاهُ وَارِداً   ويَرضاكَ فِي إِيرادِهِ الخَيلَ ساقِيَا

يقول القاضي: « وأصله من قول موسى بن جابر الحنفي، وهو من خفي الأخذ:

فلا أسْلَمَتنا عند قوم حفيظةُ   ولا نحنُ أغمدنا السيوفَ على وَتْرِ »[3]

وعن قول أبي الطيب:

تَدبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّر في غَدٍ   وهُجُومٌ غِرٍّ لاَ يَخَافُ عَوَاقِبا

يعلق القاضي: « وقد قالوا : إن الأصل فيه قول قطري بن الفُجَاءة:

ثم انثنيت وقد أُصِبتُ ولم أصِبْ   جَذَعَ البصيرةِ قارحَ الإقدام»[4].

فالمعاني التي جاءت في أبيات المتنبي أخذها عن غيره؛ الذي يعد الأصل.

الأصول:

جمع أصل، تكرر في خمس مواضع من الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقصد القاضي بالأصول ما أجمع عليه النحاة وجعلوه من الأصول في العربية التي لا يختلف فيها يقول: « ولا تكاد تجد باب من العربية يخلو من نوادر وشواذ؛ ولو جعلت أصولاً وأجريت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الكلام»[5]، وكذلك: « خان وخانات، وهارون

---

[1] – الحدود الأنيقة في المعاني الدقيقة، زكريا بن محمد الأنصاري، تح: مازن مبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان (د.ط)1991م، ص66

[2] – الوساطة، ص47

[3] – المصدر نفسه، ص 195

[4] –الوساطة، ص218

[5] ـ المصدر نفسه، ص370

وهارونات، وإوان وإوانات، فعدلوا بجميع هذه الأبنية عن أصول قياسها، وألحقها بأصول الجمع وغلبوا فيها التأنيث»[1].

ومصطلح الأصل وإن قصد به القاضي في بعض المواضع أول من ينظم البيت في معناه، غير أن أكثر المرات التي ذكر فيها كانت في الجزء الأخير من الوساطة، حين تكلم عن أصول اللغة التي يرجع إليها في القياس.

الإطالة

(الطول-الطويل-التطويل)

الإطالة: يقال:« طَالَ الشَيءَ طُولاً وأَطَلَتَهُ إِطَالَةَ أي حَدَدتُهُ وَجَعَلتُهُ طَوِيلاً»[2]، واعتبر«الطُولُ ضِدَ العُرض وطَالَ الشَيءَ يَطُولُ طُولاً أَمتَدَ وطَوَّلَهُ غَيرَهُ، وطاوَلَني فلان فَطُلتُهُ أي كنت أطوَلَ منه، ويقال: هذا أكر لا طَائِلَ فيه إذا لم يكن غناء ومزية، وتَطَوَّلَ عليه أي أمتن عليه، وطَاوَلَهُ في الأمر أي ماطَلَهُ، وأطالتِ المرأة ولدتْ ولداً طُوَالاً»[3]، يقال« اسْتَطَالَ عليه تَطَاوَلَ وقد يكون استَطَالَ بمعنى طَالَ»[4]، كما أن « والطُوَلُ والقِصَر

1- المصدر نفسه، ص369
2- لسان العرب، مادة (طول)
3- مختار الصحاح، مادة (طول)
4- القاموس المحيط، مادة (طول)

من الأسمَاءِ المُتَضَايِفة ويستعمل في الأعيان والأعراض كالزمان... والطُولُ قيل للحبل المرخي على الدابة طِوَلُ»[1].

وفي الاصطلاح: إعطاء الكلام حقه من التوسع لإيصال المقصد.

وما يعرف على معظم البلغاء أنهم لا يميلون إلى الإطالة في الكلام، ويجنحون إلى الإيجاز والاقتضاب، بل أن بعضهم كان لا يكاد يتكلم، كعمر بن عبيد الذي يخبرنا عنه الجاحظ: « كان عمر بن عبيد لا يكاد يتكلم فإذا تكلم لا يكد يطيل، وكان يقول: لا خير في متكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه، وإذ طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير في شيء يأتيك به التكلف»[2]، ومن « الإطالة التطويل وهو أن يُزادَ لفظُ على الأصل المرادِ بلا فائدة، وهو نوعُ من الحشو»[3].

في اصطلاح (الوساطة):

الإطالة:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة، و معنى الإطالة عند القاضي الجرجاني هو التوسع والاسترسال وإعطاء الكلام حقه يقول: « حتى احتاج إلى إطالة الاعتذار إلى التناول والاستشهاد»[4]، ويعلق على بيت المتنبي:

بَليتُ بلَى الأطْلَال إنْ لم أَقفْ بها   وقوفَ شَحيح ضَاعَ في التُّرب خَاتَمُهْ

بقوله: « قالوا: أراد التناهي في إطالة الوقوف، فبالغ في تقصيره »[5].

الطول:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة، ومعناه لم يختلف عن معنى الإطالة، فنجده في قوله: ، وفي قوله: « ولا تسمحُ بها القريحةُ إلا بعد الدُّربة وطولِ الممارسة»[6]، وفي قوله: « ومنها أنه صغر الليلة، ثم وصفها بالطُّول، ووصلها بالتَّنادِ»[7].

الطويل:

[1] – معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (طول)
[2] – البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7، 1998 م ج1ص115
[3] – المعجم المفصل في الأدب، ص263
[4] – الوساطة، ص91
[5] – الوساطة، ص390
[6] – المصدر نفسه، ص141
[7] – المصدر نفسه، ص91

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، و قصد القاضي بالكلام الطويل ما كان خلافه الكلام الموجز أو القصير كما في قوله: « لأنه جمع هذا الكلام الطويل في....»[1]، « وهيهات أن يعرض لك الأديب الفطن...إلا عن روية كثيرة، أو فكر طويل»[2].

التطويل:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والتطويل نقيض الإيجاز، وحاصله أن يورد المتكلم ألفاظاً إذا أسقطت بقي الكلام على حاله في الإفادة. وأكثر ما يكون ذلك في الأشعار لحرص قائلها على استقامة الوزن[3]، يقول القاضي: « وأمثال هذه الاعتراضات كثيرة واستقصاء جميعها باب من التطويل»[4].

الإطالة عند القاضي وإن قل ذكرها في وساطته؛ فلم تخرج هي و مشتقاتها (الطول والتطويل) عن معنى التوسع أي خلاف الإيجاز.

الإغراب

(الغرابة–الغريب–المستغرب)

الإغراب: «غَرُبَ بَعُدَ، والغَرِيبُ الغَامِضُ من الكلام، وكَلِمَةُ غَرِيبَة وقد غَرُبَت، ويقال: أَغْرَبَ الرجل إذا جاء بشيء غَريب، واسْتَغْرَبَ فِي الضَحِكِ واسْتَغرَبَ أَكثَرَ مِنهُ»[5]، وقيل:« الغُربةُ والاغْتِرابُ تقول تَغَرَّبَ واغْتَرَبَ بمعنى غَرِيبُ وغُرُبُ، والتَّغريبُ النفي عن البلاد، وأغْرَبَ جاء بشيءٍ غَرِيبٍ، وأغرَبَ صار غَرِيباً، والغَرْبُ الدَّلْوُ العظيمة»[6]، وقيل:« كل متباعد غَرِيبُ

1- المصدر نفسه، ص166

2- المصدر نفسه، ص163

3- معجم البلاغية العربية، بدوي طبانة، دار العلوم ، الرياض، ط2، 1982م، ص484

4- الوساطة، ص395

5- لسان العرب، مادة(غرب)

6- مختار الصحاح، مادة(غرب)

ولكلِّ شيء فيما بين جنسه عديم النَّظير غَرِيبُ»[1]، وقيل:«الإغرَابُ المُبالغَة فِي الضَحِك»[2].

أما في الاصطلاح: هو« أن يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله، أو سمع وهو قليل الاستعمال»[3]، ومنه الغرابة وهي « استخدام الكلمات الوحشية وغير المأنوسة يجعل المعنى غير ظاهر»[4]، بينما« الغريب كل شيء فيما بين جنسه عديم النظر فهو غريب»[5]؛ ومن هنا اعتبر« الإغراب والغرابة والغريب من الاصطلاحات النقدية التي تدل على استيعاب الشاعر للغة، وإلمامه بخباياها، ومن هنا كان إعجاب النقاد والرواة القدامى بالعجاج وابنه رؤبة، لأنهما يكثران من الغريب»[6]، يقول رؤبة: « أنا والله وأبي فتحنا للناس للناس باب الغريب وباب الرجز، والله إني لخليق أن أسده عليهم»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

الإغراب:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى الإغراب عند القاضي الجرجاني هو استعمال المبهم من الألفاظ و النادر قليل الاستعمال، يقول: « أو افتتح طريق مبهما لم يرضى منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وألذه في السمع، فإذا دعاه حب الإغراب وشهوة التنوق إلى تزين شعره وتحسين كلامه، فوشحه بشيء من البديع»[8].

ويقول أيضاً: « فإن رام أحدهم الإغراب و الاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف»[9].

1- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(غرب)

2- القاموس المحيط، مادة(غرب)

3- معجم النقد العرب القديم، ج1ص195

4- المعجم المفصل في الأدب، ص668

5- الكليات، ص663

6- ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص251

7- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه : عبدا علي مهنا وسمير جابر وآخرون، دار الفكر، بيروت ،ط1، 1986م

8- الوساطة، ص54-55

9- المصدر نفسه ، ص25

ويمثل للطيف من إغراب أبي تمام بقوله: « ومن أغرب ألفاظه وألطفها قوله:

مَهَا الوحش إلاَّ أنَّ هاتَا أَوانِّسُ قَنا الخَطِّ إلا أن تلك ذَوَابلُ »[1].

ويقول: « ومما عيب من إغراب المتنبي قوله:

سَحَابُ من العِقبَانِ يَزحَفُ تَحتَها سَحَابُ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُه »[2]

ويعلق عن البيت بقوله: « وجعل السحابة السفلى تسقي ما فوقها وهذا غريب، وقد يعيبه المتكلفون...فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أَغرَب به»[3].

فالمتنبي في هذا البيت خرج عن المعقول بجعله السحاب السفلى تسقي السحابة التي فوقها مما أوقعه في الإغراب.

ويشير القاضي إلى تهافت الشعراء على طلب الإغراب في وصف الظباء، فيقول: « ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وجرة وجاسم، فإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها»[4].

الغرابة:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرت في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى الغرابة عند القاضي هو أن يكون المعنى مما لم يُسْبَق إليه على جهة الاستحسان، فيقال: « ظريف وغريب إذا كان عديم المثال أو قليله »[5]، فنجده في حديثه عن احتذاء المحدثين بالأوائل، لما رأوه في أشعارهم من غرابة وحسن ورشاقة ولطف، يقول: « فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا

---

[1]- المصدر نفسه، ص48

[2]- المصدر نفسه، ص232

[3]- المصدر نفسه، ص232

[4]- المصدر نفسه، ص37

[5]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج3ص93

الاحتذاء عليها »[1]، وورد في قوله: « ولسنا نريد القسم الذي خفاءُ معانيه واستتارُها من جهة غرابة اللفظ وتوحش الكلام»[2].

الغريب:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والغريب من الغرابة وجاء بمعناها في قول القاضي:« حتى إن أعلمنا باللغة وأكثرنا رواية للغريب لو حفظ كل ما ضمت الدواوين المروية، والكتب المصنفة من شعر فحل، وخبر فصيح ولفظ رائع- ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوط مروي، وجل الغريب محفوظ منقول-ثم حاول أن يقول قصيدة، أو يقرض بيتاً يقارب شعر امرئ القيس وزهير... لوجده أبعد من العيوق متناولاً وأصعب من الكبريت الأحمر مطلباً؟»[3].

المستغرب:

ورد هذا المصطلح مرتين واحدة في الوساطة، وجاء بمعنى الغريب، يقول: « فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري؟ وما يدريني ما فيها؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها، ومقتبس منها؟»[4].

فالقاضي عنى بالإغراب و الغرابة والغريب خروج الشاعر عن الاستعمال العادي للكلام، بمحولته خلق صورة لم تألف استعمالها العرب في أشعارها مما يوقعه في الإغراب.

واستعمال الشاعر للغريب في شعره دليل على ارتباطه بالأصالة اللغوية، وتمسكها بالفصيح والمتين، وعليه كان إيراد الغريب والاعتداد به سمة حسنة في الشعر.

الإغراق
(الاستغراق)

الإغراق: قال ابن فارس: «الغين والراء والقاف أصلُ واحد صحيح يدلُّ على انتهاءٍ في شيء يَبلُغُ أقصَاهُ»[5]، ومعنى« أغرَقَ فِي الشَيء: جَاوَزَ الحَد، وأَصلُهُ مِن نَزَعَ السَهمَ»[1]،

---

[1]- الوساطة، ص39

[2]- المصدر نفسه ، ص346

[3]- المصدر نفسه، ص24

[4]- المصدر نفسه، ص140

[5]- مقاييس اللغة، مادة(غرق)

ويقال: «غَرِقَ في الماء فهو غَرِق وغَارِقُ واغْرَقَهُ، ولجام مُغْرَق بالفضة أي محلى، وأغْرَقَ النَّازِعُ في القوسِ أي استوفَى مدَّها»[2]، و« الغَرَقُ الرسوب في الماء والبلاء، وغَرَقَ فلان يَغرَقُ غَرَقاً وأَغْرَقَهُ»[3]، و« اسْتَغرَقَ: استوَعَبَ، والتَّغرِيقُ: القَتْلُ»[4]، وقيل« الإغراقُ: الطرحُ، والمُغرَقُ: الذي أغرَقَهُ قومه فطردوه»[5].

وفي الاصطلاح: هو« إفراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة، وهو فوق المبالغة رتبة، والغلو فوقهما»[6]، وقيل:« هو دون المبالغة وفوق الغلو»[7]، وقيل« الإغراق ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً لا عادةً»[8]، ويمثل الكثير من البلاغين لإغراق بقوله تعالى: (❒◆❍❶⬂ ♐⬜✁⬊⊠☼● ♋ ✁✍✍✉☜✍⇗✆✽✆❷↖ ❒◆✍♦✉■⬄♦☼ ✁✍✍✍⬂❍➔✉➔❒✞◆ ✁✍✍✍⬂♦⬜✡❒✍✍♉⬁❷◆ ♋)[9]، كما أنه « الإفراط في القول كالوصف أو المدح، وهو المبالغة عند بعضهم»[10].

في اصطلاح (الوساطة):

الإغراق:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة كان فيها (منكراً)، و يحدث الإغراق عند

---

[1]– لسان العرب، مادة(غرق)

[2]– مختار الصحاح، مادة(غرق)

[3] – معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(غرق)

[4]– القاموس المحيط، مادة(غرق)

[5]– تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية لتأليف، (د.ط) (د.ت) مادة(غرق)

[6]– الكليات، ص152

[7]– معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج1ص260

[8]– مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، أبي الفضل جلال الدين السيوطي، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الأدب، القاهرة ، ط2، 2007م، ص117

[9]– سورة الأحزاب، الآية10

[10]– المعجم المفصل في الأدب، ص116

القاضي الجرجاني عندما يبلغ الشاعر بمعاني شعره درجة لا يمكن بلوغها، وهو مرتبط بالمبالغة والإفراط، وقد عد الإحالة شعبة من الإغراق في قوله: « و إنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق، والباب واحد، ولكن له درج ومراتب »[1].

وهذا الربط بين الإفراط والمبالغة من جهة والإغراق من جهة ثانية عند القاضي، في المرات الأربعة التي ذُكر فيها هذا المصطلح في الوساطة، جعل معنى الإغراق لا يخرج عن معنى الإفراط والمبالغة في الكلام، يقول: « ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف، وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة»[2]، ويمثل للإغراق بقول الشاعر:

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كلِّ حَيَّ مِثْلَهُ وَلّدَ النسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ

ويعلق عن البيت بقوله: « ولم يُستغنى بطيب المولد عن القابلة؟.... وأي فخر فيه؟ وأي شرف يناله؟ »[3]، وقوله: « وقد قدمنا عند ذكرنا الاستعارات ووجوه الإغراق والإفراط ما يبين يبين لك القول»[4]. كما نجده يمثل للإغراق بقول المتنبي:

وضاقت الأرضُ حتى كادَ هارِبُهم إذا رأَى غَيْرّ شيءٍ ظَنَّهُ رَجُلاّ

فالمتنبي بالغ وأفرط في معاني هذا البيت مما جعله يقع في الإغراق، وهذا ما عابه عليه خصومه، والقاضي الجرجاني لا ينكر هذا بل يأتي بأشباهه عند غيره من الشعراء ليثبت أن الإغراق في المعاني ليس مختصرا على المتنبي.

الإغراق الفاحش:

ورد مصطلح الإغراق بهذا الوصف مرة واحدة فريدة، في رده على خصوم المتنبي، فقال: « فإن قالوا: ألسنا نسامح المتقدمين بالخطأ؟ ولا نحتمل لهم هذا الإغراق الفاحش؟ قلنا: أوَلَستم قد سلمتم لهم الإحسان في غير ذلك، ولم تسقطوهم من عداد الشعراء لأجله فأجروا هذا الرجل مجراهم، وألحقوه في الحكم بهم »[5].

فالقاضي يرد على خصوم المتنبي الذين احتملوا الإغراق الفاحش لامرئ القيس في قوله:

---

[1]- الوساطة، ص348

[2]- المصدر نفسه، ص158

[3] - المصدر نفسه، ص158

[4]- المصدر نفسه، ص395

[5]- المصدر نفسه، ص353

من القَاصِراتِ الطَّرْف لو دَبَّ مُحْوِلُ من الذَّرَ فَوْقَ الإتْب منها لأثَّرا

فيقول: « فاحتملوا لأبي الطيب»[1]، ويورد قول المتنبي:

تَـأَلَّمُ دَرْزَهُ و الدَّرْزُ لَيْنُ كَمَا تَتَأَلَّمُ العَضْبَ الصَّنِيعا

الاستغراق:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة كان فيهما (نكرة)، ولم يخرج معناه عن معنى الإغراق، يقول: « لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على مُعْظَمِها»[2].

الإغراق عند القاضي مرتبط بالغلو والمبالغة والإفراط في الكلام، وهذا عندما يرتفع الشاعر بالمعنى لدرجة لا يمكن أن يبلغها.

الإفراط

[1] – الوساطة، ص353

[2] – المصدر نفسه، ص185

(التفريط–المفرط)

الإفراط: « إعجال الشيء في الأمر قبل التثبت، وأَفْرَطَ في الأمر: أَسْرَفَ وأَفْرَطَ عَليه: حَمَلَهُ فَوق ما يُطِيق، وكل شيء جاوز قدره، فهو مُفرِط، ويقال: أَفرَطَ عليه في القول يُفْرِطُ: أَسرَفَ وتقدم، وفَرَّطَ في الأمر يُفْرِطُ فَرطَاً، أي قَصرَ فيه وضَيَعَهُ حتى فَاتَ، وكذلك التَفرِيطُ وهو التَقْصِيرُ والتَضيعِ»[1]، وقيل:« الإفْرَاطُ أن يُسرِف في التَقَدِمِ، والتَّفريطُ أن يُقصْرَ في الفَرطِ، يقال: ما فَرَطتُ في كَذَا أي مَا قَصرتُ»[2]، وقيل: « فَرَطَ فُروطاً: سَبَقَ وتَقَدَّمَ، وأَفْرَطَهُ: مَلأهُ حَتَى أَسَالَ الماءَ»[3]، ويقال:« أفْرَطَ، إذا تجاوَزَ الحدَّ في الأمر ... لأنَّه [إذا] جاوَزَ القَدْر فقد أزالَ الشَّيءَ عن جهته»[4].

وفي الاصطلاح: « التجاوز عن الحد ويقابله التفريط»[5]، والتفريط« أن يُقدم الشاعر على شيء فيأتي بدونه، فيكون تفريطاً منه، إذا لم يكمل اللفظ، أو يبالغ في المعنى»[6]،

في اصطلاح (الوساطة) :

والإفراط:

ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة في الوساطة(منكراً ومعرفاً)، ويعد الإفراط عند القاضي الجرجاني شعبة من الإغراق وهو الإسراف وطلب الزيادة وتجاوز الغاية، فيقول في معرض دفاعه عن المتنبي: « وأعْيَبُ ما فيها ما عيبه من باب التعقيد والعويص واستهلاك المعنى وغموض المراد؛ ومن جهة بعد الاستعارة، والإفراط في الصنعة»[7]، وعليه فالإفراط من الصفات السيئة والمذمومة عند الجرجاني ويضيف معلقاً على أقول مجموعة من الشعراء أمثال النابغة (الجعدي) في قوله:

بلغنا السماء مجداً وجدودنا وإنا لنرجوا فوق ذلك مظهراً

وقول الأعشى :

---

[1]– لسان العرب، مادة (فرط)
[2]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(فرط)
[3]– القاموس المحيط، مادة(فرط)
[4]– مقاييس اللغة، ماة (فرط)
[5]– الكليات، ص 155
[6]– معجم المصطلحات العربية في اللغة ولأدب، ص113
[7]– الوساطة، ص344

لوأسندتْ ميتاً إلى نَحْرِها عاش ولم يُنْقّلْ الى قَابر

وقول الطِرماح:

ولو أن برغوثاً على ظهر قَمْلَةٍ يكر على صَفَّيْ تميم لولت

وقول العيني في جوابه :

ولو أن عُصْفوراً يَمُدُّ جناحه على طيِّئٍ في دارها لا ستَقَلَّتِ

بقوله: « وأمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه جدنا من بعدهم سبيلاً مسلوكاً وطريقا موطأً، فقصدوا، وجاروا، واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم، فاجتذبه الإفراط إلى النقص وعدل به الإسراف نحو الذم»[1].

والإفراط عند الجرجاني نوعان: مستحسن قَابِل، ومستقبح رَاد، يقول عن هذا: « فأما الإفراط فمذهب عام عند المحدثين...والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل ومستقبح راد، وله رسوم متى وقف الشاعر عندها، ولم يتجاوز الوصف حدها جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص ولاعتداء، فإذا جوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشعبة من الإغراق»[2].

الإفراط في الاستعارة:

وهو الخروج عن حد الاستعمال والعادة؛ وهذا النوع من الإفراط تطرق له القاضي الجرجاني بإسهاب في كتابه لأن الكثير ممن تحاملوا على المتنبي حسب رأيه عابوا عليه إفراطه في الاستعارة، فيقول القاضي: « وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج عن حد الاستعمال والعادة»[3]، فكان مما عدد منها قوله:

مسرة في قلوب الطيب مفرقها وحمرة في قلوب الطيب واليلب

فعابوا المتنبي لأنه جعل للبيض واليَلب قلُوباً ولزمان فؤاداً، فرد عليهم القاضي بقول ابن أحمر :

ولهت عليه كل مُعْصفة هَوْجَاءُ ليس لِلُبُها زَبر

---

[1]– الوساطة، ص349–350

[2]– المصدر نفسه، ص348

[3]–المصدر نفسه، ص356

ثم يعلق: « فما الفرق بين من جعل لريح لُبًّا، ومن جعل للطيب و البيض قلباً»[1].

فالقاضي يرد على ما يعاب عن شعر المتنبي بأن يأتي بأشباهه ونظائره عند باقي الشعراء ليبين لخصوم أبو الطيب أن هذا الأمر لم يختصر على شعر المتنبي.

التفريط:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى التفريط عند القاضي هو التقصير، كما في قوله: « ولم يبق عليك إلا أن تحترس من التفريط، كما احترست من الإفراط»[2]، وقوله: « ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامةُ بين تفرِيط المقصر، وإسراف المفرِط »[3].

الفرط:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة كان فيهما منكراً، وكان رديفاً لندرة في مرتي وروده، يقول: « وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفَرط والندرة »[4]، وقوله: « والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة»[5]

المفرط:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقصد القاضي بالمفرط المسرف، كما في قوله: « ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن ورائها كنزاً من الحكمة»[6]، وقوله: « فمن محسن ومسئ، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفرط»[7].

فالإفراط عند الجرجاني له حدود إن لم يتجاوزها الشاعر جمع القصد والاستقاء وسلم من النقص والاعتداء وهو بذلك مستحسن مقبول؛ و إن تجاوزها هذه الحدود، وقع في الإحالة والإغراق.

---

[1] – الوساطة، ص355
[2] – المصدر نفسه، ص168
[3] – المصدر نفسه، ص13
[4] – المصدر نفسه، ص12
[5] – المصدر نفسه، ص90
[6] – المصدر نفسه، ص90
[7] – المصدر نفسه، ص39

الانتحال

الانتحال: (نَحَلَ) في اللغة« أعطى، ونْتَحَلَ فلان شعر فلان أو قوله: إ ذا ادعاه لنفسه. ونَحَلَ القول يَنْحَلُهُ نَحلاً: نسبه إليه. ويقال: نَحَلَ الشَاعِر قصيدة إذا نسبة إليه وهي من قيل غيره. وانْتَحَلَ فلان كذا و كذا معناه قد ألزمه نفسه وجعله كالملك له. ونَحَلْتُهُ القول أنْحُلهُ نَحلاً إذا أضَفتُ إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه»[1]، وقيل:« انْتَحَلَهُ وتَنَحَلَهُ: ادَعَاهُ لِنفسِهِ وهو لِغَيرِهِ ، ونَحَلَهُ القَولَ كَمَنَعَهُ : نَسَبَهُ إليه»[2]، وقولهم: « انْتحَلَ كذا، إذا تعاطاه وادَّعاء»[3].

وفي الاصطلاح: هو« إقحام شعرٍ قاله متأخِّرُ على شاعر مُتَقَدِّمٍ لأسباب سياسية، أو دينية، أو شعوبية. أو بسبب وضع القصص أو هو بعض الرواة»[4]، و« نَحَلَ شِعْراً، نَسَبَه إلى نفسه. وهو لغيره»[5].

ويعد ابن سلام الجمحي من الأوائل الذين تحدثوا على الانتحال في الشعر، في كتابه (طبقات فحول الشعراء) فيقول: « في الشعر مصنوع مفتعل وموضوع كثير لا خير فيه...»[6]، فقد عرف العرب الانتحال بأشكاله المختلفة وقد حذروا منه ووضع النقاد قواعد يمكن عن طريقها توثيق وتحقيق الشعر المنحول وكان من أهم هذه القواعد« الرواية عن أهل البادية، وعرض الشعر عن العلماء به»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

الانتحال:

يعد من أقل المصطلحات وروداً في الوساطة، فلم يتعد ذكره الأربع مرات، وكانت كلها نكرة، وقد جاء فيها بمعنيين:

---

[1]- لسان العرب، مادة (نحل)

[2]- القاموس المحيط، مادة (نحل)

[3]- مقاييس اللغة، مادة (نحل)

[4]- المعجم المفصل في الأدب، ص185

[5]- المعجم الأدبي، ص279

[6]- طبقات فحول الشعراء، ج1ص4

[7]-ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص58

أ- قصد به أخذ الراوي لأبيات شاعرٍ ونسبتها إلى شاعرٍ آخر، نتيجة لفساد هذا الراوي الذي ينقل هذه الأشعار، مما يؤدي إلى تداخل الأشعار واختلاطها، ذكر القاضي عينة من هؤلاء الرواة والشعراء الذين عرفوا عند العلماء بنحلهم لشعر، فيقول: « أحلتك على ما قالت العلماء في حماد وخلف وابن دأب وأضربهم، ممن نَحلَ القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أضعافه، وصعب على أهل العناية إفراده وتعسر »[1].

وهذا لا يختلف عن ما ذهب إليه ابن سلام الجمحي عندما اتخذا من سيرة ابن إسحق نموذجاً عن نحل الشعر، فقال: « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل على غُثاء منه محمد بن إسحق...»[2]. وهذا هو الموضع الوحيد الذي ورد فيه مصطلح الانتحال بهذا المعنى.

ب- الانتحال بمعنى الإدعاء، في قوله: « فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وانتحلُ مولاتَه وتعظيمه»[3]، وفي قوله: « فإن عَثِر له من بعد على زلة، ووجدت له بعقب الإحسان الإحسان هفوة انتُحِل له عذر صادق، أو رخصة صائغة»[4]، وقوله: « وقد تجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلوا في تقديمه »[5]. والانتحال هنا في معناه لا يدخل يدخل في ما ذكرناه سابقاً عن انتحال الأشعار

والقاضي لم يعر قضية الانتحال أهمية في وساطته، وربما لأن موضوع الانتحال أنهك لكثرة تطرق أسلافه إليه، ونعكس هذا على مصطلح الانتحال فقل وروده وإن كان معناه لا يخرج عن وضع الأشعار لغير أصحابها.

---

[1]- الوساطة، ص 24

[2]- طبقات فحول الشعراء، ج1ص7

[3]- الوساطة، ص26

[4]- المصدر نفسه، ص14

[5]- المصدر نفسه، ص55

الأوائل

(الأول-أولى-التأويل)

الأول: يقول ابن فارس: « الهمزة و الواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه... والأوَلُ مبتدأُ الشيء، ومؤنثه الأُوَلى»[1]، وقيل:« الأَوَلُ: الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه: أحدها المتقدم بالزمان، فيقال بمعنى قَدِيم نحو: جِئتكَ أولاً وأخراً أي قَدِيمَاً وحَدِيثَاً ...وإذا قيل في صفة الله: هو الأَوَلُ، فَمَعناه أنهُ الذِي لَم يَسبِقهُ فِي الوجود شَيء»[2]، ويقصد بـ« آلِ الرجل أهله وعياله وآلُهُ أيضا أتباعُه والآلُ الشَّخْصُ وآل الأميرُ رَعِيَتُه»[3].

أما في الاصطلاح:« الأول هو الجاهلي أو الإسلامي الذي قال شعراً أو كلمةً مأثورة»[4].

وإذا قلنا أوائل فهم« الشعراء من أهل الجاهلية وصدر الإسلام، ويقابلهم الشعراء المحدثون»[5].

في اصطلاح (الوساطة):

الأوائل:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، وجاء فيها بمعنيين:

أ-الأوائل جمع أول، جاء بمعنى السابق في الزمن سواء كان جاهلي أو إسلامي، يذكره القاضي في حديثه عن عدم عناية الأوائل بالاستهلال والتخلص والخاتمة،يقول:« والشاعر الحذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص و بعدهما الخاتمة، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور،وتستميلهم إلى الإصغاء، ولم تكن الأوائل، تخصه بفضل مراعاة »[6]، وفي حديثه عن شيوع الإفراط بين الأوائل والمحدثين، يقول: « فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين، وموجود كثير في الأوائل»[7].

1- مقاييس اللغة، مادة (أول)
2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أول)
3- مختار الصحاح، مادة (أول)
4- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص87
5- المصطلح النقدي عند المرزباني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، من إعداد: بلقاسم مالكية، تحت إشراف الدكتور الطيب بودربالة، جامعة باتنة، 2005م ص186
6 - الوساطة، ص51
7 -المصدر نفسه ، ص348

ب- جاء مرة واحدة بمعنى بداية أمر ما، يقول:« وكثيراً منكم لا يعرف من السرق إلا فإن تجاوزه حصل على ظاهره، ووقف على أوائله »[1].

أشعار الأوائل:

ورد هذا المصطلح في قوله: « وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى»[2]، وفي قوله: « لأني لم أَدَّع الإحاطة بشعر الأوائل ولأواخر»[3] ولأواخر»[3] وضد الأوائل الأواخر.

أوائل الشعراء:

ورد هذا المصطلح في حوار داخلي مثير يتسأل فيه القاضي فيقول: « خبرني عن من تعظم من أوائل الشعراء، ومن تفتتح به طبقات المحدثين»[4].

الأول:

الأول عند القاضي الجرجاني جاء بمعيين:

أ-السابق في الزمن سواء كان جاهلي أو إسلامي. وهذا ما قصده القاضي في تعليقه عن المبالغة في الإفراط عند المتقدمين إقتداءً بالمتأخرين، فيقول: « واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم»[5].

ب- المبتدئ السابق في فعل الشيء فيقول:« ولم يرض الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قدماً، وارتفع عليه درجة»[6]. ويذكره القاضي في كلامه عن المعاني المشتركة المتداولة التي استعملها المتأخرون احتذاءً بالأوائل، فيقول: « ثم تدوول بعده، فكثر واستعمل؛ فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد»[7].

أولى:

تكرر هذا المصطلح إحدى عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والأولى عند القاضي

[1]- الوساطة، ص161
[2]- المصدر نفسه، ص 17
[3] - المصدر نفسه، ص140
[4]- المصدر نفسه، ص 55
[5] - المصدر نفسه، ص350
[6]- المصدر نفسه، ص50
[7]- المصدر نفسه، ص162

هو الأحق بالأمر يقول: « حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدى إليها من هو أولى بها»[1]، وقوله: « وما مَن حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممَّن رَعي حريمه أن يهتك»[2].

التأويل:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والتَّأْوِيلُ« تفسير ما يؤول إليه الشيءُ»[3]، وقيل: «التَّأْوِيلُ رد الشيء إلى الغاية المُرداة منه، علماً كان أو فعلاً. والتَّأْوِيلُ من الأول أي الرجوع إلى الأصل»[4]، ويقصد بـ« تَأْوِيلِ الكلام: عاقبته وما يَؤُولُ إليه»[5].

ويعد البعض« التأويل من عيوب الكلام، لأن القدماء كانوا يرون البيان أن يكون الكلام بريئاً من التقعيد غنياً عن التأويل»[6].

أما التأويل عند القاضي فهو تبين المراد من اللفظ المحتمل لأكثر من وجه، ومثل له بختلف خصوم المتنبي حول المراد من قوله:

ما بقَومي شَرُفْتُ بل شَرفُوا بي وبنَفْسي فَخَرْتُ لَا بجُدُودي

يعلق القاضي بقوله: « فختم القول بأن لا شرف له بآبائه. وهذا هجو صريح، وقد رأيت من يعتذر به، فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفي مناقب سوى الحسب، وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيبة، وإنما يستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ »[7]، فالكلام الذي تعددت تأويلاته، واختلفت الآراء حول المقصد منه، يأخذ بظاهريه ومعاني ألفاظه.

ويحمل التأويل عند القاضي معنى التفسير لما هو غامض وهذا عند كلامه عن المتكلف من شعر أبي تمام، يقول: « فخبرني هل تعرف شعرا أحوج إلى تفسير بقراط وتأويل أرسطو»[8]، ثم يورد قول أبي تمام:

---

[1] – الوساطة، ص11
[2] – المصدر نفسه، ص11
[3]– مختار الصحاح، مادة(أول)
[4]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(أول)
[5]– مقاييس اللغة، مادة(أول)
[6]– معجم النقد العربي القديم، ص289
[7]– الوساطة، ص312
[8]– المصدر نفسه، ص27

جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جَوهر الأشياء

ويأخذ شعر المتنبي قدر كبير من التأويلات، من المتحاملين عليه بالانتقاد والتجريح يقول: « وإن قال ما سمحت به النفس ورضي به الهاجس قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل فإحسانه يُتَأَوَّل، وعيوبه تُتمّحّل، وزّلته تتضاعف، وعذره يكذب»[1] ومعنى التفسير واضح في مصطلح التأويل في هذا الاقتباس.

ويقول القاضي عن فساد العقيدة في شعر أبي نواس: « وإنما هو نزع عن الشيء نزوعاً وأبيات كثيرة يضعف عذره في معظمها، وإن كان باب التأويل يتسع، ومذاهب الاحتيال في النحو لا تضيق »[2].

ولاشك أن اختلاف التأويل يعود لاختلاف القرائح و الأفهام والنزعات، فبينما ينزع هذا في تفكيره نزعة لغوية، وذاك نزعة نحوية، وذلك نزعة فلسفية منطقية، يكون تأويل الأبيات متباينا تبعا لذلك، ويكونون كما وصفهم المتنبي في قوله :

ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

وما أثاره تفاعل الأوائل مع الأواخر أو المتقدمين بالمتأخرين جعل هذا المصطلح- الأوائل- يتكرر كثيراً في الوساطة، كما لقيا مصطلح التأويل حظاً وافراً من عناية القاضي كونه سبباً في إثارة الكثير من المشاحنات حول أشعار المتنبي لاختلاف خصومه في تأويلها.

---

[1] – الوساطة، ص55

[2] – المصدر نفسه، ص61

البديع

(أهل البديع-أصناف البديع)

البديع: البَدِيعُ عند بن منظور« مِن المُبدِع، وهو من أسماء الله الحسنة لإبْدَاعِهِ الأشيَاء وخَلقِهِ إيَاهَا، وهو البَدِيعُ الأَوَلُ قبل كُلِ شيء، قال سبحانه: (📪♦⑨ⓢ③➚← ✂✂♦❐ ⇦✞🕓♦❑🕓⍓☺○○ ✂✂☞⑥⇗⊽⇦) [1] أي خالقها مُبدِعُهَا، والبَدِيعُ الجَدِيدُ، وحَبلُ بَدِيعُ: جديد، والبَدِيعُ من الحبال: الذي ابتدئ فتله والبَدِيعُ الزمن الجديد، وابتَدَعَ الشيء: جاء بالبَدِيع المُبتَدَعُ، والإبتِدَاعُ: الاختِرَاعُ على غير مثل»[2]، ويقال « أبدعَ الشاعرُ جاء بالبديعِ وشيء بِدْعُ مُبْتَدَعُ، والبِدعةُ الحديث في الدين بعد الإكمالِ واستبدَعَهُ عده بديعاً»[3]، وقيل: « أبْدعْتُ الشيء قولاً أو فِعلاً، إذا ابتدأته لا عَنْ سابق مثال»[4].

أما في الاصطلاح: « أطلقه الرواة على المستظرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسنا وجمالاً»[5]، واعتبر« علم تُبحثُ به وجوهُ تفيدُ الحسنَ في الكلام بعد رعايةِ المطابقة لمقتضى المقام ووضوحِ الدلالة على المرام»[6]، والبديع اسم كتاب لابن المعتز، والذي اعتبر البديع فناً ليس من وضع المحدثين فقط، بل كان موجوداً عند الشعراء الجاهلين، يقول ابن المعتز: « ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيّلهم(حاكاهم) وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم، فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

البديع:

ورد هذا المصطلح خمس عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والبديع عند القاضي

---

[1]- سورة البقرة، الآية 117

[2]- ينظر: لسان العرب وقاموس المحيط، مادة(بدع)

[3]- مختار الصحاح، مادة(بدع)

[4]- مقاييس اللغة، مادة(بدع)

[5]- فنون بلاغية، البيان والبديع، احمد مطلوب، دار البحوث العلمية ، الكويت، ط1، 1975م ص196

[6]- المعجم المفصل في الأدب، ص174

[7]- البديع، عبد الله ابن المعتز، اعتنى بنشره والتعليق عليه وإعداد فهارسه: أغناطيوس كراتشوفسكي، بغداد، ط3، 1982م، ص1

الجرجاني هو ما يميز بعض الأبيات عن غيرها لما فيها من غرابة وحسن ورشاقة ولطف فيقول: « وقد كان يقع ذلك(استعمال البديع) في خلال قصائدهم، ويتفق لها في البيت بعد البيت، على غير تعمد أو قصد، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، و تميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع، فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومفرط »[1]، ويعلق على بيتين أحدهما لامرئ القيس يقول فيه:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَن أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْش وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وآخر لعَدِي بن الرفاعِ:

وَكَأَنَّها بَيْنَ النَّسَاءِ أعَارَها عَينْيْهِ أحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ

فيقول: « رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قربهما منه، والمعنى واحد، وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيدً عن البديع»[2]، وقوله: « وشُحن مطابقة وبديعاً»[3].

أهل البديع:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، و أهل البديع هم الشعراء الذين يكثرون استعمال البديع حتى أصبح ينسب إليهم، يقول القاضي: « ولست أقول هذا غضبا من أبي تمام، ولا تهجينا لشعره، ولا عصبية عليه لغيره، فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وأنتحل موالاته و تعظيمه، وأراه قبلة أصحاب المعاني، وقدوة أهل البديع!»[4]، وقوله: « إن كان أهل الإغراب و أصحاب البديع من المحدثين قد لهجوا به واستحسنوه، وتنافسوا فيه؛ وبارى بعضهم بعضا به»[5].

أصناف البديع:

تكرر هذا المصطلح مرتين، وأصناف البديع هي أقسامه أو أنواعه، يقول القاضي: « ومن أصناف البديع التصحيف، كقول الشاعر:

و لم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز، والمعتز بالله طالبه

---

[1]- ينظر: الوساطة، ص 39
[2]- المصدر نفسه، ص36
[3]- المصدر نفسه،ص343
[4]- المصدر نفسه، ص26
[5]- المصدر نفسه، ص354

وقول إسماعيل بن عباد:

غمائم هن فوق أرؤسنا عمائم لم يذلن بالخلق »[1]

ويجعل التقسيم من أنواع البديع، ويجعله موصولاً، فيقول: « ومنه التقسيم، وقد يكون موصولاً»[2]، ويمثل له بقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذ أطعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

يعلق عن البيت: « فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولا به»[3].

نرى أن كل المعاني السابقة تدور حول مفهوم واحد للبديع وهو الجديد الذي يظفر به الشاعر عن غيره فيتميز به.

ولم يهتم القاضي بألوان البديع، ولم يذكر منها إلا فنونا قليلة، وقد أشار إلى أن المحدثين سموا الاستعارة والمطابقة و الجناس وغيرها بديعاً[4].

---

[1]- الوساطة، ص49

[2]- المصدر نفسه، ص49

[3]- المصدر نفسه، ص49

[4]- ينظر: فنون بلاغية، ص201

البارِدة

(البرد– بارد– مستبرد)

البارِدة: جاء في اللسان« البَردُ ضد الحر والبرودة نقيض الحرارة، برد الشيء يبرُدُ بُرُودة وماء بَرْدُ وبارد وبَرُودُ وبراد، وقد بَرَده يَبْرُدُه بَرْداً وبَرَّدَه: جعله بارداً، وضرب حتى بَرَدَ معناه: حتى مات، وَبَرَدَ...ضعُف وَفَتَرَ عن هُزال أو مرض، وَبرَدَه يَبرُده: خلطه بالثلج وغيره، وأَبَرَدَ له: سقاهُ بارداً، بَرَدَ: سَكن وفَتر، بَرُودُ الظل أي طيب العشرة»[1]، ويقال:« بَرُدَ الشيء وبَرّدته أنا فهو مَبرُود وبَرّدته تبريداً ولا يقال أَبردته إلا في لغة رديئة»[2]، ويقال:« الباردة في اللغة خلاف الحارة، لأن أصْلَ البَردِ خِلافُ الحَرَّ...وعَيشُ بَارِدُ: أي طَيَّبُ»[3]، و إذا قلنا« غنيمة باردة: أي حاصلة بغير تعب، وكل محبوب عندهم بَارِد»[4].

وفي الاصطلاح: « الأشعار الباردة هي الأشعار التي لا تستفز القلب»[5]، وتعتبر« الباردة من النوادر هي التافهة المعنى، التي تقابل عادة من المتلقي بِبُرُود... والبارد من الشعر هو الضعيف منه الذي لا يكاد يجاوز مستوى الكلام العادي، ومن اسمه يفهم أنه لا يبعث في نفس المتلقي أي حركةٍ أو حرارةٍ، بخلاف ضده الحار»[6].

في اصطلاح الوساطة:

البارِدة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة يتيمة في الوساطة، والباردة عند القاضي الجرجاني جاءت بمعنى السهلة، أي عكس المعقدة، فالألفاظ الباردة عنده هي السهلة الحاصلة من غير عناء وتعب، والمرة الوحيدة التي أورد فيها هذا المصطلح كانت في كلامه عن المعقد من شعر المتنبي فيقول: « ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن ورائها كنزاً من

1– لسان العرب، مادة (برد)

2– تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت لبنان،ط3، 1984م مادة (برد)

3– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (برد)

4– مختار الصحاح، مادة(برد)

5– ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص263

6– ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص86–87

الحكمة، وأن في طيها الغنيمة الباردة...»[1]، وقد أوردنا في المعنى اللغوي للباردة أن الغنيمة الباردة هي الحاصلة بغير تعب.

البَرْد:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة، كان فيها معرفاً، والبرد في الشعر عند القاضي هو الركيك الغث الثقيل عن القلب والنفس، وهذا ما أورده القاضي في قوله: « قد جمع في هذه الأبيات و في غيرها مما احتذي به حذوها بين البرد الغث، و بين الثقل والوخامة...»[2]، وبنفس المعنى في قوله: « هل كان من يزيد على أن يذم عفته، ويصفها بالجموس والجمود، وهما من صفات البرود والثقل»[3]. وغالباً ما يرد مصطلح البَرْد في كتاب الوساطة رديفاً للغثاثة، كما في قوله: « ومنهم ما حمل عليه التعمّق، فخرج به إلى الغَثَاثَة والبرد»[4] .

بارد:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة كانت نكرة بعد قول أبي تمام:

مازَالَ يَهْذِي بِالمَكَارِمِ والنَّدَى حَتى ظَنَنَا أَنّهُ مَحْمُومُ

يعلق القاضي بقوله:« فتناول معنا بارداً، وغرضاً فاسدا، فأكده وأضاف إلى الحمى الهذيان»[5].

مستَبرَد:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة وكان فيهما نكرةً ، وقصد القاضي بالمستَبْرَد ما تَنْبُو النفس عنه، ويقل ارتياح القلبِ إليه، وهذا ما جاء في قوله: « وأما وأنت تقول: هذا غث مستبرد، وهذا متكلف متعسف، فإنما تخبِر عن نُبُو النفس عنه، وقلة ارتياح القلب إليه»[6]، و قوله في تعليقه عن المستقبح من ابتداء المتنبي: « واستَبْرَدّ قوله:

أمُاوِرُ أمْ قَرْنُ شَمْسٍ هذَا أم لَيْثُ غابَ يَقْدُمُ الأسُتَاذَا »[7]

---

[1]- الوساطة، ص90
[2]-الوساطة، ص85
[3]- المصدر نفسه، ص72
[4]- المصدر نفسه، ص92
[5]- المصدر نفسه، ص220
[6]- المصدر نفسه، ص91
[7]- المصدر نفسه، ص137

والمعنى البارد عند القاضي هو الضعيف الذي لا يكاد يجاوز الكلام العادي، ومن اسمه يفهم أنه لا يبعث في نفس المتلقي، أي حركة أو حرارة بخلاف ضده الحار.

البيان

(التبيين–التبين–البيَّن–التباين–الاستبانة)

البيان: « ما يُبَيَنُ بهِ الشيء من الدَلالة وغيرهَا، وهو: الظُهُورُ والوُضُوح، وبَانَ الشَيءُ: اتَضحَ فَهَو بَين، واسْتَبَانَ الشَيء: ظَهَرَ، والبَيَانُ الفَصَاحَة وكَلامُ بَينُ: فَصِيح. والبَيَانُ الإِفْصَاحُ مَعَ ذكَاء. والبَينُ مِن الرِجَال: الفَصِيحُ و السَمحُ اللِسَان، والبَيَانُ: إظْهَارُ المَقصُود بِأَبلَغِ لَفظ»[1]، ويقال:« بَانَ كَذَا: أَي انفصَلَ وظَهَرَ مَا كَانَ مُستَتِراً مِنهُ، ولَما اعتُبِرَ فِيه مَعَنى الاِنفِصَال والظُهُور استُعمِلَ فِي كُلِ وَاحِد منفرِداً، فقيل للبئر البعيدةِ القَعْر: بَيُونٌ...وبَانَ الصبح: ظَهَر»[2]، وهو« بعد الشيء وانكشافه»[3].

وفي الاصطلاح: هو« توضيح المعنى، والكشف عنه كشفاً يجعل السامع يفضي إلى حقيقته بسهولة»[4]، ويقال:« فلان ذو بيان أي فصيح وهذا أبْينَ من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً. فالبيان هو المنطق الفصيح المعبَّر عمَّا في الضمير»[5]، وهو« الكشف عن المعنى حتى تدركه النفسُ من غير عقلة، فإذا كان في الكلام تعقيد لم يستحق اسم بيانٍ»[6] والبيان عند الجاحظ هو الكشف والإيضاح والفهم والإفهام، قال: « البيان اسم جامع جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته...فإنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الوضع»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

البيان:

---

[1]– لسان العرب، مادة (بين)

[2]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(بين)

[3]– مقاييس اللغة، مادة (بين)

[4]– ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص81

[5]– كشاف اصطلاحات الفنون، ص348–349

[6]– المعجم المفصل في الأدب، ص199

[7]– البيان والتبيين، ج1ص76وينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص119

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني هو كشف وإظهار المعنى وإيضاحه للعيان وهذا ما يفهم من النصوص التي ورد فيها، كما في قوله على لسان الشافعي: « إني لأجد بيانها في قلبي، ولكن ليس ينطق به لساني»[1]. فالبيَّان هنا جاء بمعنى الوضوح، فهي واضحة ظاهرة في قلبه، لكن لا يستطيع نطقها بلسانه.

فيعلق القاضي على قول الشافعي، بقوله: « وما أقرب ما قاله من الصواب وأخلقه بالسداد وقد أجد هذا الفصل الذي تخيل له بعض البيان»[2]. ولا يختلف معناه هنا عن سابقه.

كما يرد هذا المصطلح نكرة، كما في قوله: « وتميز ضروبها وأصنافها لإحتجنا إلى إتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال»[3]، فالشاهد والمثال يستخدمان لغرض توضيح وتقريب الحقيقة من القارئ، والقاضي يضيف لهما البيان لنفس الغرض؛ فلا يخرج هنا عن معناه في الاقتباسات السابقة.

التبيين:

التبيين من تَبَيَّنَ الشيء: ظَهَرَ، والتبيين: الإيضاح والوضوح[4].

في اصطلاح (الوساطة):

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة وكان فيهما مطلقاً، ومعنى التبيين عند القاضي هو الكشف والإظهار، فمثلاً في قوله: « ومما يقارب هذه الأبيات، مما يحتاج في بعضها إلى تبيين وكشف»[5]. فالتبيين هنا جاء مرادفاً للكشف، فحمل معناه وهو الإظهار والتوضيح والتوضيح وفي قوله: « فإني لو شرعتُ في تبيين كل ما يشكل منه على الشَّادِي»[6].

التبين:

---

[1] – الوساطة، ص357
[2] – المصدر نفسه، ص 357
[3] – المصدر نفسه، ص51
[4] – لسان العرب، مادة (بين)
[5] – الوساطة، ص385
[6] – المصدر نفسه، ص360

ورد هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه لا يختلف عن معنى التبيين، كما في قوله: « فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين»[1]، وقوله: « وحسن النظر، والتحرز من الإقدام قبل التبين»[2]، وقوله: « تتبين عند حروف الحلق»[3] .

أي تظهر عند حروف الحلق.

البيِّن:

ورد هذا المصطلح ست مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وجاء البيِّن بمعنى الظاهر عند القاضي، كما في قوله: « فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقِم الأمر البيِّن »[4]، وفي حديثه حديثه عن الإحالة: «... وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البيِّنة، والتقصي الفاحش»[5]. ومراده الإحالة الظاهرة، وهي عنده مما يعاب.

التَبَايُنُ:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي هو الاختلاف والتنافر وعدم الائتلاف، وهذا ما يستفاد من مجموع النصوص التي ورد فيها فمثلاً في قول القاضي: « وتلك الوجوه تختلف بحسب اختلاف مواضعه، وتتباين على قدرِ تبايُن المعاني المتضمنة له »[6]، ويعلق عن قصيدة جُمِعت أبياتها من شعراء مختلفين فيقول: « فزوده كل رجل منهم البيتين والثلاثة، ثم نظمها قصيدة، وإذا سبب ذلك التباين تفاضل القرائح، واختلاف الأفكار والهواجس»[7].

فالتباين هنا يعنى التنافر، وهذا يتفق مع قول الجاحظ في التباين: « وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده...»[8]، كما يرد هذا المصطلح في قول

---

[1] – المصدر نفسه، ص25
[2] – المصدر نفسه، ص180
[3] – المصدر نفسه، ص377
[4] – الوساطة، ص364
[5] – المصدر نفسه، ص360
[6] – المصدر نفسه، ص358
[7] – المصدر نفسه، ص142
[8] – ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص136

القاضي: « وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباينُ فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر أخر»[1].

الاستبانة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، ومعناه عند القاضي هو الظهور والوضوح يقول: « والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجتزأ بظهور الغاية واستبانة المراد»[2].

فمصطلحي البيان والتبيين وما تبعهما من اشتقاقات لم يخرج معناهما عن الوضوح والظهور والكشف عن ما وراء المبهم الغريب من المعاني، وإن خرج مصطلح التباين عن ما قلنا ليدل على التنافر وعدم التوافق.

---

[1] – **الوساطة، ص24**

[2] – **المصدر نفسه، ص372**

التثقيف
(المثقفة)

التثقيف: في الصحاح هو« الحِذقِ والسُرعَة. ومنه يقال ثَقُفَ الرجُلُ ثَقفاً وثَقَافَةً: أي صار حَاذِقاً وخَفِيفاً وثقفه تَثقِيفاً: سواه وقومه، والتَثقِيفُ: التأديب والتهذيب»[1]، وقيل« الثَّقفُ: الحذقُ في إدراكِ الشيء وَفِعلِهِ؛ يقال ثَقِفتُ كذا: إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر»[2]، وقيل« التَثقِيفُ: التَسويَة والتَقويمُ: حِساً ومَعنَى، ومنه تَثقِيفُ الرِمَاح: أي تَسويتُها»[3]، وقيل:« ثَقَّفَهُ تَثقِيفاً: سَواهُ، وثَاقَفَهُ فَثَقِيفَهُ، كَنَصَرَهُ: غَالَبَهُ فَغَلِبَهُ في الحذق»[4]، ويقال:« ثقِفْتُ به إذا ظَفِرت به»[5].

وفي الاصطلاح: « التثقيف تجويد الشعر»[6]، وقيل أن« التثقيف للشعر هو معاودة صاحبه النظر فيه بالإصلاح والتحسين حتى تخرُج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة»[7]، و« من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كاملاً، أو زمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه... وكان النقاد يسمون الذين يعتنون بشعرهم: عبيد الشعر، يقول الحطيئة خير الشعر الحولي المحك»[8].

1- تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ثقف)
2 - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ثقف)
3 - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضي الحسيني الزبيدى، تحقيق:عبد الكريم العزباوي، دار التراث العربي الكويت،ط1، 2000م.، مادة (ثقف)
4- القاموس المحيط، مادة (ثقف)
5- مقاييس اللغة، مادة (ثقف)
6 - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص87
7- مصطلحات نقدية وبلاغية، ص148
8 - ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي ، ص87

في اصطلاح (الوساطة):

التثقيف:

ورد هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني هو إتعاب الفكر وإجهاد الخاطر لإخراج الكلام منظوماً كان أو منثوراً في أجود صورة، يقول: « الكلام: منظومه ومنثوره ... ثُقف غاية التثقيف، وجهد فيه الفكر، وأتعب لأجله الخاطر، حتى أحتمي ببرائته عن المعايبِ، واحتجر بصحته عن المطاعن...»[1].

ويتكرر هذا في قوله: « ولم يبخس التثقيف شرطه، لا نقطعت عنها ألسن العيب»[2].

المثقفة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة، في قوله: « وتستشهد عليه الأذهان المثقفة»[3]، وقصد بالأذهان المثقفة الواعية.

فالتثقيف عند القاضي سلاح الشاعر يحتمي به من مطاعن معيبيه، ووسيلة تَرُد عنه ألسنة منتقديه.

---

[1] – الوساطة، ص342

[2] – الوساطة، ص344، ويراجع، مصطلح: التهذيب

[3] – المصدر نفسه، ص344

التجنيس

(الجنس-الأجناس)

التجنيس: جاء في القاموس« الجَنِيسُ: العَرِيقُ فِي جِنسِه، والمُجَانِسُ: المُشَاكِلُ، والتَجنِيسُ: تَفعِيلُ مِنَ الجِنس»[1]، وقيل« الجنس: الضرب من كل شيء وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو و العروض و من الأشياء جملة»[2]، قال الخليل:« كل ضرب جنس وهو من الناس والطير والأشياء، والجمع أجناس ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله»[3].

وفي الاصطلاح: « مِن مُحسّنات البَديع التّقليديّة، وهو تَشابُهُ الكَلمتين في اللَّفظ كُلّه أو بّعضه مع اختلاف المعنى»[4]، وقيل:« تشابه الكلمتين لفظاً لا معنى»[5]، أو« تشابه الكلمتين في اللفظ»[6]، أو« تشابه كلمتين في النطق واختلافهما في المعنى»[7]، وقيل« حقيقته أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً»[8].

في اصطلاح (الوساطة) :

التجنيس:

1- القاموس المحيط، مادة (جنس)
2- اللسان العرب، مادة (جنس)
3- مقاييس اللغة، مادة (جنس)
4- المعجم الأدبي، ص88
5- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص173
6- مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص118
7- البلاغة الاصطلاحية،عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 2001م، ص329
8- فنون بلاغية، ص224

ورد هذا المصطلح ست عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقد قسمه القاضي إلى العديد من الأنواع، فاختلاف معناه أو مفهومه باختلاف هذه الأنواع وهي:

التجنيس المطلق:

ويقصد به اختلاف حروف الكلمتين مع اتفاقهما على أصل واحد يجمعهما الاشتقاق[1] يقول القاضي الجرجاني: « فأما التجنيس، فقد يكون منه المطلق وهو أشهر أوصافه»[2] ويمثل لتجنيس المطلق بقول النابغة:

وأقطع الخرق بالخرقاء قد جعلت بعد الكلالِ تشكي الأيَن والسأمَا

وهذا يتصل بالاشتقاق فـ(خرق) و(خرقاء) يجمعهما أصل واحد.

ويضيف في تمثيله لتجنيس بقول البحتري:

صدَق الغُرّاب لقد رأيت حمولَهم بالأمس تغرب عن جوانب غرَاب

ثم يعلق عنه بقوله: « فجانس بثلاث ألفاظ»[3] .

التجنيس المستوفي:

التجنيس المستوفي ويقال له التام والكامل، وهو أن تكون كل الكلمة مستوفاة في الأخرى يقول القاضي الجرجاني: « وقد يكون منه التجنيس المستوفى، كقول أبي تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فجانس بين يحيا ويحيى، وحروف كل منهما مستوفاة في الأخرى، وعد هذا من التجنيس لاختلاف المعنيين لان احدهما فعل ولآخر اسم ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيسا بل لفظة مكررة»[4]. كما يورد قول امرئ القيس:

فلـما دنـوت تَسَـدَّيتُها فثوباً نسـيتُ وثـوباً أَجُـرّ

فقد تكرر في البيت ذكر الثوب، مع اتفاق اللفظين في المعنى فلم يعد جناساً.

التجنيس الناقص:

التجنيس الناقص خلاف التام أو المستوفي، وذلك أن يكون نقص في إحدى الكلمتين، يقول القاضي: « ومنه التجنيس الناقص، كقول الاخنش ابن شهاب :

---

[1]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص96

[2]-الوساطة، ص45

[3]- الوساطة، ص46

[4]- المصدر نفسه، ص46

وحامي لواء قد قتلنا وحاملٍ لواءُ منعنا والسيوفُ شوارعُ.

فجانس (بحامي وحامل) والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الأخرى»[1].

التجنيس المضاف:

التجنيس المضاف ورد في قوله: « ومنه التجنيس المضاف»[2]، ومثل له بقول البحتري:

أيا قمر التمام أعَنْت ظُلما علي تطاول الليلَ التمام

ثم يعلق عن البيت بقوله: « ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يعد تجنيساً، ولكن
أحدهما صار موصولاً بالقمر ولآخر بالليل، فكانا كالمختلفين»[3].

ويعتبر أن من التجنيس التصحيف، ويمثل له بقول البحتري في المعتز بالله وبعض الخارجين عليه:

ولم يكن المغترُّ بالله إذ سَرَى ليُعْجزن والمعْتُز بالله طالبُه

فقد جانس بين المعتز والمغتر بنقط العين وحذف نقطة الزاي، حتى بدت كلمة المغتر كأنها تصحيف لكلمة المعتز، وفي تعليق القاضي عن البيت يقول: « وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس؛ لكن ما أمكن فيه التصحيف فله بابُ على حِياله وجانب يتميَّز به عن غيره»[4].

الجنس:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والجنس عند القاضي الجرجاني هو النوع من كل شيء يقول: « فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمعَ لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفِكرْ»[5]، وقوله: « حتى جاء المتنبي، فملأ ديوانه من هذا الجنس، فأنسانا بيت مسلم»[6].

الأجناس:

---

[1] – المصدر نفسه، ص47

[2] – المصدر نفسه، ص47

[3] – الوساطة، ص47

[4] – المصدر نفسه، ص49

[5] – المصدر نفسه، ص26

[6] – المصدر نفسه، ص78

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، والأجناس جمع جنس فهي الأنواع والأنماط المختلفة للأشياء، يقول: « يفصل بطبعه بين الأجناس والأبْحُر»[1]، وقوله: « والتثنية عند النحويين جائزة في مثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس»[2].

ولم يستخدم القاضي الجرجاني مصطلح الجناس في كتاب الوساطة و اكتفى بمصطلح التجنيس رقم شيوع استخدامه –مصطلح الجناس– بين كتاب عصره ومن سبقوه أمثال المبرد وأبن المعتز وقدامه و أبو هلال العسكري.

و لما كان لتجنيس وقع في النفس وفائدة في ذيوع الشعر ورواجه، لقي إقبالاً وكثرة استعمال من الشعراء المتقدمين والمتأخرين، ففصَّل القاضي الحديث فيه وذكر بعضاً من أنواعه، كما مثَّل له بأشعار كثيرة.

---

[1]- المصدر نفسه، ص343

[2]- المصدر نفسه، ص 373

التشبيه

(أشباه-الشبهة-المشابهة)

التشبيه: يقول ابن فارس: « الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابه الشّيء وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً»[1]، وقيل:« الشَبَهُ والشَبِيهُ: المِثْلُ، وأَشْبَهَ الشَيء: مَاثَلَه، ويقال هذا شَبِهُهُ أي شَبيهُهُ، وأشْبَهْتَ فُلاناً وشَابَهتَهُ وأُشْتُبِهَ عَلَي، وتَشَابَهَا الشَيئَان واشْتَبَهَا: أشْبَهَ كل واحد منهما صاحبه، والتَشْبِيهُ هو التَمثِيل»[2]، و« الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَبِيهُ حَقِيقَتُهَا في المُمَاثَلَة، والشُبْهَةُ هو أن لا يتميز أَحَدُ الشَيئَين مِن الآخر لِمَا بَينَهِمَا من التَشَابُه عيْنَاً كَان أو مَعْنًى»[3]، و«الشُبهَةُ: الالتِبَاس، وشُبِّهَ عليه الأمر تشبِيهاً: لُبِّسَ عليه»[4].

و في الاصطلاح: « يتفق البلاغيون على أن التشبيه هو الاتفاق بين شيئين، في صفة أو أكثر، فالتشبيه عند أهل البيان هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد»[5]، كما أن « التشبيه هو الدلالة على شيئا أو صورة تشترك مع شيء آخر أو صورة أخرى في معنى أو صفة. وهو يتكون من

---

[1]- مقاييس اللغة، مادة(شبه)

[2]- لسان العرب، مادة(شبه)

[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (شبه)

[4]- القاموس المحيط، مادة (شبه)

[5]- كشف اصطلاحات الفنون، ص434

مشبه ومشبه به وأداة تشبيه ووجه شبه»[1]، يقول سيبويه: « تقول: (مررت برجل أسد أبوه) إذا كنت تريد أن تجعله شديداً، و(مررت برجل مثل الأسد أبوه) إذا كنت تشبهه»[2].

في اصطلاح (الوساطة):

التشبيه:

ورد هذا المصطلح اثنين وستين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وبصيغ مختلفة(شبه–أشبه–شبيه–المتشابهين)، والتشبيه عند القاضي الجرجاني في مفهومه لا يختلف على أسلافه من النقاد واللغويين، فهو اتفاق شيئين في صفة أو أكثر فيعلق على بيتٍ للمسَيَّب بن عَلَس جاء فيه:

وَكأَنَّ غَارِبَها رُباوة مَخْرَمٍ وتَمُدُّ ثِني جَدِيلها بِشَراع

فيقول: « أراد تشبيه العُنق بدَّقل فغلط»[3]، ويشير أيضاً إلى ما يتداول من التشبيهات فيقول: « وما تزال العامة والخاصة، تشبه الورد بالخدود، والخدود بالورد، نظماً ونثراً»[4]، فالورد والخدود يتشابهان في صفة الاحمرار

كما تحدث القاضي عن التشبيه في ثنايا كلامه عن الخلط بين الاستعارة والتشبيه عند بعض الناس، فيقول: « وربما جاء من هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثَل؛ فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعاً من الاستعارة عد فيها قول أبي نواس:

والحُبُّ ظَهْرُ أنت راكبُه فإذا صرفتَ عِنانه انصرف

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظَهْر...فهو إما ضرب مَثَل أو تشبيه شيء بشيء»[5]. وقوله: « ومن ذا يشك في فضل امرئ القيس يشبه الناقة في سرعتها بتيس الظباء في عدوه »[6]، ثم يورد قول امرئ القيس:

أو تيسٍ أظبٍ ببطن واد يعدو وقد أُفْرِدَ الغَزَالُ

---

[1]– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص99

[2]– ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص 167

[3]– الوساطة، ص20

[4]– المصدر نفسه، ص164

[5]– المصدر نفسه، ص45

[6]– المصدر نفسه، ص165

وفي كلامه عن سرقات المتنبي المدّعاة، يتكلم القاضي عن تشبيه الشيء بشيء، وذكر أن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وآخر بالحال والطريقة، كما يذكر محاسن التشبيه وأدواته، وما يعابُ منه كقول المتنبي:

أَمِط عَنكَ تَشبيهي بِما وَكأَنَّهُ فلا أَحَدُ فَوقِي ولا أَحَدُ مِثلِي

يعلق القاضي: « فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بمِثل وشِبه ونحوهما، ومن الأدوات بالكاف ثم تدخل على أن فيقال: كأنَّه الأسد، وقد تُقَرَّب العرب التشبيه بأن تجعل أحد الشيئين هو الأخر، فتقول زيد الأسد عادياً، والسيف مسلولاً»[1]. في هذا الاقتباس نتعرف على أقسام التشبيه عند القاضي وهي المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وهو لا يختلف فيها عن أسلافه.

التشبيه بـ(ما):

التشبيه بـ(ما)؛ من الأمور التي تفرد بذكرها القاضي وخصص لها حيزاً من كتابه الوساطة لتفصيلها، ولأنها تتصل بمصطلح التشبيه ارتأينا أن نذكرها في تتبعنا لهذا المصطلح، يقول القاضي: « فأما (ما) فلها مواقع معروفة وليس للتشبيه في أبوابها مدخل. وهذا مما سئل أبو الطيب عنه فذكر أن (ما) تأتي لتحقيق التشبيه؛ تقول: عبد الله الأسد وما عبد الله إلا الأسد وإلا كالأسد، تنفي أن يشبه بغيره »[2]، ويمثل لهذا النوع من التشبيه بقول الشاعر:

وما هِندُ إلا مُهْرَة عربية سَلِيلةُ أفراس تجلَّلهَا بَغْل

وقد تجيء مع الكاف قال لبيد:

وما المرؤُ إلا كالشُهابِ وضَوئِه يَحُورُ رَمَاداً إذ هو مَاطِعُ

ويعلق عن البيتين فيقول: « فكأن قائلا قال: ما هو إلا كذا، وآخر قال: كأنه كذا...إن التشبيه بما محال وإنما يقع التشبيه في هذه المواضع التي ذكرها بحرفه»[3].

فـ(ما) على رأي الجرجاني لا دخل لها في التشبيه وإنما التشبيه يقع بحرفه؛ فمثلاً في قوله: ما المرء إلا كالشهاب فالتشبيه وقع بالكاف، و(ما) دخلت للنفي فنفت أن يكون المرء إلا كالشهاب، فهي لم تتعد موضعها من النفي.

1- المصدر نفسه، ص367

2- الوساطة ، ص368

3- المصدر نفسه ، ص368

المشبه:

ورد مرة واحدة، وهو أحد طرفي التشبيه، يقول: « فقد يكون المشبه بالشمس في العلو والنباهة»[1] .

أشباه:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة مطلقاً، بمعنى أمثال، كما في قوله:« وأشباه ذلك مما يكثر تعقبه، ولم يذكر إلا اليسير منه»[2].

المشابهة:

ورد هذا المصطلح مرتين في كتاب الوساطة، وجاء بمعنى المماثلة، كما في قوله: « وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غيرُ مستكرهة، وقريبةُ المشاكلة ظاهرةُ المشابهة»[3] وقوله: « وألا يكون همك في تتبع الأبيات المتشابهة، والمعاني المتناسخة»[4].

الشبهة والاشتباه:

تكرر هذا المصطلح خمس مرات(معرفاً ومنكراً)، كان فيها بمعنى الإلتباس الذي يحدث نتيجةً لعدم القدرة على التمييز بين أمرين لتشابه بينهما يقول: « ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه احوالها»[5]، وقوله: « لو قال: نفوسهم لأزال الشبهة، ودفع القالة»[6].

والقاضي لم يخرج في حديثه عن التشبيه عما ذكره سابقوه، وإن فصل في كلامه عن التشبيه بـ(ما) والتمثيل لها لتبيين دورها من عدمه في التشبيه.

---

[1] – المصدر نفسه ، ص392

[2] – المصدر نفسه، ص22

[3] – الوساطة، ص358

[4] – المصدر نفسه، ص175

[5] – المصدر نفسه، ص92

[6] – المصدر نفسه، ص372

التفسير

(المفسرين)

التفسير: « فَسّرَ الشيء ويُفسّره فَسْراً: أبانه»[1]، و« الفِسْر: بيان الشيء وإيضاحه»[2]، كما أن« الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول ومنه التَّفسِيرُ قد يقال فيما يختصُ بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل»[3]، وقيل:« الفَسْرُ البيان والتفسِيرُ مثله»[4]، وعند ثعلب: « " التَّفْسيرُ والتأويل واحدٌ" أو هو كشف المُرادِ عن المُشْكِلِ»[5].

أما في الاصطلاح: هو« الإبانة والكشف والإيضاح»[6]، وقيل إن« التفسير في الأصل هو هو الكشف والإظهار وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها وسبب نزولها...»[7]، وهو« أن يأتي الشاعر بمعنى غير مستقل بالفهم، أو غير منفصل، ثم يفسره بعد ذلك إما

[1]- لسان العرب، مادة(فسر)

[2]- معجم مقاييس اللغة، مادة(فسر)

[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(فسر)

[4]- مختار الصحاح، مادة(فسر)

[5]- قاموس المحيط، مادة(فسر)

[6] – المعجم المفصل في الأدب، ص270، وينظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص445

[7]- التعريفات، ص95

في الشطر الثاني، أو البيت الثاني، أو الأبيات التالية»[1]، و« التفسيرُ أن يعدد الشاعر عدة أوصافٍ مجملةٍ ثم يأتي بعد ذلك بالتفسير لها»[2].

في اصطلاح الوساطة:

التفسير:

تكرر هذا المصطلح في ثمانية مواضع كلها(نكرة)، وقصد به القاضي شرح وتوضيح الغامض من المعاني، حتى تصبح أكثر وضوحاً ويسراً في الفهم، إذ « قيل في تفسير قوله (المتنبي):

ويستنفِذُون السَّمهريَّ المقوما ....*

إنا نطعنهم فتبقى الرِّماحُ أو عَواليها فيهم إذا أعجلُونا بركض الخيل عن انتزاعها، وقيل غير ذلك»[3].

ويضيف القاضي في تمثيله لتفسير بقول امرأة من بني عامر:

تعرفكم جزر الجزور رماحُنا ويُمْسِكْنَ بالأكْبَادِ مُنكسرات

يعلق القاضي: « وقد قيل في تفسيره أن الرماح تنكسر فتعلق بالأكباد عواليها»[4].

وعن قول النابغة:

« لَمَا أغْفَلْتُ شكْرَكَ فانتَصِحْني فكَيفَ وَمِنْ عَطَائِك جُلُّ مَالِي

يعقب القاضي: وفسر أبو الطيب وشَرَح ومَلُح:

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ في ثِيَابِهِ على طِرفِهِ مِنْ دَارِهِ بحُسَامِهِ
ومَا مَطَرّ تُنيه من البِيض والقَنَا وَرُمِ العِبِدَّي هَاطِلَاتُ غَمامِهِ»[5]

فبالرغم من روعة بيت النابغة واختصاره ووضوحه إلا أن القاضي الجرجاني يفضل بيتي أبي الطيب، لأنه زاد شرح المعنى بتعداده عطايا ممدوحه.

---

[1]- معجم الشامل، ص328

[2]- كشاف اصطلاحات الفنون، ج1ص492

*الشطر الثاني لم يرد في الوساطة، ولم يشر إليه المحقق في الإحالة

[3]-ينظر: الوساطة، ص275

[4]- المصدر نفسه، ص275

[5]- المصدر نفسه، ص179-198

كما يذكر القاضي مصطلح التفسير على اعتبار أنه وسيلة للإفهام في قوله: « فإني لو شعرت في تبيين كل ما يشكل منه على الشادي، والمتوسط وعلى الطبقة الأولى من أهل الأدب لاحتجت إلى تفسير الديوان بأسره فإن اقتصرت فعلى معظمه وأكثره»[1].

فهناك طبقات يجب أن يستوفي تفسير الديوان مستوياتها الفكرية المتباينة، فيطول أو يقصر شرح وتبسيط معاني الديوان بحسب قدرات المتلقي ودرجة استيعابه.

المفسرين:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وقصد به القاضي من يشرحون الدواوين الشعرية، فيقول:« وأظنها لا حظا قول بعض المفسرين لبيت عنترة:

وابن النَّعامَةِ يوم ذلك مركبي ويكون مركبك القعود ورحله

فإنه زعم أن ابن النعامة عِرق في باطن القدم؛ لأن معنى البيت أنه راكب أخمَصَـهُ ماشياً»[2].

و مع قلت ورود مصطلح التفسير، غير أن ما عرضناه يبين لنا أن القاضي يفضل أن يعمد الشاعر إلى التفسير والشرح في أبياته لتبسيط المعنى لأن وضوح المعنى جمالية من جماليات الشعر عند القدماء

1- المصدر نفسه ، ص360

2- المصدر نفسه ، ص248

التفضيل

(الفضل-التفاضل-الأفاضل-الفضيلة-الفضائل-الفضلاء)

التفضيل: «فَضَلَهُ: مَزاه، وفَضَّلَ فلان على غيره: إذا غلب بِالفَضلِ عليهم»[1]،وقيل:« الفَضْلُ والفَضِيلةُ ضد النقص والنقيصة، والإفْضَالُ الإحسانُ، ورجلُ مِفْضَالُ وامرأة مِفْضالَةُ على قومها إذا كانت ذات فَضْلِ سَمِحَة، والمُتَفَضْلُ الذي يدعي الفَضْلَ على أقْرانِهِ، والفَضْلَةُ والفُضَالَةُ ما فَضَل من الشيء»[2]، وقيل: «الفَضلُ الزِّيَادَةُ عن الإقتِصَارِ...وكُلُ عَطِيةٍ لا تَلزَمُ مَن يُعْطِي يُقَال لها فَضلُ»[3]، و«التَفَاضُلُ: التَّمَازِي، وفَاضَلَنِي ففَضَلتُهُ كُنتُ أفضَلَ مِنهُ[4] والفَضْلُ: الزيادةِ في شيء»[5].

---

[1]- لسان العرب، مادة (فضل)
[2]- مختار الصحاح، مادة (فضل)
[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فضل)
[4]- القاموس المحيط، مادة (فضل)
[5]- مقاييس اللغة، مادة(فضل)

أما في الاصطلاح: قصد به « تغليب أحد اثنين اشتراكا في الصفة، فزاد أحدهما فيها على الأخر»[1]. والفضيلة « استعدادُ ثابت للإقدام على أعمال صالحة»[2].

في اصطلاح (الوساطة):

التفضيل:

تكرر هذا المصطلح في ثلاثة وعشرين موضعاً (معرفاً ومنكراً)، والتفضيل عند القاضي الجرجاني جاء بمعنى التمييز بين آمرين، وهذا بتقديم أحدهما عن الأخر لمزية في المقدم جعلته ينال التفضيل، يقول: « ولست أقول هذا غَضًّا من أبي تمام، ولا تهجيناً لشعره، ولا عصبية عليه لغيره، فكيف وأنا أدين بتفضيله وتقديمه، وانتحل موالاته وتعظيمه»[3]. فالتفضيل هنا حمل معنى التقديم والتميز، الذي يوليه القاضي لأبي تمام.

ومثل لتفضيل بقول زهير:

يَطْعَنُهمْ ما ارتَموا حتى إذا طَّعَنُوا ضارَبَ حتى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا

وعلق عنه بقوله: « فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه

في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولاً به، مقروناً إليه »[4]. فالتفضيل الممدوح كان بوصفه بالإقدام والمعانقة كلما اشتد الطعن، وهذا ما يتفضل به الممدوح عن غيره. وقوله: « ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل»[5]، كما ورد في قوله: « وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المُحدث والمحدث بسبيل؛ كما لا نسب بينه وبين تفضيل قديم على قديم»[6]، ويقول: « وهذا معاوية يفضل عدياً على جماعة الشعراء »[7]، فمعاوية يقدم عديا في المنزلة على غيره من الشعراء، ويقول في تفضيله لأصحاب السرقة

---

[1]- معجم الشامل، ص330

[2]- المعجم الأدبي ، ص194

[3]- الوساطة، ص26

[4]- الوساطة، ص 49

[5] – المصدر نفسه، ص13

[6]- المصدر نفسه، ص52

[7]- المصدر نفسه، ص53

الممدوحة: « ومتى جاءت السرقة هذا المجيء لم تُعَد مع المعايب، ولم تُخص في جملة المثالب، وكان صاحبها بالتفضيل أحق، وبالمدح والتزكية أولى» [1].

وقد جاء هذا المصطلح على وزن(أفعل) ثلاث مرات من مجموع مرات وروده، وكانت مترادفة في عبارة واحدة: « تقول: زيد أفضل الناس...ولو قلت: أفضل الحمير لم يصح...ولو قلت: أفضل ما يقضم الشعير...لم يجز»[2]، ولم يخرج فيها عن معنى التفضيل.

الفضل:

تكرر هذا المصطلح في ست وعشرين موضعاً (منكراً ومعرفاً)، وقد حمل معنى المزية أو المكانة الرفيعة، كما في قوله: « فإذا انصفت أبا دهبل عرفت فضله»[3]، وقوله: « حتى عثر بها من يعرف حقها، واهتدي إليها من هو أحق بها و اكتست من فضله أزين ملبس فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة »[4]، ويتكلم القاضي هنا عن فضيلة المتنبي وهي شعره، وفضل القاضي الذي اهتدى إليها وأظهرها في أحسن مظهر؛ فالفضل هنا حمل معنى المزية.

التفاضل:

ورد هذا المصطلح خمس مرات في خمس موضع في الوساطة(معرفاً ومنكراً) وقصد القاضي بالتفاضل التمايز والتفاوت في المراتب، هذا ما يستفاد من قول القاضي : « التفاضل –أطال الله بقاءك– داعيةُ التنافس؛ والتنافسُ سببُ التحاسد»[5]. فالتفاوت بين الشعراء وتميزهم، سبب لتحاسد والتنافس، ويقول: « وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر»[6].

الأفاضل:

---

[1] – المصدر نفسه، ص 165
[2] – ينظر: المصدر نفسه، ص364
[3] – المصدر نفسه ، ص166
[4] – المصدر نفسه ، ص11
[5] – الوساطة، ص11
[6] – المصدر نفسه، ص 163

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والأفاضل هم أصحاب المراتب العليا بين الشعراء ممن يعتد بشعرهم، يقول القاضي: « وقصرت به الهمةُ عن انتقاله؛ فلجأ إلى حسد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغ الأمور في جبر نقيصته، وستر ما كشفه العجزُ عن عورته اجتذابُهم إلى مُشاركته، ووسمُهم بمثل سِمَتِه»[1].

الفاضل:

ورد هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وهو مفرد أفاضل وجاء بمعناه في قوله: « ولازال الجرح ولم يكن لقولنا فاضل معنا يوجد أبداً»[2]، وقوله: « وكان لك حظ في النقد تبينتّ الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكرهُ أن أبيتّ حُكماّ أو أفضل قضاء أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُحسن مصيب»[3]. والفاضل من الشعراء هو صاحب المكانة الرفيعة.

الفضيلة:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، يقول في تعليقه عن بيت أبي الطيب:

وإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

يعلق القاضي: « صدق والله وأحسن! كم من فضيلة لو لم تستثرها المحاسد لم تبرح في

الصدور كامنة، ومنقبةٍ لو لم تزعجها المنافسة لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزت فتناولتها ألسن الحُسَّد تجلوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتشهرها وهي تحاول أن تسترها»[4].

فالقاضي هنا يتحدث عن شعر المتنبي الذي أظهره حاسدوه وأبرزوه بتحاملهم عليه ومحاولتهم الإنقاص منه فحدث العكس، فكان هذا التحامل سبباً في ظهور شعره وشيوعه يقول تعالى: (❒◆⇖♦⊙❁✎✂ 📖❒♌ ✍♦▤⇖❷♦♎➔❑✂☎ ⅄☒⓿⇘★ॐ☙❒◆♎➔❑◆ ⌘⍓❷⬀❸◁ ➰⅄⌛→☠⬀ ☎)[5].

---

[1]– المصدر نفسه، ص11
[2]– المصدر نفسه، ص13
[3]– المصدر نفسه، ص110
[4]– الوساطة، ص11
[5]– سوره البقرة، الآية216

الفضائل:

ورد هذا المصطلح خمس مرات في الوساطة، والفضائل جمع فضيلة، وعنى به القاضي المحاسن والمناقب وضدها المعايب، يقول: « فهو يجتهد في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه وتتبع سقاطتهِ، وإذاعة غَفلاته»[1]، وقوله: « ثم لك بكل سيئة عشر حسنات، وبكل نقيصة عشر فضائل»[2]، فالفضيلة هنا عكس النقيصة، وقوله: « ولا من العدل أن تؤخره الهفوة المنفردة، ولا تقدمه الفضائل المجتمعة، وأن تحطه الزلةُ العابرة ولا تنفعه المناقب الباهرة»[3] فالفضائل هنا حملت معنى المناقب.

الفضلاء:

ورد مرة واحدة في الوساطة، كانت في قوله: « رجل أتاه التقصير من قِبَله، وقعد به عن الكمال اختياره، فهو يساهم الفضلاء بطَبْعه، ويحنو على الفضل بقدر سهمه»[4].

فالتفضيل بين المعاني عند القاضي يكون عندما يقوم الشاعر بوصف، ثم يستطرد إلى وصف آخر يزيد الممدوح تفضيلاً ومدحاً.

التقسيم
(الأقسام- القسم و القسمة)

التقسيم: قَسَمَ جزّأ، وقَسَّمه جزأه، والتَقسِيمُ هو التجزئة والتفريق[5]، القِسمُ إفرَازُ النَصِيبِ، يقال: يقال: قَسَمْتُ كذا قَسْماً وقِسْمَةً وقِسْمَةُ الميراثِ وقِسْمَةُ الغَنِيمَة تَفرِيقُهمَا عَلَى أربابهما[6]، يقول تعالى: (▭●❍□♋ ♒□⍓➔⌨⬀➔⍓□ 🕮❒▟📪⬀❑◆🕓⚙▤
♈⏎➚✍♏⇯ 📪♦♋⚙▤ 👌♓♎☸⬃♉☠⬀ ♉↖❽⬃➚⌧

---

[1] - الوساطة، ص12

[2] - المصدر نفسه،ص55

[3] - المصدر نفسه، ص92

[4] - المصدر نفسه، ص11

[5] - لسان العرب، مادة (قسم)

[6] - معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(قسم)

👌□✆⬂○⮉❑✈➚)[1]، أَقَاسِيمُ: الجزءُ من الشيء المَقسُوم و قَاسَمَهُ الشيء أخذ كل قِسمَهُ[2]، وعند ابن فارس: القَسمُ تَجزئةُ شَيء[3].

وفي الاصطلاح: هو « أن يُريد المتكلم شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم يضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له»[4]، أو هو « أن يريد المتكلم متعدداً أو ما هو في حكم المتعدد، ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين، والكل راجع إلى مقصود واحد»[5]، وهو« أن يذكر الشاعر أمراً له أجزاء، أو أحكام مختلفة، ثم يقسمها جميعاً حتى يستوفيها» [6].

في اصطلاح (الوساطة):

التقسيم:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى التقسيم عند القاضي الجرجاني هو التجزئة، وقد عده من أنواع البديع، ويجعله موصولاً، ويمثل له بقول زهير:

يَطْعنُهم ما ارتمُوا حتى إذا طّعنوا ضارَبَ حتى ما ضاربوا اعتنقا

يعلق القاضي عن البيت فيقول: « فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح فصار موصولاً به مقروناً إليه»[7]، وقوله: « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه؛ إما في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو

معناه أو إعرابه؟»[8]، فسوء التقسيم يعد من الأغاليط التي تحسب على الشعراء وتعاب بها أشعارهم، مهما كان زمانهم.

1- سورة الحجر، الآية44
2- القاموس المحيط، مادة(قسم)
3- مقاييس اللغة، مادة(قسم)
4- ينظر: البلاغة الاصطلاحية، ص325
5- ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص116 وينظر: المعجم المفصل في الأدب، ص273
6- معجم الشامل، ص374
7- الوساطة، ص49
8- الوساطة، ص14

ولتقسيم مراتب تختلف باختلاف المعاني التي تختلف باختلاف أغراض الشعر، يقول:« بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كفخرك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزل جدك ولا تعريضك بمنزل تصريحك، بل ترتب كل مرتبته وتوفيه حقه»[1]، فكل قسم يعد مرتبة يجب أن توفى حقها.

الأقسام:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والأقسام هي الأنواع أو الأصناف، يقول: « وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس»[2]، وقصده هنا بأقسام التجنيس أنواعه. وبنفس المعنى في قوله:« ولست تعد من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه »[3].

القِسم و القِسمة:

ورد هذا المصطلح تسع مرات مذكراً ومرة وحدة مؤنثاً(معرفاً ومنكراً)، وكلاهما جاء بمعنى الجزء، كما في تعليقه عن بيت عنترة:

إن يَلْحَقُوا أكرر وإن يستَلْحموا أشدد وإن ينزلوا بضيق أَنْزل

يقول القاضي: « و إن كان إنما أزوج كل قسم بقرينه، وما هو وفقه، ولم يرضى الأول إلا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدُماً، وارتفع عليه درجة، وقد تكون القسمة مطلقة غير مشفوعة"[4]، وقوله: " هذا القسمُ من الشعر هو المطمِع المُؤْيِس»[5]، وقوله: « ومن القِسْم الذي لاحظ فيه للمحاجة، ولا طريق له إلى المحاكمة»[6].

فالتقسيم عند القاضي له مراتب يجب أن تستوفي حقها، فتقع الألفاظ على رتب المعاني التي تختلف باختلاف أغراض الشعر، شرط استفاء الأقسام في بيت واحد، فصحة التقسيم تكتمل بتمام المعنى واستيفائه.

التقصير

(المقصر)

1 – المصدر نفسه، ص30
2– المصدر نفسه، ص49
3– المصدر نفسه، ص161
4– المصدر نفسه، ص50
5 – المصدر نفسه، ص109
6 – المصدر نفسه، ص341

التقصير: « القِصَرُ: الحَبْسُ، وقَصْرَ قيد بعيره قَصِيراً: إذا ضيقه. وقَصَرَ فلان صلاته يَقْصُرُها قِصَراً في السفر. وقَصّر: نَقُصَ ورَخُصَ»[1]، وقولهم: « قَصْرُكَ أن تفعل كذا وقَصارُك وقُصاراك أي غايتك وآخر أمرِك وما اقتَصَرتَ عليه، وقَصَرَ الشيء حبسه، وقَصُرَ عن الشيء عجز عنه ولم يبلغه، والتقصيرُ في الأمر التواني عنه»[2]، ويقال:« قَصَرتُ كَذَا ضممت بعضه إلى بعض ومنه سُمِي القِصَرُ وجَمعَهُ قُصُور، واقتَصَرَ على كذا اكتفى بالشيء القليل القَصِير مِنه أي القليل»[3]، وقيل: «القَصْرُ والقِصَرُ خِلافُ الطُّولِ، وقَصَّرَ عنه: تَرَكَهُ ولم يقدر عليه[4]، والقَصْرُ يَدُلُ على ألا يبلُغَ الشّيءُ مدَاه ونهايتَه»[5].

و في الاصطلاح: أن ينقص السارق من كلامه ما هو من تمامه[6].

ولأمثلة عن التقصير في أشعار القدماء كثيرة، كما يقول عنترة:

وإذا سكـرت فإننـي مُستهـلكُ مالي وعرضي وافر لـم يُكْلَمِ
وإذا صَحوتُ فما أقصْر عن ندى وكما علمتِ شمائلي وتكرمي

أخذهما حسان فنقص منهما ذكر الصحو فقال:

فنشربها فتتركنا ملوكاً وأسْداً ما يُنَهْنِهنا اللقاءُ

ومعنى ذلك أن هذا النوع يدخل في السرقات غير المحمودة، لان اللاحق قصر عن السابق[7] السابق[7] وقيل « القَصْر تخصيص شيء بشيءٍ بطريقٍ مخصوص»[8]، والتقصير «هو ترك الشيء أو بعضه عن عجز»[9].

في اصطلاح (الوساطة):

التقصير:

---

[1]- لسان العرب، مادة (قصر)
[2]- مختار الصحاح، مادة(قصر)
[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(قصر)
[4]- القاموس المحيط، مادة(قصر)
[5]- مقاييس اللغة، مادة(قصر)
[6]- ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص365
[7]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص334-335
[8]- معجم المفصل في الأدب، ص706
[9]- الكليات، ص310

تكرر هذا المصطلح في تسعة وثلاثين موضعاً(معرفاً ومنكراً)، والتقصير عند القاضي الجرجاني جاء بمعنيين:

أ-التقصير بمعنى الإنقاص وعدم بلوغ الغاية، يقول القاضي على أنصار المتنبي: « ويميل على من عابه بالزرايَة والتقصير، ويتناول من يَنقُصُه بالاستحقار والتجهيل »[1]. فأنصار المتنبي يتناولون من يعيبه بالإنقاص من قيمته واستحقاره وتجهيله.

وقوله: « رجل أتاه التقصير من قبله، وقعد به عن الكمال اختيارُه»[2]، فهناك تقابل بين الكمال والتقصير، وضد الكمال النقص، وهذا هو معنى التقصير.

ومثل لتقصير في المعاني بين الشعراء ببيتين أحدهما لأبي نواس والآخر لأبي الطيب فيقول أبو نواس:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القلوبِ مِثّالّه فكأَنَّه لم يخلُ منه مَكانُ

ويقول أبو الطيب:

كذب المخبرُ عنك دُونَك وَصْفُه مَنْ بالعراقِ يراك في طَرْسُوسَا

يعلق القاضي: « فقصر، لأنه اقتصر على من بالعراق، وعم أبو نواس القلب والأماكن، و بين اللفظين بون في الجزالة والصحة»[3]، ويمثل للتقصير بقول المتنبي:

يَرَى في النوْمِ رُمْحَك في كُلَاه ويَخْشَى أنْ يَراهُ في السُّهادِ

يعلق القاضي: « فقصر في ذلك السُّهاد، لأنه أراد أن يقابل بها النوم، وبذلك يتم المعنى وليس كل يقظة سهاداً؛ إنما السُهاد امتناع الكرى في الليل، ولا يسمى المتصرف في حاجاته بالنهار ساهداً وإن كان مستيقظاً »[4].

والقاضي يعد التقصير في الشعر إساءة، إذ يقول: « وتبعه أكثر المحدثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة»[5]، فيقابل الإحسان بالإصابة والتقصير بالإساءة.

---

[1] – الوساطة، ص12
[2] – المصدر نفسه، ص11
[3] – المصدر نفسه، ص189
[4] – المصدر نفسه، ص215
[5] – المصدر نفسه، ص356

ب- التقصير بالمعنى المخالف الإطالة، يقول القاضي: « أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره»[1].

التقصير الفاحش:

وهو التقصير المفرط البائن والظاهر، يقول:« وما ألحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة البينة، والتقصير الفاحش»[2].

تقصير شديد:

جاء بمعنى النقص والقلة، يقول القاضي: « وهذا الاعتراض يدل على تقصير شديد في العلم بكلام العرب»[3].

المُقصّر:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والمقصر من يقوم بالتقصير، يقول:« ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر، وإسراف المفْرِط، وقد جعل الله لكل شيء قَدْرا، وأقام بين كل حديث فَصْلا»[4].

التقصير في المعاني وعدم البلوغ بها درجة الانتهاء يعده القاضي إساءة يلام وينتقد عليه الشاعر، كما حدث مع المتنبي في ما ذكرناه من أمثلة.

[1]- الوساطة، ص390

[2]- المصدر نفسه، ص360

[3]- المصدر نفسه، ص364

[4]- المصدر نفسه، ص13

التكلف

(المتكلف-المتكلفون)

التكلف: يقول ابن فارس:« الكاف واللام والفاء أصلُ صحيح يدل على إيلاعٍ بالشيء وتعلُّقٍ به... يقولون: " لا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفاً، ولا بُغْضُكَ تَلَفاً"»[1]، وقيل:« الكَلْفُ: الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقة، وكَلَفَهُ تَكلِيفاً أي أمره بما يشق عليه. وتكَلَفتَ الشَيء: تَجَشَمتُه على مشقة وعلى خلاف عَادتِك، وكَلِفتَهُ إذا تَحَمَلتَهُ. يقال: فلان يَتَكَلفُ لإخوَانِه الكُلفَ والتَكَالِيفَ و يقال: حملت الشيء تَكلُفَةُ إذا لم تطقه إلا تَكَلُفاً، وفي الحديث: أنا وأمتي بُراءُ من التَكَلُف»[2] واعتبر أن« المُتَكَلِفُ: العَرِضُ لما لا يعنيه، وكلف به كفرح»[3].

و في الاصطلاح: هو « طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بسهولة»[4]، أو هو « معاناة الفاعل الفعلّ ليحصل، نحو: " تشجَّع الجنديُّ" ، أي: تكلف الشجاعة وعاناها لتحصل»[5]، فالمتكلف من الكلام هو« ما بعُد عن الطبع وبانَ فيه العناءُ، وصعُبَ فهمُهومجَّه الذوق»[6].

في اصطلاح (الوساطة):

التكلف:

تكرر هذا المصطلح في ثلاث وعشرين موضعاً(معرفاً ومنكراً)، والتكلف عند القاضي الجرجاني هو إتعاب الفكر، وكد الخاطر، لظفر بجنس من الشعر يرضاه الشاعر وهذا بعد العناء والمشقة، يقول القاضي في حديثه عن تكلف أبي تمام: « فإن رام أحدهم الإغراء والإقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف، وأتم تَصنع مع التكلف المقت ... وربما كان ذلك سبباً لطمس المحاسن، كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام، فإنه حاول من بين المحدثين الاقتداء بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على توعير اللفظ، فقبح في غير موضع من شعره...وصار هذا الجنس من شعره إذا قرع

---

[1]- مقاييس اللغة، مادة(كلف)

[2]- لسان العرب، مادة (كلف)

[3]- القاموس المحيط، مادة (كلف)

[4]- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص120

[5]- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص446

[6]- المعجم المفصل في الأدب، ص753

السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفِكر، وكد الخاطر...فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة ... وتلك حالُ لا تَهَش فيها النفس للاستماع بحَسَن، أو الالتذاذ بمستظرف وهذه جريرة التكلف!»[1].

فالمتكلف من الشعر تمقته النفس ولا تستمتع بسماعه، كما يجهد الفكر لإيصاله إلى القلب، فيطمس محاسن الأشعار، ويمحو طلاوة ما تقدم.

ويكشف القاضي عن سر ذيوع شعر المطبوعين من الشعراء وموقعه المستظرف من القلب، وارتياح النفس له فيقول: « وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر...وملاك الأمر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال إلى الطبع»[2].

فسر حلاوة أشعار المطبوعين وقربها من النفوس كأشعار جرير وذي الرمة في القدماء والبحتري في المتأخرين، هو تركهم التكلف والتعمل كما يرى القاضي.

ويمثل القاضي للتكلف في الشعر بما قاله الأصمعي لإسحاق بن إبراهيم الموصلي عندما أنشده بيتين، فيقول القاضي: « حكي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنه قال: أنشدت الأصمعي:

هَـلْ إِلَى نَظْرَةٍ إِلَيكَ سَبِيـلُ   فيُبَل الصَّدَى ويُشفى الغّليلُ
إِنَّ مَا قَل مِنْكَ يَكْثُرُ عِندِي   وكَثِـيرُ مِـمَّنْ تُحِــبُّ القَلِيـلُ

فقال: والله هذا الدُيبَاجُ الخُسرَوَانِي، لِمَن تنشدني؟ فقلت: إنهما لليلتهما فقال: لا جرم والله إن أثر التكلف فيهما ظاهر»[3].

ومن العلامات الدالة على التكلف، كما يرى القاضي كثرة استعمال اسم الإشارة (ذا) فيقول: « وهو أكثرُ الشعراء-المتنبي- استعمالاً لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صنعة الشعر، دالة على التكلف»[4]، ويمثل لهذا بقول المتنبي في هذين البيتين:

قَد بَلَغتَ الَّذِي أَرَدتَ مِنَ البرَّ   وَمِن حَقَ ذا الشَّرِيفِ عَلَيكا

---

[1]- ينظر: الوساطة، ص25-26

[2]- ينظر: المصدر نفسه، ص31

[3]- المصدر نفسه، ص53

[4]- المصدر نفسه، ص88

وَإِذَا لم تَسِر إلى الدَّارِ في وقـ تِكَ ذَا خِفتُ أَنْ تَسِير إِلَيكا

فيعلق على البيتين بقوله: « فأما في مثل قوله في هذين البيتين: (ومن حق ذا الشريف عليكا)؛ و(في وقتك ذا) ... فهو ـ كما تراه ـ سخافةً وضعفاً، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعافّ ما ذكره من هذه الإشارة»[1]

المتكلف:

تكرر هذا المصطلح ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والمتكلف من يفارق الطبع ويعمد لتصنع في شعره يقوله: « فإن أظهر التعجرف، وتشبه بالبدو، ونسي أنه حضري متأدب، وقروي متكلف»[2]، ويقول: « فأسلم من تورط المسترسل، ولا أقف موقف المتكلف»[3] .

المتكلفون:

ورد مرة واحدة في الوساطة، وهو جمع متكلف وجاء بمعناه، وقد ورد مرة واحدة في كلامه عن إغراب المتنبي: « وقد يعيبُه المتكلفون في هذا البيت»[4].

وكلام القاضي عن التكلف متشعب في وساطته، ضرب عليه الكثير من الأمثال، ونفرد بأن ميز بين التكلف والتصنع في الشعر، وهذا ما غاب عن أسلافه من النقاد في العقود التي سبقته.

---

[1] – الوساطة، ص89–90

[2] – المصدر نفسه، ص70

[3] – المصدر نفسه، ص142

[4]– المصدر نفسه، ص232

التَّمَامُ

(التَّامُّ-التَّامَّة- الاستتمام)

التَّمامُ: « تَمّ الشيء يَتِمُ تَمّاً وتُماً وتَمامة وتَمَاماً وتُمّة، وتمام الشيء وتمامه وتَتِمَته: ما تمّ بِهِ، وتَمِهَ الطعام: إذا فَسَدَ، وتَمِهَ اللَبْن: تغيرت رائحته، وفي الحديث: أعوذ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ ؛ قال ابن الأثير: إنما وصف كلامه بالتمام، لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس»[1]، ويقال أيضاً: «التَّامُّ بِتَشديد الميم: ضد الناقص...وعند الحكماء يطلق على الكامل»[2]، ويقال إذا« تَمَّ الشيء:... تَكَمَلَتْ أجْزَاؤُهُ...فهو تَامَّ»[3]، وتمام الشيء: « انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه»[4].

وفي الاصطلاح: « هو الكمال وعدم الحاجة إلى شيء»[5]، وهو « أن يأتي في الشعر أو النثر، كلام حذفه يخل بالمعنى المقصود، أو جمال العبارة »[6]، وهو عند البعض «الإتيان في النظم والنثر بكلمةٍ إذا طُرحت من الكلام نقصَ حسنُهُ ومعناه»[7].

وهو « أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكتمل معها جودته شيئاً إلا أتى به»[8].

في اصطلاح (الوساطة):

التَمامّ:

ورد هذا المصطلح في أربعة عشر موضعاً(منكراً ومعرفاً)، ومعنى التَمامّ عند القاضي الجرجاني بخلاف النقص، فهو الاكتمال أو الكمال في الألفاظ والمعاني التي تتخلل الشعر أو النثر، يقول:« فإن عثر على بيت مختل النظام، أو نَبه على لفظ ناقص عن التمام،

1- لسان العرب، مادة(تمّ)
2-كشاف اصطلاحات الفنون، مادة(تمّ)
3- تاج اللغة وصحاح العربية، مادة(تمّ)
4- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(تمّ)
5- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص454
6- معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص270
7- المعجم المفصل في الأدب، ص223
8- معجم البلاغة العربية، ص 132

التزم من نصرة خطئه ...»[1]، وقوله: « وإنما الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار، وأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحسن، وتستوفي أوصاف الكمال، وتذهب في الأنفس كل مذهب، وتقف من التمام في كل طريق»[2].

التَّام:

ورد هذا المصطلح في الوساطة مرتين (نكرة) وحمل معنى الكمال والاكتمال في قوله: « فلا تكن كمن يرى السرق لا يتمُّ إلا باجتماع اللفظ والمعنى، ونقل البيت جملة، والمصراعَ تاماً »[3]، وقوله: « فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصاً متكامل الأعضاء، تام الجوارح»[4].

التَّامَة:

التَّامَة مؤنث التَّام، وقد وردت مرتين في الوساطة، إحداهما نكرة والأخرى معرفة، قال الجرجاني: « وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التَّامَة مقلية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة مَوموقة؛ ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها»[5]، وقد وردت في قوله: « وكان عبيد راوية الأعشى ولم تسمع له كلمة تامة »[6] والتامة في كلا الاقتباسين جاءت بمعنى الكاملة.

الاستتمام:

ورد مصطلح الاستتمام مرة واحدة في الوساطة وجاء فيها بمعنى الاكتمال في قوله: « ومن طلب أبواب الحذف والاختصار والانتقال من كلام إلى كلام والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه...»[7].

التمام عند القاضي من صفات الكلام الحسن المكتمل، الذي يصل به قائله إلى المقصد من معانيه وألفاظه.

---

[1]- الوساطة، ص 12
[2]- الوساطة، ص 342
[3]- المصدر نفسه، ص 168
[4]- المصدر نفسه، ص 357
[5]- المصدر نفسه، ص 92
[6]- المصدر نفسه، ص23
[7]-المصدر نفسه، ص372

التهذيب
(المهذب–المهذبة)

التهذيب: يقال: « التَهذِيبُ كالتنقية، هَذَبَ الشيء يَهْذِبه هَذْباً، وهذّبه: نقاه وأخلصه»[1]، وهو« كلمة تدل على تنقية الشيء مما يشوبه، يقال شيء مُهَذَّبُ: مُنقى مما يعيبه، وأصلها الإهْذَابُ: السرعة في الطيران والعدو، ومعناه أنه لا يمكن التعلق به»[2]، ويقال: « أصل التَّهذيبِ والهَذب: هو تنقية الأشجار بقطع الأطراف، لتزيد نمواً حسناً، ثم استعمله في تنقية كل شيء وإصلاحه و تخليصه من الشوائب، ثم استعمل في تنقيح الشعر وتزينه وتخليصه مما يشينه عند الفصحاء وأهل اللسان»[3]، واعتبر« الهَذَب: الصَفَاءُ والخُلُوصُ، ورجُلُ مُهَذبُ: مُطَهَّرُ الأَخْلاق»[4].

وفي الاصطلاح: « التهذيب هو التنقيح والتصحيح وتغيير الكلام الذي لا يراه الأديب جميلاً أو مناسباً كما كان يفعل زهير بن أبي سُلمى في قصائده التي سمِّيت بالحوليَّات لأنَّ كلاًّ منها كان يستغرق سنةً كاملة كتابةً وتنقيحاً»[5]، ويقال: « هذب الشعر أصْلحه ونقّحه»[6] وقيل:« من التهذيب أن يخلص المعنى قبل السبك للفظ، والقوافي قبل الأبيات »[7].

في اصطلاح الوساطة:

التهذيب:

ورد مصطلح التهذيب خمس مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وحمل فيها معنى التتنقيح والتنقية و إعادة النظر في الكلام للخروج به في أحسن صورة، يقول: « كذلك الكلام: منثوره ومنظومه، ومجمله ومفصله، تجد منه المحكم الوثيق والجزل القوي، والمصنع المحكم

---
[1]– لسان العرب، مادة(هذب)
[2]– مقاييس اللغة، مادة (هذب)
[3]– تاج العروس، مادة (هذب)
[4]– القاموس المحيط، مادة (هذب)
[5]– المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص463
[6]– المعجم الأدبي، ص286
[7]– ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص404

والمنمق المواشح قد هُذَّب كلَّ التَّهذيب...»[1]، وقوله: « هذا قولي فيما صفا وخلص وهُذب ونقح، فلم يوجد في معناه خلل، ولا في لفظه دخل...»[2].

وفي سياق دفاعه عن المتنبي يرى أن التهذيب شرط لقطع ألسن المعيبين عن شعره فيقول: « وجملة القول في هذه الأبيات وأشباهها، أنه لو وُفِّي التهذيب حقه، ولم يبخس التثقيف شرطه لا انقطعت عنها ألْسُن العيب، وانسدت دونها طرق الطعن»[3]. وفي قوله: « « و كان الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية ... خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً»[4].

المُهَذِّب:

المُهَذِّب من قام بفعل التهذيب، ورد مرتين في الوساطة(معرفاً)، يقول القاضي: « قيل: زلة عالم، وقلَّ من خلا منها، وأي الرجل المهذب!» [5]، والرجل المهذب عند القاضي هنا هو الرجل الفاضل الذي لا يعثر له على زلة، وصيغة التعجب تنبه إلى عدم وجوده في رأي القاضي.

المهذبة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في قوله: « وهذا أمر تستخبر به النفوس المهذبة، وتستشهد عليه الأذهان المثقفة»[6].

فالتهذيب عند القاضي سلاح يحتمي به الشاعر من ألسنة معيبيه، فيخرج به أشعاره فخمة جزلة قوية متينة.

---

[1]- **الوساطة، ص342**

[2]- **المصدر نفسه، ص342**

[3]- **الوساطة، ص344**

[4]- **المصدر نفسه، ص24**

[5]- **المصدر نفسه، ص13**

[6]- **المصدر نفسه، ص342**

التناسب

(الانتساب-المناسبة-الأنساب)

التناسب: يقال: « ناسبه شاركه في نسبه، والمناسبة: المشاكلة»[1]، وجاء في القاموس أن« هذا الشعر أَنسَبْ، أي أرق نسيب»[2]. وقيل: « الانتِسابُ في الشعرِ إلى المرأةِ بِذكرِ العِشقِ، يقال نَسَبَ الشاعر بالمرأة نَسَبا ونَسِيباً»[3].

أما في الاصطلاح: هو« حسن العلاقة القائمة بين الأجزاء المختلفة للأثر الأدبي، حتى يتمتع كل عنصرٍ منه بنصيبه من الاهتمام والإبراز مع مُساهمته في انسجام الكُلِّ وتماسُكِه»[4]، أو« حُسنُ العلاقةِ وانسجامُها بين أجزاءِ العمل الأدبي أو الفني»[5]، ويقصد بتناسب الأبيات « أن تكون الأبيات أو أشطرها متناسبة»[6].

في اصطلاح (الوساطة):

التناسب:

تكرر هذا المصطلح في خمسةِ مواضع من الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقصد به تلاؤم وانسجام أبيات القصيدة ، فيقول معلقاً على قصيدة لأبي تمام: « لترى تناسب أبياتها وازدواجها، واستواء أطرافها واشتباهها، وملاءمة بعضها لبعض»[7]، وهو على وجهين عند القاضي:

أ-التناسب باتفاق الأبيات الشعرية في المعاني واختلافها في الصياغة، أو « اتفاق الألفاظ واختلاف الأغراض»[8]، يقول: « وألطف من هذا التناسب، وأغمض مأخذا ما تجده

---

[1]- لسان العرب، مادة(نسب)
[2]- قاموس المحيط، مادة(نسب)
[3]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(نسب)
[4]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص122
[5]- المعجم المفصل في الأدب، ص284
[6]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص357
[7]- الوساطة، ص36
[8]- معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص198

بين هذه الأبيات إذا حذفتّ عنك اعتبار أمثلتها. وأقبلت على حريص معانيها»[1]، ومثل له بقول العرب:

يهاب العديدَ الدُّهْم من حيث لا يُرى ويخشى شُداةَ العِزِّ والعزُّ غائبُ

وقول أبو هفان:

أنا السيف يُخشى حدُّهُ قبل هزِهِ فكيف وقد هُزَّ الحسامُ المهنَّدُ

وقول البحتري:

ويخشى شداهُ وهو غيرُ مُسَلَّطٍ وقد يُتَوَقَّى السيفُ والسيفُ في الغِمْدِ[2]

ب- التناسب باتفاق الصياغة واختلاف المعاني والأغراض، يقول: « كاختلافها واتفاق أغراضها قول الطفيل الغنوي:

نجوم سماءٍ كلَّما انقضَّ كوكبُ بدا وانجلَت عنه الدُّجُنَّةُ كَوكَبُ

وقول أبي الطَّمَحَان:

نجوم سماء كُلَّما غَارَ كَوْكَبُ بَدا كوكبُ تَأْوِي إليه كَوَاكِبُه»[3]

فهذان البيتان وان اتفقا في التركيب والأسلوب وتماثلت ألفاظهما، غير أنهما اختلفا في المعاني والغرض الذي يرصبو إليه كل شاعر.

الانتساب:

ذكر هذا المصطلح في موضع واحد من الوساطة، والانتساب بين الأشعار عند القاضي قد يكون باتفاقها في المعاني واختلافها في الأغراض أو العكس كما في تعليقه عن قول الشاعر:

وما المرءُ إلا حيثُ يَجْعلُ نفسه ففي صالح الأخلاقِ نفسك فاجعل

وهو من قول الآخر:

فنفسَكَ أَكْرِمـها فإنَّـك إن تَهُـنْ عليك فلم تَلْقي لها الدهرَ مُكْرِما

فيقول: « وحتى تتأمل هذه الأبيات فتعرف انتساب بعضها إلى بعض، واتصال كل واحد منها بصاحبه، مع افتنان مذاهبهما، واختلاف مواقعهما»[1].

---

[1]– الوساطة، ص176

[2]– الوساطة ، ص176

[3]– المصدر نفسه، ص177

المناسبة:

تكرر هذا المصطلح في موضعين من الوساطة، وقصد به الملائمة، كما في تعليقه على قول أبي تمام:

لو كان كلَّفها عُبيدٌ حاجَةٌ يوماً لزنى شَدْقَماً وجديلا

فيقول القاضي: « وأظنه لو وجد لفظة أسقط من"زَنَّى"، وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها»[2].

الأنساب والنسب:

تكرر هذا المصطلح في تسعة مواضع من الوساطة، وقصد به صلة قرابة و رحم، يقول: « ولا أقبح وسماً من عقوق من ناسبك إلى أكرم آبائك، وشارك في أفخر أنسابك، وقاسمك في أزين أوصافك»[3]

ومصطلح التناسب عند القاضي يمكن اعتباره نوعاً من السرقة وإن لم يذكر ذلك صراحةً وهذا النوع من السرقة قد يكون باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني والأغراض أو العكس.

[1]ـ المصدر نفسه، ص175

[2]– الوساطة، ص66

[3]– المصدر نفسه ، ص12

الجزالة

(الجَزِل)

الجزالة: « الجَزَلُ الحَطبُ اليابس وقيل الغليظ، ورجل جَزِلُ الرأي، وامرأة بينة الجَزَالَة: جيدة الرأي، واللفظ الجَزِلُ خلاف الركيك، ورجلُ جَزِلُ: ثقف عاقل أصيل الرأي، والجَزِيل: العظيم والجَزِلَةُ من النساء: العظيمة العجيزة، وأَجزَلتُ له من العطاء أي أكثرت، وأجزَلَ له العطاء إذا أعظم، والجَزلة: البقية من الرغيف والوَطب والإناء والجلة»[1]. والجِزلة: « القطعة العظيمة من التمر، ويقال جزله بالسيف: قطعه جزلتين أي نصفين»[2].

وفي الاصطلاح: « جزالة الألفاظ هي متانة صياغة النص، مع عذوبةٍ في اللغة ولذاذةٍ في السمع. وهي العبارات المنسوجة بالمفرداتِ الرصينة على أسلوب كبار البلغاء الذين أجادوا اختيار الكلم بحسب المقام»[3]، أوهي « فصاحة النص ومتانة صياغته، وتوخي الإتيان بالمفردات الفخمة، والعبارات المنسوجة على مِنوال كبار البلغاء»[4]، وأجمع التعارف وأشملها نجده عند ثعلب، يقول: « فأما جزالة اللفظ فمما لا يكون بالمغرب البدوي ولا السفساف العامي، ولكن ما اشتد أسره، وسهل لفظه، واستصعب على غير المطبوعين مراده وتوهم إمكانه»[5].

في اصطلاح (الوساطة):

الجزالة:

مصطلح الجزالة ورد ثلاث مرات في الوساطة، مرتين منهما نكرة وكلها حملت معنى الفخامة في الكلام أو القول، أي أن الكلام عندما يبلغ درجة عالية من البلاغة؛ تطلق عليه

1– لسان العرب، مادة (جزل)
2– ينظر: مقاييس اللغة والقاموس المحيط، مادة (جزل)
3– المعجم المفصل في الأدب، ص314
4– المعجم الأدبي، ص84
5–قواعد الشعر،أبي العباس أحمد بن الحسين ثعلب، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة ،ط1، 1995 ، ص63

صفة الجزالة، يقول: « فما بال المتقدمين خصوا بمتانة الكلام و جزالة المنطق وفخامة الشعر »[1].

فمصطلح الجزالة ربطه القاضي بالفخامة، وهي من أعلى درجات البلاغة. كما أن الجزالة حملت معنى السلاسة والسهولة في الألفاظ، يقول: « وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالةِ اللفظ واستقامته»[2]. وقوله: « وبين اللفظين بون من الجزالة»[3]. فجزالة اللفظ هنا تكمن في سهولته و وضوحه

الجزل:

ورد مرتين في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وحمل معنى الجزالة: « كذلك الكلام: منثوره ومنظومه، ومجمله ومفصله، تجد منه المحكم الوثيق، والجَزْل القوي، والمصنع المحكم...»[4]. وفي قوله « فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً»[5].

فمصطلح الجزالة عند القاضي يطلق على اللفظ إذا اجتمعت فيه جملة من الصفات أهمها القوة والفخامة والمتانة مع السلاسة والسهولة التي لا تخلُّ بالمعنى.

1– الوساطة، ص23
2– الوساطة، ص38
3 – المصدر نفسه، ص189
4– المصدر نفسه، ص342
5– المصدر نفسه، ص24

الجَمع

(الجامع- أجْمَع-الاجتماع)

الجَمع: « جَمَعَ الشيء عن تفرقة يَجمَعُهُ جَمعَاً، وجَمَعتَ الشيء إذا جئت به من هنا وهنا والجَمعُ خلاف التفرِيق »[1]، أو هو « ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض»[2] ، وقيل: « جَمَعَ الشَّيءَ عن المتفرَّق فاجْتَمَعَ، وتَجَمَّعَ القوم اجتمعوا من هُنا وهُنا، والجَمْعُ اسم لجماعةِ الناس، ويُجْمَعُ على جُمُوعٍ، وأجْمَعَ الأمر إذا عزم عليهِ، واسْتَجْمَعَ السَّيلُ اجْتَمَعَ»[3].

وفي الاصطلاح: هو « أن تجمع بين متعدد في حُكمٍ» [4]، نجد السكاكي قد أدخله في المحسنات المعنوية فقال: « هو أن تدخل شيئين فصاعدا في شيء واحد»[5]، أو هو « أن أن تجمع شيئين أو أشياء في حكم واحد»[6]، كقوله تعالى: (✂👓✆⬂☺⌂👓✌⇖ ❒◆✂👓✆⬂⌛♦☪⇖❑♌♦ ✈③☪◆□➔ ✂👓✆⬂⬧⌂⑩◆❑▤□∅ ✂👓✆⑨❻☼⬃⓿◆👓)[7]، و قول خلف الأحمر: « لم أرَ أجمع من بيت لامرئ القيس وهو قوله :

أفــادَ وجــادَ وســـادَ وزاد وقـــادَ وذادَ وعـــادَ وأفضـــل

ولا أجمع من قوله:

له أبطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاءُ سرحان و تقريبُ تَتْفُلِ »[8]

في اصطلاح (الوساطة):

الجمع:

---

[1]- اللسان العرب، مادة (جمع)
[2]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جمع)
[3]- مختار الصحاح، مادة(جمع)
[4]- ينظر: مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص116
[5]- مفتاح العلوم، ص200
[6]- البلاغة الاصطلاحية. ص325
[7]- سورة الكهف، الآية46
[8]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2 ص406

الجمع عند القاضي الجرجاني هو حصر المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وتجنب الإطالة لتجنب النسيان مع المحافظة على تمام المعنى، ورغم تعدد مرات ورود هذا المصطلح في الوساطة، فإن مرات وروده بهذا المعنى لم تتعدى ثماني مرات، منها قوله: « تقريب العبارة، وجمع المتفرق...»[1]، كما جعله القاضي من أصناف البديع فقال بعد كلامه عن التقسيم: « ومما يقارب هذا جمع الأوصاف»[2]، ويقصِد به أن يجمع الشاعر أكبر عدد من الأوصاف في بيت واحد، ثم يمثّل لجمع الأوصاف بقول أبي داود:

بعيد مدى الطرف خاظِي البضيع مُمر المَطَا سَمهري العَصب

ويقارنه بقول (النابغة) :

أبي غفلتي إني إذا ما ذكرته تقطع حزن في حشي الجوف داخلي
وأن تــلادي إن نظرت وشكتي ومهري وما ضمت ألي الأنامــل

كما يورد قول أبا دَهْبل:

وكيف أنساك لا أيديك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم

ويعلق عنه بقوله: « فإذا أنصفت أبا دَهْبل عرفت فضله، وشهدت له بالإحسان، لأنه جمع هذا الكلام الطويل في قول(ولا أيدك واحدة عندي). ثم أضاف إليها (ولا بالذي أوليت من قِدَم) فتم المعنى، وأكده أحسن تأكيد، لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدُها، وتقادُم عهدها، فنفى عنه وجوه النسيان كلها»[3].

كما نجده في تعليقه على بيت جرير الذي فيه:

وإني لعفُّ الفَقْرِ مُشْتركُ الغِنى سريعُ إذا لم أرضَ دَاري احتماليا

يعلق القاضي: « وأشباه ذلك مما جمع اتفاق الألفاظ، وتساوي المعاني، وتماثل الأوزان»[4].
الأوزان»[4].

وقوله: « وتعلم أن زهيراً جمع في قوله:

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغْية ....[*]

[1] – الوساطة، ص344
[2]– الوساطة، ص50
[3]– المصدر نفسه، ص166
[4]– المصدر نفسه، ص174
[*] الشطر الثاني لم يرد ولم يشر له المحقق في الإحالة

ما بسطه هؤلاء»[1].

والقاضي يستحسن جمع الكلام الطويل في أقل قدر من الألفاظ مع المحافظة على تمام المعنى، كما فعل أبا دهبل.

الجامع:

الجامع في اللغة جاء بمعاني متعددة منها: «الجـامعُ الأتانُ أولَ مـاَ تحـملُ»[2]، وقدْرُ جَامِع
وجَامِعَةُ وَجِمَاعَ كَكِتاب: أي عظيمة[3]، والرجل المُجتمع: الذي بَلَغَ أشُده[4]، و جَامِـعُ الكَلِمِ: مـا يكون لفظُه قَلِيلاً ومعناه جَزِيلاً و الجِمَاعُ : ما جَمَعَ عدداً أي كلمة تجمَعُ كلِمَات[5].

وفي الاصطلاح: الجامع هو الخطيب المتمكن، الوافر الحظ من العقل والرأي كأنه من الأتان الجامع أو الرجل المجتمع، أو هو الخطيب الذي أوتي جوامع الكلام[6].

في اصطلاح (الوساطة):

الجامع:

مصطلح الجامع عند القاضي الجرجاني ورد مرة واحدة بمعنى الكلام المطبوع الذي يتمكن صاحبه من الإحاطة والإلمام بأكبر قدر من نعوت و مزايا وصفات الفصاحة والبلاغة، فيقول: « ويحتاج في كثير منها إلى دقة الفطنة، وصفاء القريحة، ولطف الفكر وبُعْدِ الغوص. وملاك ذلك كله، و تمامهُ الجَامِعُ والزّمامُ عليه صِحَّة الطَّبْع»[7]. وهذا ليس ببعيد عن ما ذهب إليه الجاحظ في تصوره لمعنى الكلام الجامع في قوله: « وهو القليل الجامع للكثير »[8]، فهذه الصفات والنعوت التي اشتمل عليها كلام الجرجاني مما يجب أن يُلِمَّ به كل فصيح بليغ.

أَجْمَعُ :

---

[1]- الوساطة، ص176
[2]- مقاييس اللغة، مادة (جمع)
[3] - تاج العروس، مادة (جمع)
[4]- تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (جمع)
[5]- مختار الصحاح، مادة (جمع)
[6]- مصطلحات نقدية وبلاغية، ص152
[7]- الوساطة، ص343
[6]- البيان و التبيين، ج4 ص29

و أَجْمَعُ اسم تفضيل، من الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة من ألفاظ التوكيد، يؤكد به كل ما يصح افتراقه حساً أو حكماً[1].

وعند القاضي ورد مصطلح أجمع مرتين بمعنى الإلمام بشروط جودة الشعر وهي الإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة في القصيدة الواحدة يقول: « لكن لم نجد شَاعِراً أَشمَلَ للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعره أجمع، بل قل ما تجد ذلك في القصيدة الواحدة »[2]، والقاضي يرى أنه من النادر أن نجد شاعر يجمع هذه المزايا في قصيدة واحدة.

وقوله: « مع شدة الصعوبة حتى تكلف فلي الدواوين واستقراء القصائد فنفي منها ما لعله أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه الجودة وأسباب الاختيار مما أثبت وقيل»[3].

الاجتماع:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة وكان فيها بمعنى الاتفاق يقول: « وليس بمثل بقراط على علمه ومعرفته بالطب، واجتماع الألسن على تقديمه جَهل ذلك»[4].

فالقدرة على جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، عده القاضي من صفات الشاعر المقتدر والمحيط بقدر وافر من معجم اللغة، فتأتي أشعاره أقرب إلى الإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة، وملاك هذا كله جمع الكثير في اللفظ القليل.

1- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص45

2- الوساطة، ص344

3- الوساطة، ص24

4- المصدر نفسه، ص391

الحذف

الحذف: « حذف الشيء يحذِفه حَذْفاً: قطعهُ من طرفه، وحَذْفُ الشيء: إسقاطه[1]. والمَحْذُوفُ في العروض: ما سقط من آخره سبب خفيف، وحَذَّفَهُ تَحذيفاً: هَيَّأهُ، وصَنَعَهُ»[2] وقيل: « حَذّفَ الصانعُ الشيءَ: سواه تسوية حسنة، كأنّه حذّفَ كل ما يجب حذفُه، حتى خلا من كلِّ عيب وتهذّب»[3].

وفي الاصطلاح: هو« أحد أقسام الإيجاز، ويكون بحذف ما لا يخل بالمعنى ولا ينقص من البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مُسْترك مسترذل، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة»[4].

وقيل: « الحذف لا يكتمل إلا بدلالة على ما تم حذفه، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال»[5].

وكثيراً ما يمثل للحذف عند القدامى بقول« نعيم بن أوس يخاطب امرأته:

إنْ شئتِ أشرفنا جميعا فَدَعا   اللهَ كلِّ جـهدَه فأسمعـا

بالخـير خيراً وأن شـرّا فـآ   ولا أريد الشرّ إلاّ أنّ تآ

---

[1]- لسان العرب، مادة (حذف)

[2]- القاموس المحيط، مادة (حذف)

[3]- أساس البلاغة، أبي القاسم بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1998،1م مادة (حذف)

[4]- معجم البلاغة العربية، ص185-186

[5]- المرجع نفسه، ص186

ويرى النحويين أنه قصد بقوله: (وإن شراً فا) و(وإلا أن أتي) قالوا: يريد(وإن شرّ فشر) و(وإلا أن تشائي)»[1].

في اصطلاح (الوساطة):

الحذف:

ورد هذا المصطلح واحد وثلاثين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والحذف عند القاضي الجرجاني جاء بمعنى الاستغناء على ما لا فائدة من ذكره؛ تفادياً للحشو الذي لا طائل منه يقول معلقاً على بيتين أحدهما لامرئ القيس والأخر لعَدِي بن الرفاع: « وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغنِي عنه وما لا فائِدة في ذكره»[2].

فيعلق على الحشو الذي يستلزم الحذف في قول امرئ القيس:

تصُدُ وتُبْدِي عَنْ أَسِيل وَتَتَّـقِي   بِنَاظِرَةِ مِنْ وَحْش وَجْرَةَ مُطْفِلِ

وقول عَدِي بن الرفاع:

وَكـأنَّـهـا بيْنَ النسَـاءِ أعَـارَهـا   عَيْنَيـهِ أحْوَرُ مِنْ جَـآذِرِ جَاسِمِ

بقوله: « لأن امرأ القيس قال: (من وَحش وَجْرة)، وعدِيًّا قال: (من جآذر جاسم)، ولم يذكُرَا هذين الموضعين إلا استعانة بهما في إتمام النظم، وإقامة الوزن»[3]. فالقاضي يرى في هذه الزيادات حشو لا فائدة منه، وحذفه لا يخل بالمعنى ولا ينقص من بلاغته.

وكما يكون الحذف في جمل أو كلمة فقد يكون في حرف كما مثل القاضي لذلك بقول المتنبي:

جَلَلا كما بي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ   أَغِـذَاءُ ذَا الرَّشَإِ الأَغَنِّ الشِّيحُ

يعلق القاضي: « حذف النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأً؛ لأنها تتحرك إلى الكسر وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت»[4]، وهذا النوع من الحذف يكون« بأن يطرح الشاعر أو الكاتب حرفا أو أكثر من حروف المعجم من نثره أو نظمه»[5].

1- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص425
2- الوساطة، ص36
3-الوساطة، ص36-37
4- المصدر نفسه ، ص366
5- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2 ص425-426

والعرب أميل للحذف كما يرى الجرجاني « وهم إلى الحذف فيه أميل، وبالتخفيف أولع وعلى ذلك قالوا: دَرس المنا؛ يريد المنازل. وقالوا: قواطن مكة من وُرق الحما يريد الحَمام»[1] وهذا النوع من الحذف يدخل في باب الشواذ الذي لا يجعل له أصولاً ولا يلزمُ له قياس.

كما أن الحذف قد يراد به الاختصار في الكلام والإيجاز فيه يقول: « ومن طلب أبواب الحذفِ والاختصار، ولانتقال من كلام إلى كلام»[2].

وخلاف الحذف الزيادة يقول: « وقد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوزُ لغيره لا للاضطرار إليه، ولكن للاتساع فيه، واتفاق أهله عليه، فيحذفون ويزيدون»[3].

والحذف عند القاضي منه ما يكون في الجمل والكلمات ومنه ما يكون في الحروف وقد مثل القاضي لكل منها، وأشار القاضي إلى ميل العرب للحذف في كلامهم تجنباً للحشو.

الحلاوة

(مستحلاة)

الحلاوة: قيل: « الحُلوُ نقيض المر، والحَلاوَةُ: ضد المرارة، والحُلوُ: كل ما في طعمه حَلاوة، وقد حُلي وحَلا»[4]، وقال الأزهري: « (احْلَوْلَيْتُ) الشيء استَحْلَيْتُهُ و(أَحْلَيْتُ) الشيء جعلته حُلْواً»[5]، و« حَلاَ: أصاب منه خيراً، وحَلاَ الشيء وحَلاَهُ تَحْلية جعله حُلواً...وحُلوُ الرجال: من يُستخفُّ ويُستَحْلَى»[6]، وجاء في المقاييس: « حُلُو: ثلاثة أصول: فالأول طيب طيب الشيء في ميل النفس إليه»[7].

أما في الاصطلاح: « يراد بحلاوة اللفظ سهولته وجماله واتساع الذوق له، والحلاوة مما يذاق بالطبع»[8]، وقيل: « أن المراد بحلو الشعر عذوبته»[9].

في اصطلاح (الوساطة):

الحلاوة:

1- الوساطة، ص376
2- المصدر نفسه ، ص372
3- المصدر نفسه، ص373
4- لسان العرب، مادة(حلى)
5- مختار الصحاح، مادة(حلى)
6- قاموس المحيط، مادة(حلى)
7- مقاييس اللغة، مادة(حلى)
8- معجم النقد العربي القديم، ص450
9- ينظر: المرجع نفسه، ص455

تكرر هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة(منكراً ومعرفاً)، وعنى القاضي بحلاوة الأشعار لطفها ورشاقتها وعدم مخالفتها الطبع، يقول: « والشعر لا يحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة؛ وإنما يعطِفُها عليه القبولُ والطلاوة، ويقرُبُه منها الرونق والحلاوة؛ وقد يكون الشيء متقناً محكماً، ولا يكون حلواً مقبولاً، ويكون جيداً وثيقاً، وإن لم يكن لطيفاً رشيقاً»[1]، وكذلك: « وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق، وإخلاف الديباجة»[2].

ويمثل لحلاوة الشعر بقول البحتري:

عَطَفَ ادِّكارك يوم رامة أَخْدَعي شوقاً وأعناقُ المطيِّ قواصدُ

يعلق القاضي: « فوقع من الحلاوة والحسن في الموقع الذي تراه»[3].

فالبحتري لم يخالف عمود الشعر، فكانت أشعاره مطبوعة، لها موقع في القلب لحسنها وحلاوتها.

فحلاوة الأشعار سبيل الشاعر لتجد أشعاره موقع في القلوب تمتزج بنفوس: « وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأعلق بالنفوس، وأسرع ممازجة للقلب»[4].

حلاوة اللفظ:

ورد مرة واحدة، وسر حلاوة اللفظ عند القاضي عدم خروجه عن الطبع يقول: « فما هذا من المعاني، التي يضيع لها حلاوة اللفظ، وبهاء الطبع، ورونق الاستهلال»[5].

مستحلاة:

ورد مرة واحدة وجاء بمعنى الحلاوة: « يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة مومقة»[6].

---

[1] - الوساطة، ص91-92
[2] - المصدر نفسه، ص25
[3] - المصدر نفسه، ص69
[4] - الوساطة، ص342
[5] - المصدر نفسه، ص90
[6] - المصدر نفسه، ص92

مصطلح الحلاوة عند القاضي مرتبط بالطبع، فالطبع أساس حلاوة الأشعار وسبب علوقها بنفس و امتزاجها بالقلب، كونه-أي الطبع- يكسبها رونقاً وطلاوة و لطفاً ورشاقة.

الخِطَاب
(الخُطبَة-الخَطِيب- المُخَاطَب- المُخَاطب- المخاطَبَة)

الخِطَاب: « الكلام بين اثنين... والخُطْبَةُ الكلام المَخطُوبُ بِه»[1]، وقيل: « الخَطْبُ سبب الأمر، وما خَطبُك، أي ما أمرك، وتقول: هذا خَطْبُ جليل وخَطْبُ يسير، وجمعه خُطُوبُ خَاطَبَه بالكلام مُخَاطَبَةّ، وخَطَبَ على المنبر خُطْبَة، وخَطَبَ المرأة في النكاح خِطْبَة»[2]. والخطاب « مراجعة الكلام وقد خَاطَبَهُ بالكلام، وقد خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وخِطَابَا، وهما يَتَخَطَبَان والخِطَابُ هو الكلام بين متكلم وسامع»[3]، و« الخِطَبُ والمُخَاطَبَةُ والتَخَاطُبُ المُراجَعَةُ فِي الكَلام، ومن الخُطبَةِ خَطِابُ وخَطِيبُ»[4].

وفي الاصطلاح: هو « توجيه الكلام نحو الغير للإفهام... والخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[5]، والخطاب « نصُّ يكتبه كاتبةٌ إلى آخر

---

[1]- مقاييس اللغة، مادة(خطب)
[2]- مختار الصحاح، مادة(خطب)
[3]- المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تصحيح: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الحلبي(د.ط)(د.ت) مادة (خطب)
[4]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خطب)
[5]- كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، ص749

ويسمى كذلك الرسالة»[1]، وقد فرق العرب بين الشعر والنثر منذ القديم فنجد الجاحظ يقول: « إن الجمع بين الشعر والخطابة قليل»[2]، مما يعني استغلال شخصية كل من الشاعر والخطيب كما كان البحتري يردد في بيته المشهور:

والشعرُ لَمْحُ تكفي إشارتُهُ وليس بالهذرِ طُوّلت خطَبُهْ

في اصطلاح (الوساطة):

الخطاب:

تكرر هذا المصطلح في ثلاث عشرة موضعاً(معرفاً ومنكراً)، والخطاب عند القاضي الجرجاني هو الكلام الموجه للغير- مكتوباً كان أو ملفوظاً- سواء كان موجه من فرد إلى آخر، أو من فرد إلى مجموعة من السامعين، وقد يكون هذا الكلام شعراً أو نثراً، فلم يحصر الخطاب في النثر دون الشعر، أو العكس، فيعقب على المعقد من الشعر بقوله: « فأما

قوله: (والدمعُ أشفاه ساجمهُ) فخطاب مستأنف، وفصل منقطع من الأول»[3]، وقوله أيضا: «وترى الجافي الجلف منهم كَزَّ الألفاظ، معقد الكلام، وَعْر الخطاب»[4].

فالقاضي يشير في هذا الاقتباس إلى اختلاف طبائع الناس في الكلام، بين من تسهل ألفاظه ومن يميل إلى توعيرها، وهم أبناء عصر وزمان واحد.

ويرد عن بعضٍ مما عابه العلماء على خطاب المتنبي فيقول: « فحذف الصفة استغناء بما تقدم، وما تعقب من الكلام، ثم ابتدأ خبراً ثانياً، وصرفَ الخطابَ عن الأول، وهذا سائغٌ لا يُرَدُّ، ألا تره لو قال: وإني لمن قوم كرام، ثم أمسك لكان قد استكمل الفائدة، و استوفى الغرض، ولم يحظر عليه العدول إلى غيره ... والانصراف عن الخطاب قبل استتمامه اجتزأ بظهور الغاية واستبانة المراد »[5].

الخُطبَة:

---

[1]- المعجم المفصل في الأدب، ص402

[2]- البيان والتبيين،ج1ص45

[3]- الوساطة، ص90

[4]- المصدر نفسه، ص25

[5]- المصدر نفسه، ص372

الخطبة مصطلح وردة مرة واحدة في الوساطة، ولم تخرج عن كونها نص الخطاب، أو الكلام الذي يتحدث به الخطيب.

يقول في دفاعه عن المتنبي: « لكنا لم نجد شاعراً أشمل للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعره أجمع، بل قلَّما تجد ذلك في القصيدة الواحدة والخطبة الفردة »[1]، أما معنى الخطبة الفردة فهي الخطبة المتميزة الفريدة من نوعها، والجرجاني قصد هنا ـ بالخطبة الفردة ـ شعر المتنبي لتميزه بين شعراء عصره.

الخَطِيب:

الخطيب من خَطُبَ خَطَابَة صار خطيباً، ورجل خَطِيبُ حَسَنُ الخُطبَة، وجمع الخَطِيب خُطبَاء[2]، وقد ورد هذا المصطلح مرتين مترادفتين(نكرةً) في نفس العبارة، في قوله : « وتجد فيها الشاعر أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحِدَّة القريحة والفِطنة! »[3] .

المُخَاطَب:

المخاطب وهو المتلقي للخطاب، وقد ورد هذا المصطلح بهذا المعنى مرتين يقول: « وإذا استبعدوا ذهن مُخَاطَب، واستخفوا فطنة منازع قالوا: هذا ثور وتيس، حتى شاع ذلك على أفواه العامة وألسن النساء والصبيان»[4].

المُخَاطِب:

هو المتكلم، وردة مرتين يقول: « لكنه عدل إليهم مخاطباً»[5]، وقوله: « عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب»[6].

المُخَاطبة:

من الخِطَاب وحملت معنى المحاورة، وردة ثلاثة مرات في الوساطة، كان في مرتين منها نكرة، يقول القاضي: « وإنما يستعيب لك هذه المخاطبة من وافقك على فضل أبي تمام

---

[1]- المصدر نفسه، ص344

[2]- لسان العرب، مادة (خطب)

[3]- الوساطة، ص23

[4]- الوساطة، ص291

[5]- المصدر نفسه، ص372

[6]- المصدر نفسه، ص371

وحزيه»[1]، وقوله عن ما يستقبح في ابتداء المخاطبة: « واستقبح افتتاحه مخاطبةَ ملك»[2]، ثم يورد قول المتنبي:

كفى بكَ داء أن ترَى الموتَ شافياً وحَسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيَا

وجاء مصطلح المخاطبة في قوله: « فإذا ادعيت ذلك وجدت العيان حجيجك، والمشاهدة خصمك، وعدنا بك إلى أضعاف ما صدرنا به مخاطبتك، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دعواك»[3].

ومصطلح الخطاب عند القاضي مع تعدد اشتقاقاته لم يخص به النثر دون النظم كما فعل البعض فهو مصطلح أطلقه القاضي على كل كلام موجه شعراً كان أو نثراً.

الخاطر
(الخواطر)

الخاطر: « ما يَخطُرُ في القلب من تدبير أو أمر، والخَاطِرُ: الهاجس، وجمعه الخَواطِر وقد خَطَرَ بباله وعليه: إذا ذكره بعد نسيان»[4]، وقال الزمخشري: « الخَوَاطِرُ: ما يتحرك بالقلب من رأي أو معنى...وعده من المجاز، والخَاطِرُ: المتبختر يقال: خَطَرَ يَخْطُرُ إذا تبختر وخُطُوراً عند ابن جني: ما يذكره بعد نسيان»[5]، وقيل:« تخاطَرُوا: تَرَاهَنُوا، وأَخْطَرَ: جعل نفسه خَطَراً لقرينه فَبارَزَهُ»[6].

و في الاصطلاح: « اظطراب في النفس يحرك القلب فيدفع الأديب للكتابة أو نظم الشعروقد قيل: يجب أن يكون لكل أديب خاطر يدفعه للكتابة أو نظم الشعر»[7]، و«

[1]- المصدر نفسه، ص52
[2] - المصدر نفسه، ص138
[3]- المصدر نفسه، ص55
[4]- لسان العرب، مادة(خطر)
[5]- تاج العروس، مادة(خطر)
[6]- القاموس المحيط، مادة(خطر)
[7]- ينظر: معجم النقد العربي القديم، ص458

الخاطر ما يرد على القلب من هاجس»[1]، وقيل:« ما يرِد على القلب والضمير من الخطاب»[2]. وقيل:« خاطِرُ: هاجِسُ، قَلْبُ، نَفْسُ»[3].

« وكانوا يقولون عن الشاعر الحسن: وكان له أدب بارع و خاطر إلى القريض يسارع»[4].

في اصطلاح (الوساطة):

الخاطر:

ورد مصطلح الخاطر في الوساطة خمس عشرة مرة(معرفاً ومنكراً) كان في خمسة منها بصيغة الفعل(خطر) وفي كل هذا جاء بمعنيين:

أ- قصد بالخاطر النفس أو القلب لأنا من صفتهما عدم الاستقرار على حال كما يقول: « والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال، ولا يدوم في الأحوال على نهج »[5]، فالخاطر عند عند

القاضي هو تحرك أو اضطراب في النفس لأن من صفاتها التقلب وعدم الاستقرار على حال، ويقول أيضاً: « ومتى أتعب أحدنا نفسه، و أعمل فكره، و أتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى»[6].

فالفكر والذهن والخاطر متلازمات عند القاضي و الواحد منها يستلزم الأخر، فيقول عن السهل الممتنع من شعر البحتري: « وعليك بما قاله عن عفو خاطره، وأوَّل فكرته»[7]، وعفو وعفو الخاطر أي دون تعب وكد في التفكير و إجهاد لنفس والبال في استحضار الأفكار.

وجاء الخاطر بنفس المعنى في قوله: « وكأن النفس تشهد أن مثلها لا يكون باكورة الخاطر، ولا تسمح بها القريحة إلا بعد الدربة وطول الممارسة»[8]، وقوله: « وربما قصر الكلام عن مجارات الخاطر، ولم يبلغ الكلام مبلغ الهاجس»[1].

---

[1]- المعجم المفصل في الأدب، ص392

[2]- التعريفات، ص288

[3]- المعجم الأدبي، ص101

[4]- معجم النقد العربي القديم، ص457

[5]- الوساطة، ص344

[6]- الوساطة ، ص185

[7]- المصدر نفسه، ص31

[8]- المصدر نفسه، ص141

ب- بمعنى الاضطراب أو التحرك في البال أو النفس وما ينتج عنه من أراء أو أفكار ويقول القاضي: « لأنه لم يخطر بالبال فيترك، وإنما ابتدعته أنت وسبقت إليه، والشيء إذا لم يخطر بالبال، ولم تتعلق به الهمة لم يسم متروكاً في المتعارف من الكلام»[2]، والفكرة أو الرأي هما ما يخطر بالبال.

الخواطر:

الخواطر جمع خاطر، وردت ثلاث مرات(معرفاً ومنكراً) في الوساطة، وقصد بها الأفكار يقول القاضي عن المتنبي: « ومعان قد أخذ عفوها، وسبق إلى جيدها، فأفكاره تنبث في كل وجه، وخواطره تستفتح كل باب»[3]، وقوله في مقدمة وساطته: « وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والندرة»[4].

فالخاطر عند القاضي خزان الشاعر الذي يستنجد به في تحصيل المعاني على الرغم من تنبيهه إلى إن الخاطر لا يؤمن على حال فهو متغلب الأحوال لا يستقر على منهج.

الزيادة
(الزيادات)

الزيادة: « خلاف النقصان، زَادَ الشيء يَزِيدُ زِيَاداً و زِيَادَةً ومَزِيداً ومَزَاداً، أي: ازدَادَ»[5]. وقيل: « الزِيَادَةُ النمو وبابه باع، ويقال: زَادَ الشيء وزَادَهُ غيره، قولك زَادَ المال درهما والبر مداً؛ فدرهما ومداً تمييزاً كلامي. والمَزِيدُ الزِيَادَةُ، واسْتَزَادَهُ استقصره، وتَزَايَدَ السعر أي غلا والتَزَيُدُ في الحديث الكذب، والمَزَادَةُ هي الرواية، والجمع مَزَادَ ومَزَايدُ»[6]، ويقال:« شيء كثير الزَّيايد، أي الزّيادات»[7]، والزِّيَادَة « أَنْ ينضَمَّ إلى ما عليه الشيءُ في نَفْسِهِ إلى شيءُ آخرُ يقالُ زِدْتُهُ فازْدَادَ»[8].

---

[1]- المصدر نفسه، ص357
[2] - المصدر نفسه، ص392
[3] - المصدر نفسه، ص54
[4]- المصدر نفسه، ص12
[5]- لسان العرب، مادة (زاد)
[6]- مختار الصحاح، مادة(زيد)
[7]- مقاييس اللغة، مادة (زيد)
[8]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (زود)

وفي الاصطلاح: « هي التي تفيد اللفظ فصاحةً وحسناً، والمعنى توكيداً، أو تميزاً لمدلوله عن غيره»[1]. وقد « كثر حديث النحاة الأوائل عن الزيادة وفضلها في الكلام وستحسنها، فنجد الخليل ابن احمد قد أشار إلى موضعها وبلاغتها. وذهب أبو عبيدة إلى أن الزيادة تفيد الكلام توكيداً وتقوية، كما يشير إلى أن الحروف تزاد للتوكيد والتنبيه»[2].

ويضرب اللغويين والنحاة الكثير من الأمثلة عن الزيادة المليحة، كقول طرفة:

فسقي ديارّك –غير مفسدها– صَوْبَ الربيع ودمةُ تَهْمي

فقوله: (غير مفسدها) زيادة جعلت المعنى في غاية الحسن[3].

في اصطلاح (الوساطة):

الزيادة:

تكرر هذا المصطلح أربع وتسعين مرة في الوساطة، كان في ثماني منها (نكرة)، وقصد القاضي بالزيادة إفراد الكلام بفضل العناية بإضافة ما يزيد في بلاغته وجزالته، ولم يقصد القاضي بالزيادة، الزيادة الكمية، وإنما عنى كمال المعنى في بديع الصياغة، يقول: « وكان الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية...خرج كما تراه فخماً جزلاً قوياً متيناً»[4]، فالزيادة عند القاضي هي السبيل لتقوية الشعر ومتانته، والسبيل للمفاضلة بين الشعراء، يقول: « وقد يتفاضل متنازعوا هذه المعاني ... وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن...أو زيادة اهتدى لها دون غيره»[5].

والزيادة عند القاضي الجرجاني، من طرق إخفاء السرقة، كما يقول: « ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغير المنهاج والترتيب، وتكلفوا جبر ما فيه النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض... »[6].

الزيادة الحسنة:

---

[1]- معجم البلاغة العربية، ص330
[2]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3ص27
[3]- معجم النقد العربي القديم، ج2ص31
[4]- الوساطة، ص24
[5]- المصدر نفسه ، ص163
[6]- المصدر نفسه، ص185

الزيادة الحسنة مما ذكره القاضي في تعليقه على بعض الإضافات التي تفرد بها بعض الشعراء في أشعارهم، فتميزت عن غيرها، ويمثل لها بقول امرئ القيس:

أو تيس أظب في ببطن واد   يعدو وقد أُفْرِدَ الغَزَالُ

فيعلق عنه ويقارنه ببيت لأوس بن حجر: « لكن امرئ القيس زاد إفراد الغزال، وهذه زيادة حسنة... و إن امرئ القيس زاد في قوله يصف الطعنة:

كَجَيب الدُفْنــــس الورهاء   رِيْعَــتْ وهـــي تَستَفلي

على كل من شبهها بجيب الحمقاء...لأنها إذا ربعت وهي تستفلي عجلت على الرفق، وقول أوس بن حجر:

وفي صَدره مثلُ جَيب الفتاة   تشهق حيناً وحيناً تهرّ

فزاد بالتقسيم الجاري على الشهيق والهَرير، ولكن زيادة الأول أحسن وأغمض مآخذا»[1].

كما يمثل لزيادة الحسنة البديعة، بقول المتنبي:

أَقَامَتْ في الرُقاب لَهُ أُيُاد   هي الأَطْوَاقُ والناسُ والحَمّامُ

فيعلق عنه: « وهذا من المبتذل الذي لا يعد سرقة إلا بزيادة تلحقه، وزيادة أبي الطيب فيه حسنة بديعة»[2].

الزيادة الصالحة:

من أوصاف الزيادة التي ذكرها القاضي، ومثل لها ببيت لأبي الطيب احتذى فيه بأوس بن حجر و الذي يقول:

أبا دُلَيْجَةَ مَنْ تُوصي بأَرمَلَة   أم مَنْ لأَشْعَثَ ذي هدمَيْن ممْحَال

أبو الطيب في مثله:

وَمَنْ اتَخَذتَ على الضُّيُف خَليفَةّ؟   ضَاعُوا ومثْلُكَ لا يَكَادُ يُضَيِّعُ

يعلق القاضي بقوله: « فزاد المصرع الثاني زيادة صالحة»[3].

الزيادة العارضة:

---

1 – المصدر نفسه ، ص165

2 – المصدر نفسه، ص207

3 – الوساطة، ص254

وردة مرة واحدة و نكرة، في حديثه عن ما عيب عن المتنبي من زيادات، فيقول: « و مثل قصر ما يمد، لأن المدة زيادة عارضة فحذفت»[1]، وقصد القاضي بالزيادة العارضة، الزيادة التي يأتي بها الشاعر عن غير قصد.

الزيادات:

الزيادات جمع زيادة لغة واصطلاحاً، ورد مرة واحدة في الوساطة، وكانت نكرة يقول القاضي: « أو عند أحد من أصحابك فيه زيادات لم نعثر عليها»[2].

الزيادة عند القاضي الجرجاني مقياس للمفاضلة بين الأبيات المتشابهة المعاني، كما أنها وسيلة لجبر النقيصة في الشعر، بالإضافة إلى كونها وسيلة لإخفاء السرقة بتغير المنهج والترتيب.

السرقة

(السرقات–السارق– المسترق–المسروق)

السرقة: « سَرَقَ الشيء يَسْرِقُه سَرَقاً وسَرِقاً واستَرَقَه، والسَرِقَةُ: الأخذ بخفية، ويقال سَرِق الشيءُ سَرَقاً: خفي. واستَرَقَ السمع أي استَرَقَ مُستَخفِياً، ورجل سَارِقُ من قوم سَرَقة وسَرَّاق وسَرُوقُ من قوم سُرُق»[3]، وقيل: « السَّرِقَةُ أَخْذُ مَا لْيسَ له أَخْذُهُ في خَفاء»[4]، و« استَرَقَهُ:

---

[1]– المصدر نفسه، ص375

[2]– المصدر نفسه ، ص341

[3]– لسان العرب، مادة (سرق)

[4]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(سرق)

جاء مستتراً إلى حِرزٍ، فَأَخَذَ مالاً لِغَيرِهِ، والمُستَرِقُ: النَاقِصُ الضَّعيفُ الخَلْقِ»[1]، و« مما شذَّ عن هذا الباب السَّرَق: جمع سَرَقة، وهي القطعة من الحرير»[2].

وفي الاصطلاح: « احتيال الأدباء للإفادة من إبداع من تقدموهم، من غير الإشارة إلى مبدعيه، أو نسبته إلى قائليه، والمراد بالسرقة الأدبية سرقة المعنى الذي اختص به شاعر أو نسب إليه»[3]. وقد تكون السرقة« كاملة لفظاً ومعنىً، أو معنى دون لفظ، أو جانباً من المعنى، أو اختلاساً، وإلماماً، أو عكساً لمعنىً، أو نظمِ النثرِ، أو نثر الشعر»[4]، وقيل أنه «أخذ الشخص لكلام الغير، ونسبته لنفسه»[5].

وقد فرق العرب بين الإتباع والإبداع والتقليد والتجديد ووضعوا لذلك قواعد وأصول والسرقات قديمة في الأدب العربي، فقد وجدت بين الشعراء في مختلف العصور، يقول حسان ابن ثابت نافياً عن نفسه الأخذ والإغارة معتزاً بكلامه:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري
إني أبى لي ذلكم حسبي ومقالة كمقاطع الصخر[6]

في اصطلاح (الوساطة):

السرق= السرقة:

تكرر هذا المصطلح ست وثلاثين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والسرقة أو السَرَقُ عند القاضي الجرجاني داء قديم في الشعر، وهي اعتماد الشاعر على أفكار وألفاظ ومعاني غيره مع محاولة إخفاء ذلك بالنقل والقلب، وتغير المنهج والترتيب، يقول: « السَّرَقُ ـ أيَدَك الله- داءُ قديم، وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر، ويستمدُّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه... ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب، وتغير المنهاج والترتيب»[7]، ويمثل لسرقة بما ادّعاه جرير على الفرزدق من سرقة فقال:

سيعلمُ مَنْ يكونُ أبوه فينا وَمَن عُرِفَتْ قصائدهُ اجتلابا

---

[1]- القاموس المحيط، مادة(سرق)
[2]- مقاييس اللغة، مادة(سرق)
[3]- معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص99 وينظر: معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، ص340
[4]- المعجم المفصل في الأدب، ص525
[5]- ينظر: جواهر البلاغة، ص359
[6]-ديوان حسان بن ثابت ، ص39
[7]- الوساطة، ص185

وادَّعى الفرزدق على جرير فقال :

إنَّ استراقَك يا جريرُ قصائدي   مثل ادعاكَ سِوَى أَبيكَ تَنَقُّلُ

ويبرر القاضي ويعذُر الشعراء المتأخرين في سرقاتهم بحجة أن المتقدمين لم يتركوا شيء من المعاني و الألفاظ لأهل عصره ومن بعدهم إلا و أتوا عليه في أشعارهم، فيقول: « ومتى أنصفت علمت أن أهل عصرِنا، ثم العصر الذي بعدنا أقرب فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمة، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتي على معظمها .... ومتى أجهد أحدُنَا نفسه، واعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريب مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فريداً مخترعاً، ثم تصفح عنه الدواوين لم يُخْطِئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالاً يغضُّ من حُسْنِه ولهذا السبب أَحظر على نفسي، ولا أرى لغيري البتَّ الحكم على شاعر بسرقة»[1].

فالقاضي الجرجاني يحظر على نفسه، ويدعو غيره إلى عدم اتهام أي شاعر بالسرقة، ويعلق على الشاعر المتهم بالسرقة، فيقول: « فإن وافق بعض ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل: سرق بيت فلان، و أغار على قول فلان. و لعل ذلك البيت لم يَقْرَع قط سمعه، ولا مر بخلّده، كأن التوارد عندهم ممتنع، واتفاق الهواجس غير ممكن!»[2].

وذكر القاضي طرف من الأشعار التي اتهما البعض المتنبي بسرقتها من أبي تمام فيقول: « ورأيتكَ وأصحابك أنحيتُم في منازعة خصمكم على إدعاء السَّرَق, فقال قائلكم: ما يسلم له بيت، ولا يخلص من معانيه معنى...» ثم يورد قول أبي تمام:

مَنْ بنو بَحْدَل مَن ابن الحُبَاب   مَنْ بنو تَغلب غداة الكلاب

إنما الضيغمُ الهصورُ أبو الأشْـ   ـبال رِئْبَالُ كل خِيس وقابِ

من عَدَتْ خيلُه على سرح شعري   وهو للحين راتعُ في كتابي

ويعلق عليه: « وقلت: إنما عمد إلى شعر أبي تمام فغير ألفاظه، وأبدل نظمه، فأما المعاني فهي تلك بأعيانها، أو ما سرقه من غيره »[3].

السرقة الممدوحة:

[1]-المصدر نفسه، ص**185**

[2]- المصدر نفسه، ص**54**

[3]- الوساطة، ص**157**

السرقة الممدوحة هي السرقات التي يمدح صاحبها ويزكى، لما اتصفا به من نباهة وزيادة حسنة في ما أخذ، حسب رأي القاضي، يقول: « ومتى جاءت السرقةُ هذا المجيء لم تعد من المعايب، ولم تُخْص في جملة المثالب، وكان صاحبها بتفضيل أحق، وبالمدح والتزكية أولى»[1]، ويمثل لهذه السرقة الممدوحة بقول امرئ القيس مشبهاً الناقة في سرعتها بتيس الظباء فيقول:

أو تيس أظبٍ ببطن واد يعدو وقد أُفْرِدَ الغَزَالُ[2]

ورغم كل ما قيل فيه، إلى أن امرئ القيس زاد إفراد الغزال، وهي زيادة حسنة لأنه إذ أُفرد اجتمع للتيس الخوف والوله، فكان أشد لعدوه.

السرقة القبيحة المذمومة:

السرقة القبيحة المذمومة، هي السرقة التي يتفق فيها المعنى والوزن والقافية؛ بين السارق و المسروق منه، وعنها يقول القاضي: « وهذا من أقبح ما يكون من السَّرَق، لأنه يدل نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية»[3]، ثم يمثل القاضي لسرقة القبيحة باحتذاء أبو الطيب بقول أبي تمام:

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسع

فقال:

اِبْعَد بَعِدْتَ بَيَاضاً لا بَيَاضَ لَهُ لأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ[4]

السرقات:

السرقات جمع سرقة، وقد ورد مرتين في الوساطة، يقول: « ومتى طالعت ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام وتَتَبَّعه بِشْر بن يحيى على البُحْتري»[5].

السارق:

السارق في الشعر عند القاضي هو من يأخذ ألفاظ ومعاني غيره متعمداً ودون إشارة أو اعتراف بذلك، وقد ورد مصطلح السارق ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، يقول

1- المصدر نفسه، ص165
2- المصدر نفسه، ص165
3- المصدر نفسه، ص212
4- المصدر نفسه، ص212
5- الوساطة ص185

القاضي: « بل لا يعرف السارق إلا من يفعل فعل عبد الله ابن الزبير بأبيات معن بن أوس»[1]. وقوله: « وما هو إلا ليث مُغِير، أو سارق مختلس»[2].

المسروق:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات(منكراً)، واحدة منها كان فيها مؤنثا، وقد قصد به ما يقع عليه فعل السرقة، أي ما يسرق من الشعر، ورد في قوله: « إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره»[3]، وقوله: « ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع؛ فوجدت منه مستفيضاً متداولاً متناقلاً لا يعد في عصرنا مسروقاً، ولا يحسب مأخوذاً»[4].

المُسترق:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة(معرفة ونكرة)، ولم يخرج معناه عن معنى المسروق، يقول: « وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد؛ فإن ألحقت به المأخوذ المسترق فلبعض الأغراض المتقدمة»[5]، ويقول: « فإن كانت مسترقة فجميع البيت مسروق، بل جميع الشعر كذلك»[6].

إن السرقة عند القاضي وإن كانت داء أصيب به الشعر، فإنه يحد عن نفسه أن يتهم شاعراً بالسرقة، فهو يعذر شعراء عصره ومن بعدهم، ويبرر ما يعتبره البعض سرقات، بما سلف ذكره من حجج ذلك أن الأولين لم يتركوا لمن بعدهم ألفاظاً أو معاني أو أساليب إلا وقد سبقوهم إليها.

والسرقة لا تكون إلا في المعاني الخاصة، وهذه الخصوصية تأتي للمعنى من الانفراد بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى إليها الأديب دون غيره.

1- المصدر نفسه، ص 168

2- المصدر نفسه، ص157

3 - المصدر نفسه، ص185

4- المصدر نفسه، ص161

5 - المصدر نفسه، ص142

6 - المصدر نفسه، ص182

السهولة

(التسهيل- السهل- السهلة)

السهولة: « السَهلُ نقيض الحزن، والسُهُولَة ضد الحزونة، والسَهلُ كل شيء يميل إلى اللين وقلة الخشونة، سَهُلَ سُهولَة وسَهَّلَهُ: صيره سَهلاً»[1]، وقيل: «السَّهْلُ ضد الجبل وأرض سَهْلَةُ وأسْهَلَ القوم صاروا إلى السَّهلِ ورجل سَهْلُ الخُلُق. وأسهَلَ الدواء طبيعته، والتَّسْهِيلُ التَّيْسيرُ

[1]- لسان العرب، مادة (سهل)

والتَّسَاهل التسامح، واسْتَسْهَلَ الشيء عده سَهلاً»[1]، و« أَسْهَلَ: حَصَلَ في السَّهْلِ ورَجُلُ سَهْلِيٌّ: مَنْسُوبُ إلى السَّهلِ[2]، وسَهَلَهُ تَسهِيلاً: يَسَرَهُ، وسْتَسْهَلَهُ: عده سَهلاً»[3].

أما في الاصطلاح : « السهولة في الأدب خلو اللفظ من التكلف»[4]، كما جاء في الكشاف « سهولة اللفظ هي خلوه من التكليف والتعقيد والتعسف في السبك»[5]، و« التسهيل أداءُ اللفظ بحيث لا يدلُّ عليُّ المرادِ دلالةً صحيحة، ووقوعُ نقصٍ في الكلام دونَ اعتمادٍ على فهم القارئ»[6]. و « السهولة كل شيء إلى اللين وقلة الخشونة»[7].

في اصطلاح الوساطة:

السهولة:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة(منكراً)، حمل فيهما معنى اللين في الكلام نتيجتاً لتحضر، حتى يظن أن بهذا الكلام ضعفاً، لكن إذا تفرد الكلام أصبح ذلك اللين صفاءً ور ونقاً، ورشاقةً ولطفاً، فيقول القاضي عن السهولة في باب أثر التحضر على الشعر: « وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق، فانتقلت العادة ... وكسَوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفاً، فإذا أُفرِد عاد ذلك اللين صفاءً ورونقاً، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولطفا»[8]

وهذا لا يعني أن المبالغة في تسهيل ألفاظ الشعر شيء مرغوب فيه، فهذا الأمر قد ينعكس على القصيدة بالسلب، مثلما يرى القاضي في بعض قصائد أبي تمام حيث أكتشف وجود اختلاف في القصيدة الواحدة، فيعلق عن هذا: « ومن جنيات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعه أن أحدهم بينما هو مسترسل في طريقته؛ وجاري على عادته يختلجه الطبع

1- مختار الصحاح، مادة(سهل)
2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(سهل)
3- القاموس المحيط، مادة(سهل)
4- معجم المفصل في اللغة والأدب، ص723
5- كشاف اصطلحات الفنون والعلوم، ج1ص987، وينظر: الكليات، ص510
6- المعجم المفصل في الأدب، ص246
7- معجم النقد العربي القديم، ص40
8- الوساطة، ص25

الحضري، فيعدل به متسهلا، ويرمي بالبيت الخنث، فإذا أنشد في خلال القصيدة، وجد قلقا بينها نافراً عنها، وإذا أضيف إلى ما وراه وأمامه تضاعفت سُهولة، فصارت ركاكة »[1].

التسهيل:

ورد هذا المصطلح بهذه الصيغة ثلاث مرات في الوساطة(معرفاً)، حمل فيها معنى التبسيط والبعد عن التعقيد في الكلام عامة و الشعر بالخصوص، فيقول في تحليله لأثر التحضر على لغة العرب وانتقالها من الوعر الموحش إلى السهل المصنع، إلى درجة الميل إلى الركاكة : « فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان، وقلة نبو السمع عنه، وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل حتى تسامحوا ببعض اللحن»[2]، ويقول أيضا: أيضا: « ويرجع إلى ما قالت العلماء فيه، وما أجيز إلى المضطر من التسهيل، وفضل فيه النظم عن التسامح »[3]، وفي قوله: « ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على الطبع، وأُحسن له التسهيل...»[4].

السهل:

ود هذا المصطلح ثلاث عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، وقصد به القاضي الكلام الوسط الذي يرتفع عن الكلام السوقي، وينحط عن الكلام البدوي الخشن، وعنه يقول في حديثه عن أسلوب المؤلف: « فلا تظن أني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث، بل أريد النمط الأوسط، ما ارتفع عن الساقط السوقي ونحط عن البدوي الوحشي»[5]، ويمثل القاضي لسهل بأبيات لبعض الأعراب وجد فيها من السهولة السهولة والطرب وراحة النفس ما شده إليها، كمثل قولهم:

أَقُولُ لِصَاحِبِي والعَيَن تَهْوِي بِنَا بَينَ المُنيفَةِ فالضمارِ
تَمَتَّع مِنْ شَمِيم عَرارٍ نَجدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ
ألا يَـا حَـبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ ورَيَّا رَوضهٍ غِبَّ القَطَـارِ
وعيشك إذ يَحُلُّ القوم نَجْداً وأنتَ على زمانِك غيرُ زارِ

[1]- الوساطة، ص28
[2]- المصدر نفسه، ص25
[3]- المصدر نفسه، ص375
[4]- المصدر نفسه، ص30
[5]- المصدر نفسه، ص30

شُهورُ يَنْقَضِينَ ومَا شَعَرنَا بأنصَافٍ لَهُنَّ ولا سِرارِ
فأما لَيلُهُنَ فخيرُ ليلٍ وأقصر ما يكون من النهار

فيعلق عنها بقوله: « فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المأخذ، قريبُ التناول»[1]، ويضيف معقباً على قصائد مختارة من شعر المتنبي، فيقول: « قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسم من الشعر هو المطمِع المُؤْيِس»[2].

السهلة:

عكس الوعرة، وردة مرة واحدة في الوساطة، كانت في تعليقه عن بيت رُؤبة:

أَقْفَرّتِ الوَعْثاء وَالعُثَاعِثُ مِنْ بَعْدهم وَالبُرّقُ البَرَارِثُ

يقول: « وإنما هي البِرَاث جمع بَرّث؛ وهي الأماكن السهلة من الأرض»[3] .

فالسهولة عند القاضي الجرجاني سلاح ذو حدين يمكن أن يلطف الأشعار ويزيدها رونقاً، ويمكن أن ينقلب إلى ركاكة وضعف تؤدي إلى النفور من القصيدة.

الصنعة

(التصنع- الصناعة-صانع-المصنوع- المصنوعة)

الصنعة: « صَنَعَهُ يَصنَعُهُ صُنْعَاً، فهو مصنُوعُ، وصُنْعُ: عَمِلَه. وقوله تعالى: (صُنعُ اللهِ الذي أتقن كل شيء) ، تأويلها اخترتك لإقامة حجتي، والاِصْطِنَاعُ: افتعال من الصنيعة،

1- الوساطة، ص38
2- المصدر نفسه، ص109
3- المصدر نفسه، ص16

وهي العطية والكرامة والإحسان، واستَصنَعَ الشيء: دعا إلى صُنعِه، والصَنيعُ: الثوب الجيِّدُ النقي والمصنَعَةُ: كالصَّنع الذي هو الحوضُ أو شبه الصّهريج، والصِنَاعةُ ما تستطيع من أمر»[1]، وقيل: « الصُّنْعُ إجادةُ الفِعْلِ»[2]، و« اصطنعه: اتخذه، وقوله تعالى: (❐◆✂👓🕒⇳➲⬧☪◆➔⬋☝⬅⌨⮹ ✆♎☪◆⊞⬂⊙⮪⊘)[3]، ورجل صِنَعُ اليدين وصَنَيعُ اليدين من قوم صُنْعَي الأيْدِي»[4]، وقيل أن « الصَّنِيعة: ما اصطنعتَّه مِنْ خير»[5] .

أما في اصطلاح: هي «الدَّربة، وسعة الاطلاع، وحفظ الشعر الجميل. ولا تقوى الصنعةُ إلا بالطبع، ولا يتمكن الطبعُ إلا بالصنعة، فكلاهما تِبْعُ للآخر»[6]، و هي « الأسلوب أو الفن»[7]، وقد اختلف النقاد والبلاغيون حول الصنعة في الشعر بين محبذ لها ونافر منها ولهذا نجد أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام على أكثر ما قاله البحتري.

في اصطلاح (الوساطة):

الصنعة:

تكرر هذا المصطلح خمس عشرة مرة(معرفاً ومنكراً)، كان في خمسة منها مقيداً والباقي مطلقاً، والصنعة عند القاضي جاءت بمعنيين أحدهما ايجابي و الآخر سلبي:

أ- أما المعنى الايجابي فاعتباره أن الصنعة هي تهذيب الكلام والعناية به لكي يخرج فخماً جزلاً قوياً، يقول عن هذا: « ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب، ويفرد بزيادة عناية فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمل والصنعة خرج كما تراه جزلاً قوياً متينا»[8]، ويقول أيضا عن السهل الممتنع من شعر البحتريً: « ثم أنظر هل تجد معنى مبتذلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً! وهل تري صنعة وإبداعا، أو تدقيقاً وإغراباً »[1]. فالصنعة رديفة الإبداع عند القاضي.

---

[1]– لسان العرب، مادة(صنع)

[2]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(صنع)

[3]– سورة طه، الآيه41

[4]– القاموس المحيط، مادة(صنع)

[5]– مقاييس اللغة، مادة (صنع)

[6]– المعجم المفصل في الأدب، ص589

[7]– معجم النقد العربي القديم، ص91

[8]– الوساطة، ص24

ب- أما المعنى السلبي فاعتباره أن الصنعة علامة على التكلف والكد في طلب المعاني يقول على بيتين استحسنهما، أحدهما لامرئ القيس والأخر لعدي بن الرقاع: « رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبينت قربهما منه، والمعنى واحد وكلاهما خال من الصنعة، بعيداً عن البديع»[2]، فالخلُ من الصنعة والبديع، سبب لقبول الشعر واستحسانه.

الصنعة اللطيفة:

وردة في تعليقه عن أبيات لأبي تمام يقول فيها:[3]

دَعْني وشُربَ الهــوى يا شَارب الكَأس فــإنــني للَّــذي حســيته حَاسـي
لا يُوحشَنَّك ما استعـجَمت من سَقمـي فـإنّ منزلّــه مـن أحسـن النـاس
مـن قَطْـع ألْفَاظـه توصـيلُ مُهْلَـكَـتي وَوَصْــل ألْحاظه تقطــعُ أنُفَاســي
متى أعيش بتَأْمــيل الــرَّجَـــاء إذا ما كان قطعُ رجائي في يَديْ يَاسي

يقوله القاضي: « فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة، طابق وجانس واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غزله»[4].

أهل الصنعة:

أطلق القاضي هذه التسمية على أبي نواس وأبا تمام، فيقول: « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك ببن سيدي المطبوعين، وإمامي أهل الصنعة»[5].

التَّصَنُعُ:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، كان في واحدة منها نكرة، والتَّصنُّع في اللغة تكَلُّفُ حُسْن السَّمْت و إظهارُه والتزيُّنُ به والباطن مدخولُ[6].

والتَّصَنُعُ عند القاضي الجرجاني ممقوت مردود، يقول: « لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف، وأتم تصنع، ومع التكلف المقت، وللنفس عن التصنع نفرة، وفي مفاوقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق وإخلاف الدباجة»[7]. ويعلق القاضي علي من يري أن

1- المصدر نفسه، ص33
2- المصدر نفسه، ص36
3- ديوانه، ص445
4 - الوساطة، ص37
5- المصدر نفسه، ص77
6- ينظر: لسان العرب وقاموس المحيط، مادة(صنع)
7- الوساطة، ص25

جودة الكلام وحسنه، تكمن في التصنع والبديع يقول: « ولا يرى اللفظ إلا في ما أدى إليه المعنى، ولا الكلام إلا ما صور له الغرض، ولا الحسن إلا ما أفاده البديع، ولا الرونق إلا ما كساه التصنيع»[1].

الصَّناعة:

ورد هذا المصطلح خمسة مرات في الوساطة، كان في ثلاثة منها نكرة، والصَّناعة في اللغة حرفَةُ الصَانِع، وعَمَّلُه الصَّنعة[2]، والصناعة عند القاضي الجرجاني جاءت بمعنيين:

أ- الصناعة بمعنى الحرفة أو العمل الذي يمتهن، يقول: « وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة، وأخرى دونها مستحلاة مومومقة، ولكل صناعة أهل يرجع إليهم في خصائصها، ويستظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها»[3]. وفي قوله: « وقد يذهب منه الواضح الجلي على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرباً بالنقد»[4].

ب- الصناعة بمعنى التصنع، أي تزويق و حشي و شحن الأشعار بأنواع البديع، يقول: « وأقل الناس حظاً في هذه الصناعة من اقتصر في اختياره ونفيه...ثم كان همه وبقيته أن يجد لفظا مروقاً، وكلاما مزوقاً، قد حُشي تجنيساً وترصيعاً، وشُحن مطابقةً وبديعاً...»[5]. وهذا يتفق مع ما يذهب إليه أبو هلال العسكري فمفهوم الصناعة والصنعة واحد عنده فيرى أن الصنعة بلاء على الشعر فيقول: « فإن ابتليت بتعاطي الصناعة...»[6].

صناعة الشعر:

صناعة الشعر عند القاضي هي القدرة على إعداده وانتقاده و هذا ما يفتقر إليه اللغويين والنحاة، وعنهم يقول: « نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر؛ فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نُقصه، ويكشف عن استحكام جهله»[7].

صانع:

---

[1]- المصدر نفسه، ص343
[2]- لسان العرب، مادة(صنع)
[3]- الوساطة، ص92
[4]- المصدر نفسه، ص 180
[5] - المصدر نفسه، ص343
[6]- كتاب الصناعتين، ص139
[7] - الوساطة، ص360

وهو صاحب الصناعة، ورد مرة واحدة في قوله: « ولا بد لكل صانع من فَتْرَةٍ»[1].

المصنوع:

المصنوع هو الكلام المنمق والموشح بأنواع البديع[2]. ورد هذا المصطلح مرة واحدة وهو خلاف المطبوع عند القاضي كما في قوله: « ومتى أردت أن تعرف ذلك عياناً، وتستثبته مواجهة، فتعرف فرق ما بين المطبوع والمصنوع »[3].

المصنوعة:

المصنوعة مؤنث المصنوع، وردت مرة واحدة في تعليقه على قصيدة، لأبي الطيب فيقول: « وهذه القصيدة كلها مختارة، لا يعلم لأحد في معناها مثلها...وقد اخترع أكثر معانيها، وسهل ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة، وهذا القسمُ من الشعر هو المطمع المُؤيس»[4].

اقترن مصطلح الصنعة والتصنع عند القاضي بإحدى الصفتين(صفة ايجابية)أو(صفة سلبية) فمن جهة كان استعماله لمصطلح الصنعة إيجابي وحبذا وجودها في الشعر، نجده من جهة أخرى يمقت التصنع وهو المبالغة في الصنعة إلى درجة التكلف.

الطبع
(المطبوع-الطبائع)

الطبع: « الطَبعُ والطَبِيعَة، الخليقة والسجية التي جبل الإنسان عليها»[5]، واعتبرت« الطِّبَاعُ: كالطبيعة مؤنثة، ويجمع طَبعُ الإنسان طِباعاً، وهو ما طُبِعَ عليه من طِبَاعِ الإنسان

---

[1]- المصدر نفسه، ص344

[2]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3ص265

[3]- الوساطة، ص31

[4] – المصدر نفسه، ص109

[5]- مختار الصحاح، مادة (طبع)

في مأكله ومشربه، والطَبعُ: ابتداء صنعة الشيء، نقول: طَبَعتُ اللبنَ طَبعَاً، وطَبَع الدراهم والسيف يطبعُهُ طَبْعَاً: صاغه، والطَّباعُ: الذي يأخذ الحديدة المستطيلة فيطبع منها سيفاً أو سكيناً، والطَبعُ: الختم وهو التأثير في الطين ونحوه، والطَّبعُ: بالكسر النهر وجمعه أطبَاع»[1]. ويقال:« الطَبْعُ هو نَقْشُ النَفْسِ بِصُورَة مَا إمَا مِن حَيثُ الخِلقَة وإمَا مِنْ حَيْثُ العَادَة»[2]. وقيل: « التَّطْبيعُ: التَّنْجِيسُ، وتَطَبَّعَ بِطباعِهِ: تَخَلَّقَ بأخلاقِهِ»[3]، و الطَبْعُ: « نهايةٍ ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها يقال طَبَعتُ على الشيء طَابعاً»[4].

وفي الاصطلاح: هو «الاستعدادُ الفطري والموهبة الربانيةُ التي تجعلُ الإنسان ذا سِماتٍ مميَّزة»[5]، وفي «الشعر هو نقيض الصنعة والتكلف في الشعر، والشعر المطبوع، عند النقاد العرب، هو ما أتى على الشاعر عفواً، دون تكلف أو تصنع»[6].

ولعل الأصمعي من أوائل النقاد الذين استعملوا هذا المصطلح النقدي، فقد كان « يعيب الحطيئة ويتعقبه...وليس هكذا الشاعر المطبوع. إنما الشاعر المطبوع هو الذي يرمي بالكلام على عواهنه، جيده و رديئه»[7]. فالمطبوع من الشعر عند القدامى هو ما أتى على بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة.

في اصطلاح (الوساطة):

الطبع:

تكرر هذا المصطلح ست وعشرين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، كان في تسعة منها معرفاً، والطبع عند القاضي الجرجاني جاء بمعنيين:

أ- الطبع بمعنى الفطرة والسجية التي يخلق الإنسان عليها، لقوله: « وليس يطالب البشر بما ليس في طبع البشر، ولا يلتمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم»[8].

1- لسان العرب، مادة (طبع)
2- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(طبع)
3- القاموس المحيط، مادة(طبع)
4- مقاييس اللغة، مادة (طبع)
5- المعجم المفصل في الأدب، ص599
6- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص224
7- فحولة الشعراء، الأصمعي، تح: محمد عبد المنعم خفاجي وزميله، المنيرية القاهرة، 1953م ص48-49
8- الوساطة، ص13

ب- الطبع بمعنى الموهبة الشعرية، ولا يعني القاضي بكل طبع موهبة بل الطبع:« المهذب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلته الفطنة، وألهم الفصل بين الرديء والجيد، وتصور أمثلة الحسن والقبح »[1]، وما اجتنب فيه التصنع لأن« مع التكلف المقت وللنفس عن التصنع نفرة، وفي مفارقة الطبع قلة حلاوة وذهاب الرونق، وإخلافُ الديباجة»[2].

ويربط القاضي سلامة اللفظ، وحلاوة الكلام ودماثته، بسلامة الطبع، فيقول: « فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق»[3] .

وعد القاضي الغزل من أغراض الشعر التي إن أُحكم فيها الطبع وبعد صاحبها عن التصنع، ملك ناصية الشعر واقتدر فيه، يقول القاضي: « وترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم، والغزل المتهالك، فإن اتفقت لك الدماثة والصبابة، وانضاف الطبعُ إلى الغزل، فقد جُمِعت لك الرقةُ من أطرافها»[4].

ويبين أثر تراوح شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة بين التكلف والطبع، فيقول: « وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبعه، فينظم أحسن عِقد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة حتى تعارضه تلك العدة السيئة فيتسنم أوعر طريق، ويتعسف أخشن مركب، فيطمس تلك المحاسن»[5]. فمحاسن الطبع في الشعر يطمسها التكلف ويخفيها.

المطبوع:

ورد هذا المصطلح في الوساطة ثلاث مرات (مذكراً معرفاً)، ومرة واحدة (مؤنثاً منكراً)وفي كل هذا جاء بمعنيين:

أ- جاء بالمعنى الأول للطبع، فالمطبوع من الناس من يتعامل وفق سجيته وفطرته، كما

---

[1]- المصدر نفسه، ص31

[2]- المصدر نفسه، ص25

[3]- المصدر نفسه، ص25

[4]- المصدر نفسه، ص25

[5]- المصدر نفسه، ص28

في قوله: « فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية»[1]، وقوله: « هذا البدوي المطبوع »[2]، فالمطبوع هنا صفة يخص بها بعض الشعراء.

ب- جاء بالمعنى الثاني للطبع أي خلاف الصنعة، وهذا في تعليقه عن قصيدة مختارة للمتنبي فيقول: « قد اخترع أكثر معانيها، وسهل في ألفاظها، فجاءت مطبوعة مصنوعة. وهذا القسم من الشعر هو المطمع المؤيس»[3]. وكلا المعنيين لا يخرجان عن المفهوم الثاني الذي أوردناه لطبع.

المطبوعين:

جمع مطبوع، وقد ورد مرة واحدة في الوساطة، وهذا المصطلح لقب أطلقه القاضي على أبي نواس وأبي تمام في قوله: « وإنما خصصت أبا نواس وأبا تمام لأجمع لك بين سيدي المطبوعين»[4].

الطبائِع:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي يختلف عن ما نعرفه كما يقول محمود السمرة: « وكلمة الطبائع في هذا المقام، تعني شيء آخر غير ما عرفنا، إنها هنا تعني المزاج النفسي»[5]، فالقاضي يدرك الصلة بين مزاج الإنسان ولغته، فقد أدرك القاضي الناقد أن شعراء العرب يختلف بعضهم عن بعض، فيقول: « وقد كان القوم يختلفون في ذلك، وتتباين فيه أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الأخر ويرق لفظ أحدهم، ويتوعر منطق غيره»[6]، ويرد هذا التباين إلى: « اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع، ودماثة الكلام بقدر دماثة

---

[1]- الوساطة، ص23
[2]- المصدر نفسه، ص54
[3]- المصدر نفسه، ص109
[4] – المصدر نفسه، ص77
[5]- القاضي الجرجاني الأديب الناقد، ص138
[6]- الوساطة، ص24

الخلقة...»[1]، ولم يخرج عن هذا المعنى في قولـه: « وإنمـا مـداره علـى استشهاد القرائـح الصافيـة، والطبائـع السليمة، التي طالت ممارستها للشعر»[2].

فالطبع في الشعر عند القاضي هو الذي يأتي عفو الخاطر سهل اللفظ وحلوه، والذي يكون بلا كد وجهد وإعمال للفكر. كما وضع له شروط كالفطنة والفصل بين الجيد والرديء، والتفريق بين الحسن والقبح ومعرفة صور كل منها

[1]- المصدر نفسه، ص24

[2]- الوساطة، ص91

العُجمَة

(العَجم- أعجمي- الأعجمية- المعجم-مستعجم)

العُجمَة: « عدم الإبانة والإفصاح، ومن ذلك قولهم: العجمة خلاف الإبانة»[1]، و« العُجمَة انعقاد اللسان عن الكلام»[2]، و العُجمَة عند ابن منظور « بضم العين لُكْنَة وَعَدَمُ فَصَاحَة وهي أيضاً بضم العين الحُبْسَة في اللسان»[3]، والعجمة: « حبةُ العنب حتى تنبت والعَجَمة بالتحريك: النخلةُ تنبُت من النواة، وعُجْمَةُ الرمل كَثرته، وقيل: آخره وقيل: عُجْمتُه وعِجمتُه ما تعقَّد منه. ورملةُ عَجْماءُ: لا شجرَ فيها»[4].

وفي الاصطلاح: « كونٌ الكلمة على غير أوزان العرب، وليست عربيةٍّ»[5]، وهي « عدم الإبانة بالعربية، أي التكلم باللسان الأعجمي، كأن كل من ليس بعربي اللسان فهو بالنسبة لسامعه العربي أعْجَمُ غير مبين. من ثم قيل للبيئة الأعجمية اللسان موضع العُجمة، وللبيئة العربية موضع الفصاحة»[6].

في اصطلاح (الوساطة):

العجمة:

مصطلح العجمة ورد مرة واحدة في كتاب الوساطة، و معناها عند القاضي الجرجاني هو ضعف الإبانة بالعربية والركاكة والخطأ في استعملها، وقد ظهرت العجمة عند العرب مع انتشار الإسلام، واتساع ممالك العرب، وكثرت الحواضر، واختلاط العرب مع العجم، كما يقول: « فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان، وقلة نُبُو السمع عنه وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل، حتى تسامحوا ببعض اللحن، وحتى خالطتهم الركاكة

1- المفردات في غريب القرآن، مادة (عجم)
2- المصباح المنير، مادة (عجم)
3- مختصر الصحاح، مادة(عجم)
4- لسان العرب، مادة(عجم)
5- المعجم المفصل في الأدب، ص619
6- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص195

والعجمة، وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الأخلاق»[1]، فللحضارة والتمدن دور كبير في انتشار العجمة والركاكة واللحن عند العرب.

العجم:

العجم هم الذين لا يفصحون ولا يُبينون كلامهم وإن كانوا عرباً من حيث النسب[2].

وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة، في قوله: « غير أني أرى استعمالها وأمثالها غير محفوظة لأني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العجم، إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن وإتمام القافية، وقد تجاوزوا ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه»[3].

الأعجمي:

أعجمي من جنس العجم أفصح أو لم يفصح، وجمعه عَجَمُ، ورجل أعجمي وأعجم إذا كان في لسانه عُجمَة[4]، وفي التنزيل: (❽♑🔔⅄✎☙✂ ➲♍☙✿○♑ℯ𝓇♐✆ ③⇖▪▫◆⬁⑨←❐♍☙ ✆♑✆⑩⬂○♑ 📖❐⇖⇳➚⍓☺♑❻✍ ❐◆♎⍓⌚⓿☒✂✆♑○✿☙♌➘⇖◆❷◆🗁♑⑥✍👌❿⌨♑✓▫⬇)[5].

وفي الاصطلاح: هو الإنسان المسلم من غير العرب. ويكون عادة من الفرس أو الترك، وقد يكون اللفظ الذي دخل العربية من لغة أخرى[6].

وقد ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً) بمعنيين:

أ ـ الأعجمي الذي لا يفصح بالعربية ولو كان عربياً، ورد في قوله: « يشتركُ فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم»[7]، فخلاف الفصيح الأعجم، وقوله: « ومتى شئت أن ترى ما وصفته عِياناً، وتعلمه يقينا فاعترض أول عامي غُفل تستقبله، وأعجمي جلف تلقاه...»[8].

---

[1] – الوساطة، ص25

[2] – لسان العرب، مادة (عجم)

[3] – الوساطة، ص382

[4] – لسان العرب، مادة(عجم)

[5] – سورة النحل، الآية103

[6] – المعجم المفصل في الأدب، ص110

[7] – الوساطة، ص 161

[8] – المصدر نفسه، ص 162

ب- الأعجمي اللفظ الدخيل على العربية في قوله: « وهذا اسم أعجمي تكلمة به العرب ولم يحفظ عنهم جمعه... »[1]، وفي قوله: « إذا عربت أعجمياً ألحقته بكلامها، وأجرته في أبنيتها؛ ألا تراهم قالوا: مُهْرَق ومَهَارِيق، وبَلاَس بُلُوس، وبُستَان وبَساتِين»[2].

وقد مثل الجرجاني لكثرة استعمال الألفاظ الأعجمية عند العرب في أشعارهم، رغم وجود ما ينوبها في العربية، فيقول: « كما سموا الحمل بَرَقاّ، مع كثرة أسماء الغنم عندهم»[3]، ومثل لهذا بقول التغلبي:

وكنا إذا القيسي نَبَّ عَتُوده ضَرَبْناه دون الأنْثَيين على الكَرْدِ

ويعلق عنه بقوله: « أراد الكَرْدَان، وهو العُنق، فأقام به القافية»[4]، ويورد قول آخر:

قد علمت فارس حِميَر والأعـ ـرابُ بالـدَّشْـت أيُّـهم نَـزَلا

يعلق عنه: « أراد الدَّشت وهو فارسي وأسماؤه عند العرب كثيرة »[5].

ويعيب القاضي عن أبي نواس فرط استعماله الألفاظ الأعجمية، فيقول: « وقد أفرط أبو نواس حتى استعمل زنمرده، وبازبنده، وباركنده، وغير ذلك»[6].

الأعجمية:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وأعجمية مؤنث أعجمي و أتت بمعناه الثاني وقد فرض تأنيثها السياق الذي وردت فيه، وكان هذا في حديث القاضي عن كيفية تعامل العرب مع جمع الأسماء الأعجمية، فقال: « فلما احتاج المولدون إليه أجروه على أصل الجموع وتبعوا فيه عادة العرب في الأسماء الأعجمية، نحو سرداق وسرداقات وخان وخانات»[7]، وفي قوله: « فإذا كانت عربية فباب جمعها معروف ، وإن كانت أعجمية...»[8].

المعجم:

---

[1]- المصدر نفسه، ص368

[2]- المصدر نفسه، ص369

[3]- الوساطة، ص382

[4]-المصدر نفسه، ص382

[5]- المصدر نفسه، ص382

[6]- المصدر نفسه، ص 383

[7]- المصدر نفسه، ص368

[8]- المصدر نفسه ، ص369

المعجم هو كتاب يظم أكبر عدد من مفردات لغةٍ ما مقرونة بشرحها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً على مخارج الأصوات أو حروف الهجاء أو الموضوع[1].

وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة في قوله: « ثم حاول أن يـقوم قصـيدة، أو يقرض بيتاً
يقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أسره، وصلابة معجمه لوجده أبعد من العَيُّوق مُتناولاً»[2]، ومعنى كلمة معجم في هذا الاقتباس هو الزاد أو المخزون اللفظي الذي يمتلكه الشخص ونوعيته.

مستعجم:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في كتاب الوساطة، بمعنى العجمة أي ضعف الإبانة بالعربية والركاكة في استعملها؛ وإن كان المتكلم بها عربي، وهذا ما استخلصنها من قول القاضي: « فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدة من يقرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول، والأمر مُدَبِر، وأكثر العرب مستعجم؛ فما ظنكَ بهم والعربُ عرب والدارُ خالصة لهم، والحضر بعيد منهم»[3].

كان كلام القاضي عن أثر البيئة واتساع ممالك العرب نتيجة انتشار الإسلام واختلاط العرب بشعوب أخرى، منفذاً ليطرح مصطلح العجمة التي تفشت بين الشعراء العرب فاستخدموا ألفاظ أعجمية رغم وجود ما ينوب عنها في العربية.

[1]- البحث اللغوي عند العرب، احمد مختار، عالم الكتب بيروت (د.ط) 1988م ص181م

[2]- الوساطة، ص24

[3]- المصدر نفسه، ص142

الغلط

(أغاليط)

الغلط: « أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غَلِطَ في الأمر يَغْلَطُ غَلَطاً، وأغلَطَهُ غيره، وقد غالِطَة مُغَالَطَة، والمَغْلَطة والأُغلُوطَة، الكلام الذي يُغلَطُ فيه ويُغَالَطُ به»[1]، وقيل: «غَلِطَ في الأمر من باب طَرِبَ، وأغْلَطَهُ غَيرُهُ، والعرب تقول غَلِطَ في مَنْطِقِهِ وغَلِتَ في الحساب، والأُغْلُوطَةُ: ما يُغَّلطُ به من المسائل»[2]، و« المِغْلاطُ: الكثيرُ الغَلَطِ والتَّغْليطُ: أن تقول له غلِطّتَ»[3]، والغَلَطُ: « خلاف الإصابة. يقال: غَلِط يَغْلَط غَلَطاً. وبينهم أُغلُوطَةٌ، أي شيءٌ يُغَالِطُ بِه بعضُهم بعضاً»[4].

وفي الاصطلاح: « هو الأخطاء التي يقع فيها الشعراء في بعض معاني وألفاظ أشعارهم وكتب النقد تذكر أمثلة كثيرة مما وقع فيه الشعراء من غلط، مثل قول زهير:

فينتج لكم غلمانَ أشأمَ كلهم كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

أراد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة، وكقول بعض العرب في الحماسة:

وبيضاء من نسج ابن داود نثرة تخيرتُها يوم اللقاء الملابسا

وإنما الدرع من نسج سليمان لا داود»[5].

في اصطلاح (الوساطة) :

الغلط:

---

[1]- لسان العرب، مادة (غلط)
[2]- مختار الصحاح، مادة (غلط)
[3]- القاموس المحيط، مادة (غلط)
[4]- مقاييس اللغة، مادة(غلط)
[5]- البديع في نقد الشعر، ص141

تكرر هذا المصطلح اثنا عشرة مرة في الوساطة، كان في أربع منها (معرفاً)، ومعناه عند الجرجاني هو الزلات والهفوات وما ينتج عنها من أخطاء يقع فيها الشعراء في معاني أشعارهم وألفاظها، فيقول: « ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأي عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يَهْفُ ولم يسقط!»[1]، وقوله: « وما كان القدماء يتبعونه
في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى»[2]، وقوله: « ورأى بقراط هو المُقَدَّم
في الطب ضرب به المثل في ذلك، وهو ليس بأكبر من غلط العربي في اسم داود عليه السلام إلى اسم ابنه سليمان عليه السلام، ثم غلطه في اسمه حتى يجعله مرة سَلاَّماً، ومرة يسميه سُليماً»[3].

ويُعلق الجرجاني عل غلط المسيب ابن علس وطرفة، في قول الأول :

وكأن غَارِبَها رُباوة مَخْرِمِ   وتَمُدُ ثِني جَدِيلها بشَراع

فيقول: « أراد تشبيه العنق بالدقل فغلط، كما غلط طرفة في السُّكان فقال:

وأتلع نهاض إذا صعدت به   كسُكان بُوصِي بدَجلَة مُصعِدي

إنما يريد الدقل، وقول آخر :

وكلُ صَمُوتٍ نَثَّلةٍ تُبَّعيَّةٍ   ونسجُ سُلَيمٍ كل قَضَّاء ذائِلِ

أرادا داود فغلطا إلى سليمان، ثم حرف اسمه إلى سليم»[4] .

أغاليط:

أغاليط جمع غلط لغة واصطلاحاً، ورد مرة واحدة في قوله: « ثم عدتَ إلى ما عدده العلماء من أغاليطهم في المعاني»[5]، ويمثل لهذا النوع من الغلط بقول امرئ القيس:

و أَرْكَبُ في الروعِ خَيْفَانة   كسا وَجهَها شعْرٌ مُنتَشِرِ

ويعلق عليه بقوله: « وهذا عيب في الخيل»[1]، كما يورد قول زهير:

---

[1]- الوساطة، ص 13
[2]- المصدر نفسه، ص17
[3]- الوساطة، ص391
[4]- المصدر نفسه ، ص20
[5]- المصدر نفسه، ص18

يَخرُجن من شَرَباتٍ ماؤُها طَحِلُ على الجذوعِ يَخَفْنَ الغم والغرقَا

يعلق القاضي: « والضفادع لا تخاف شيئاً من ذلك»[2].

الغلط عند القاضي الجرجاني شائع عند كل الشعراء باختلاف طبقاتهم ومكانتهم الشعرية فلم يسلم منه أحد منهم سواء كان الغلط في المعاني أو الألفاظ.

الفساد

(الفاسد– فاسدة)

الفساد: « نقيض الصلاح، فَسَدَ يَفسُدُ وفَسُدَ فَساداً فهو فاسدُ، ولا يقال انفَسَد وأفسَدتُه أنا وقوله تعالى: (←♦♑⧉❷♦ ✁♐♋⧉⧉⦿✿○☒⑩← ×♑❼
✁♐♋⧉⧉⑩❸⧉♑ ◻♦✁♐♋⧉⌨♦⇔❷⧉ ⧉♑☺⧉♐
⧉☒○✿⧗♦💣⇳ 📖❒③⬀⑨♑❽ ♐⧉☪◻♐◻⮳) [3]، والفَسَادُ هنا: الجدب في البر والقحط في البحر، ويقال أيضاً: أفسَدَ فلان المال يفسِدُه إفسَاداً وفَسَاداً والله لا يحب الفَسَاد، وفَسُدَ الشيء إذا أبَارَهُ، والفسَادُ هو الاختلال والاضطراب»[4]، وقيل: « الفَسَادُ خُرُوجُ الشَيءِ عَن الاِعتِدَال قَلِيلاً كَان الخُرُوج عَنهُ أو كَثِراً»[5]، وقيل: « الفَسَادُ أخذ المال ظلماً، والمَفسَدَةُ: ضد المَصلَحَةِ، وتَفاسَدُوا: قَطَعوا الأرحامَ»[6].

و في الاصطلاح: لم يخرج عن هذه المعاني في النقد الأدبي القديم، قال ابن سلام: « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء محمد بن إسحق بن يسار»[7]، فالفساد عند

1– المصدر نفسه، ص18

2– المصدر نفسه، ص18

3– سورة الروم، الأية41

4– لسان العرب، مادة (فسد)

5 – معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (فسد)

6 – القاموس المحيط، مادة (فسد)

7– طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تح: محمود شاكر، دار المعارف، مصر،1952م ص7

الجمحي في الرواية. وقيل: « الفساد أن يورد الشاعر المعاني ويزيد فيها أو ينقص منها شرحها»[1].

في اصطلاح (الوساطة):

الفساد:

ورد هذا المصطلح ثلاث عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والفساد عند القاضي الجرجاني يكون في الرواية والمعنى:

أ- أما الفساد في الرواية فهو نتيجة لفساد اللسان، يقول: « ممن نحل القدماء شعره فاندمج في أثناء شعرهم... وصعب على أهل العناية إفراده وتعسره...وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِر، الاحتجاجُ بالشعر، وانقضى من جعله الرواة ساقة الشعراء»[2]، فيذكر القاضي حماد وخلف وبن دأب، وهم ممن أفسدوا الشعر بإدخالهم ما ليس

منه في روايته.

ب- أما فساد المعنى عند الجرجاني فهو نتيجة لاختلاله واضطرابه، يقول: « وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى»[3]. وقوله أيضاً: « فأما المختل المَعِيب، والفاسد المضطرب، فله وجهان: ...وهو ما كان اختلاله وفساده من باب اللحن والخطأ من ناحية الاعراب واللغة...والآخر غامض يوصل إلى بعضه بالرواية»[4].

فالقاضي في هذا الاقتباس يضعنا أمام وجهين للفساد والغلط أحدهما نتيجة لاختلال المعنى واضطرابه، والآخر لغموض بعض الرواية في الشعر.

فساد المذهب:

---

[1] – معجم المصطلحات العربية هي اللغة والأدب، ص273

[2] – الوساطة، ص24

[3] – الوساطة، ص17

[4] – المصدر نفسه، ص342-343

وقصد به القاضي فساد عقيدة ودين الشاعر، وهذا ما أتهم به المتنبي لأبياتٍ قالها، فيرد القاضي: « والعجب ممن ينقص أبا الطيب، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة»[1].

فساد الترتيب:

وهو الإخلال بنظم البيت، مما يؤدي إلى إحالة الكلام عن وجهه، ذكره القاضي في تعليق عن بيت أبي تمام الذي فيه:

يَدِي لمن شاء رَهْنُ لم يذُق جَرعاً مِن راحتيك دَرَى ما الصَّابُ والعَسَل

يقول: « فحذف عمدة الكلام ، وأخل بالنظام؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن(إن كان) لم يذق. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه»[2]. كما يدخل في فساد الترتيب قوله: «...ويشح عليها حتى يُهَلهِلَ لأجلها النسج، ويُفسد النظم...»[3]. ففساد النسج والنظم في الشعر نتيجة لفساد ترتيب الألفاظ والمعاني.

فساد اللغة:

وهو حسب رأى القاضي نتيجة لاختلاط العرب بالعجم، فدخل على اللسان العربي ما ليس منه، يقول: « ومتى اتبع فيها الرخص، وأجريت على المسامحة، أدت إلى فساد اللغة واختلاط الكلام»[4] ، ففساد اللغة كان نتيجة لدخول ألفاظ أعجمية فيها، رغم وجود مقابلات لها في العربية.

الفَاسِد:

ورِد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، كان منها ما جاء في حديث القاضي الجرجاني عن فساد بعض شعر أبي نواس كما في قوله:

وأخَفتَ أَهلَ الشِركِ حتى إنَّه لتخافُكَ النُّطَفُ الَّتي لم تُخلَق

يعلق القاضي: « فهو من المحال الفَاسِد، وله باب غير هذا، وكل هذا عند أهل العلم معيب مردود»[5]، و قوله: « فأما المختل المعيب، والفاسد المضطرب»[1].

---

[1]- المصدر نفسه، ص62

[2]- المصدر نفسه، ص75

[3]-المصدر نفسه، ص90

[4]- الوساطة، ص359

[5]- المصدر نفسه، ص354

فاسدة:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة وكانت نكرة وهذا في قوله: « فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدة من يغرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول والأمر مُدبِر، وأكثر العرب مستعجم»[2].

واستخدام القاضي لمصطلح الفساد تراوح بين أمرين، مرة استخدمه بمعنى الاختلال والاضطراب وهو فساد في المعنى ومرة اعتبره فساد في اللسان وقصد به فساد الرواية.

الفِكْر

(الفِكْرَةُ-الأفكار)

الفكر: قال ابن فارس: « الفاء والكاف والراء: تَرَدُّدِ القلْبِ في الشيء، يقال تفكَّر إذا ردَّد قلبه مُعْتَبِرا»[3]، وقال غيره: « التفكر: التأمُّل، والاسم الفِكْر والفِكْرة و الفِكْر ما عدا البديهة»[4]، و «الفِكْر تردد القلب بالنظر، والتدبُّرِ لطلب المعاني»[5]، و« الفكر إعمال الخاطر في الشيء ... والفكرة كالفكر... و من العرب من يقول: الفكر: الفكرة»[6]، و « لفلان فِكّر كلها فِقَر، ومازالت فِكْرتك مَغّاص الدُّرَر»[7].

---

[1]- المصدر نفسه، ص342

[2]- المصدر نفسه، ص142

[3]- مقاييس اللغة، مادة (فكر)

[4]- تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (فكر)

[5]- المصباح المنير، مادة (فكر)

[6]- لسان العرب، مادة (فكر)

[7] - أساس البلاغة، مادة (فكر)

أما في الاصطلاح: هو «إعمال الذهن المرة تلو الأخرى لبيان أو تبيين معنى ما»[1].

وقيل: « الفكرة هي الخاطرةُ التي تطرأ على الإنسان، والتصورُ الذهني لمعالجة قضيةٍ منبعثةٍ من العالم الخارجي، وأساسها العقلُ المحكم»[2]، وهو« استعدادُ عقلي يعين على المحاكمة والتأمل والتميز»[3].

في اصطلاح (الوساطة):

الفكر:

تكرر هذا المصطلح في اثني عشر موضعاً(معرفاً ومنكراً)، وقد جاء بمعنيين عند القاضي الجرجاني:

أ- الفِكْر بمعنى الذهن الذي يُعْمَل ويُجهَد مرة تِلوَ الأخرى لبيان أو تبين معنى ما، وقد ورد بهذا المعنى في قول الجرجاني: « فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل القلب، إلا بعد إتعاب الفكر، وكدَّ الخاطر، والحمل على القريحة»[4]. وهذا غريب مما جاء في كلام متحدث عن الخطابة عند العرب: « وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فِكْر ولا استعانة »[5]، ونجده بهذا المعنى أيضا في قول القاضي: « فيجد العائب طريقاً إلى إلى عيبه ولكنه لُطف في الفكر فتوصل به إلى استخراج ما غمض على غيره»[6]، فالمقصود بالفكر في هذا الاقتباس الذهن، كما يقول: « ولو بلغ في علم العرب كل مبلغ، وحمل على فكره فوق الطاقة»[7]، فهناك حدود لطاقة الذهن لا يحتمل فوقها.

وقوله في خاتمة كتابه الوساطة: « فإذا زادنا النظرُ والفكرُ والمطالعةُ بعض ما يليق به أضفناه إليه، وإن أفادنا غيرنا منه ما قصُرَ علمنا عنه استفدناه وأعظمنا النعمة منه»[8].

ب- الفكر بمعنى إعمال الذهن مرات متتالية لتوضيح أو تبين معنى ما، ونجده في قوله: « وهذا باب بحاجة إلى إنعام الفِكر، وشدة البحث، وحسن النظر، والتحرز من الإقدام قبل

---

[1]- مصطلحات نقدية وبلاغية، ص208
[2]- المعجم المفصل في الأدب، ص691
[3]- المعجم الأدبي، ص195
[4]- الوساطة، ص26
[5]- ينظر: مصطلحات نقدية وبلاغية، ص210
[6]- الوساطة، ص76
[7]- المصدر نفسه، ص347
[8]- المصدر نفسه، ص396

التبين»[1]، وهذا يوافق ما جاء في تأديب عبد الله بن الحسن بن الحسن لولده: « واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها القول، فإن للقول ساعات يضر فيها الخطأ، ولا ينفع فيها الصواب»[2]، ونجده بهذا المعنى أيضاً، أو أكثر وضوحاً، في قول القاضي: « ومتى أجهد أحدُنا نفسه، وأعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً»[3].

الفكرة:

الفكرة هي الفِكْر بمعنييه السابقين تقريباً، وقد وردت مرة واحدة في كتاب الوساطة، عند الحديث عن السهل الممتنع من شعر البحتري: « ويتبين فيه أثر الاحتفال، وعليك بما قاله عن عفو خاطره، وأوَّل فكرته»[4].

ويمثل للفكرة التي تأتي عن عفو خاطر بقول البحتري:

أُلامُ على هواكِ وليس عدلاً إذا أحبَبْتُ مثلكِ أن أُلام

والفكرة في هذا الاقتباس جاءت بالمعنى الثاني للفكر، أي بمعنى إعمال الذهن وإجهاده في التدبر مرات متتالية حتى يصل إلى مراده.

الأفكار:

الأفكار جمع فكرة، ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، كقول القاضي: « ولم يرضى بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية، فاحتمل فيها كل غث ثقيل، وأرصد لها الأفكار بكل سبيل»[5]، وقوله في تعليقه عن قصيدة جمعت أبياتها من رجال مختلفين: « ثم نظمها قصيدة، وإذا سبب ذلك التباين تفاضلُ القرائح، واختلافُ الأفكار والهواجس»[6].

[1] – المصدر نفسه، ص180
[2] – البيان والتبيين، ج1ص332
[3] – الوساطة، ص 185
[4] – المصدر نفسه، ص396
[5] – الوساطة، ص26
[6] – المصدر نفسه، ص142

فالفكر وما تبعه من اشتقاقات عند القاضي وسيلة الشاعر لتخير المعاني وتبيين الملائم منها من عدمه.

القلب

(مقلوب)

القلب: « تحويل الشيء عن وجهه، قَلَبَه يَقلبُهُ قَلباً وإبداله وتغيره، وقلب الشيء وقلبه، حول ظهراً لبطن، وتَقَلب ظهرا لبطن وجنباً لجنب: تحول»[1]، وقيل: « القَلْبُ الفُؤَادُ، وقد يعبر عن العقل. قال الفراء في قوله تعالى: (✆➰☺⌂♊ 📫☒🔔♌♦ ✆➰♦❍🡸🕛 🔔♦▣▫▣🡼 ✎) [2] أي كان له عقل. وقَلَب القَومَ صَرَفَهم، وقَلْبُ النخلة لُبُّها، والقَلِيبُ البئر قبل أن تُطْوَى»[3]، وقِيلَ: « قَلْبُ الشَيءِ تَصريفُهُ وصَرَفُهُ عَن وَجْهٍ إلَى وَجهٍ كَقَلبِ الثَوبِ[1]، وتَقَلَّبَ في الأمورِ: تَصَرَّفَ كيفَ شَاءَ»[2]، و« القلب: رَدِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهة»[3].

1– لسان العرب، مادة (قلب)

2– سورة ق، الأية37

3– مختار الصحاح، مادة (قلب)

و في الاصطلاح: « يعد من السرقات الشعرية غير الظاهرة، وهو أن يأخذ الثاني عن الأول معناه فيقلبه إلى نقيضه»[4]، أو هو « الخروج عن مقتضى الظاهر وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الأخر، والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر»[5].

في اصطلاح (الوساطة):

القلب:

ورد هذا المصطلح تسعة وثلاثين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، و قصد به القاضي أمرين:

أ- قصد بالقلب أن يأخذ الثاني عن الأول معناه فيقلبه إلى نقيضه، وجاء بهذا المعنى ثلاث عشرة مرة من مجموع مرات ورود هذا المصطلح، وعده القاضي الجرجاني من أنوع المناقضة التي لجأ إليها الشعراء المحدثين لإخفاء سرقاتهم، يقول: « والسَّرَقُ -أيدك الله- داء قديم، وعيب عتيق...ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب»[6]، ويدافع الجرجاني عن

استعمال أبي الطيب للقلب في أشعاره بقوله: « قال بعض من يحتج عن أبي الطيب: إنه خرج مخرج القلب، وهو كثير في شعر العرب»[7]، ويمثل له بقول الأعشى:

وكل كميت كأنَّ السَّليـ ط في حيثُ وارى الأديمُ الشَّعارا

ثم يعلق : « يريد: حيث وارى الشعارُ الأديم، فقلب الكلام»[8]، وقول الشماخ:

منه ولدت ولم يُؤْشَبْ بها حسبي ليا كما عُصِبَ العلْبَاء بالعُودِ

ثم يعلق عن القلب في عجز البيت: « أراد كما عصبَ العود بالعلباء»[9]، ويورد قال آخر:

كـان الـزنـاء فـريضـة الـرجـم ....[*]

1- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (قلب)

2- القاموس المحيط، مادة(قلب)

3- مقاييس اللغة، مادة (قلب)

4- ينظر: معجم الشامل، ص675

5- معجم البلاغية العربية، ص561

6- الوساطة، ص185

7- الوساطة، ص388

8- المصدر نفسه، ص388

9- المصدر نفسه، ص388

*- لم يرد الشطر الثاني من البين ، ولم يشر له المحقق في الإحالة

يعلق عن القلب في شطر البيت بقوله: « أراد كان الرجم فريضة الزناء»[1].

كما ينبه القاضي عن بعض سرقات المتنبي التي جاءت على وجه القلب، فيقول: « ومن لطيفِ السَّرَق ماجاء به على وجه القلب، وقَصَد به النقض»[2]، ويمثل له بقول المتنبي:

أَأُحِبّهُ وأُحِبُّ فيه مَلاَمَة إنّ المـلامَةَ فيه من أعْدَائـه

إنما نقض قول أبي الشيص:

أَجِدُ المَلاَمة في هواكِ لذيذةً حبًّا لذِكْرِكِ فلْيَلُمني اللُّوَّمُ

فالقلب نوع من أنواع السرقات الشعرية غير الظاهرة.

ب- كما جاء القلب بمعنى الفؤاد، في ستة وعشرين موضعاً، من مجموع مرات وروده والقلب أو« العضو في الصدر وهو مركز الحياة والإحساسِ؛ فيرون فيه الجرأة والشجاعة والحدس والتفكير، ومنبع الشعر والإلهام»[3]، كما في قوله: « وعمَدوا إلى كل شيء ذي أسماء كُثيرة اختاروا أحسنَها سمعاً، وألطفّها من القلب موقِعاً»[4]، وفي قوله: « فصار هذا الجنسَ من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفِكر، وكد الخاطر»[5].

كما جاء بصيغة الجمع في تعليقه عن بيتٍ لأبي تمام فيقول: « وأبعد منْ أن يَرِف عليـه
رَيْحان القلوب»[6].

مقلوب:

والمقلوب من الشعر هو الذي وقع فيه القلب وقد ورد هذا المصطلح مرة واحدة في تعليقه عن قول المتنبي:

أَتَتْهُ المَنَايَا في طَرِيقِ خَفِيَّةٍ على كُل سَمْعٍ حَولَهُ وَعِيَانِ
وَلَوْ سَلَكتْ طُرْقَ السَّلاَح لَرَدهَا بطُولِ يَمِينٍ وَاتِّسَاعِ جَنَانِ

يقول القاضي: « ومقلوب هذا قول آخر»[7]، ثم يورد قول الشاعر الذي قلب بيتي المتنبي:

1- الوساطة، ص388
2- المصدر نفسه، ص179
3- المعجم المفصل في الأدب، ص713
4- الوساطة، ص25
5- المصدر نفسه، ص26
6- الوساطة، ص27
7- المصدر نفسه، ص325

دَفّعنَا بكَ الأيَامَ حَتَى إِذَا أَتَت   تُرِيدُك لم نَستَطِع لَهَا عَنكَ مَدْفَعَا

فمصطلح القلب عند القاضي الجرجاني نوع من السرقات، التي تعمد إلى إخفاء الأخذ بقلب المعنى إلى النقيض، وتحويل الشيء عن وجهه بأن يأتي الشاعر إلى معنى لغيره فيأخذه ويقلبه، وفيه دلالة على الاقتدار في الكلام والإغراق.

الكشف

(استكشف–منكشف)

الكشف: «رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، كَشَفَهُ يكشِفُهُ كَشْفاً وكَشَفَهُ فاتكَشَف، و رَيطُ كَشيفُ: مَكشُوف أو مُنكَشِف، وكَشَفَ الأمر يَكشِفُهُ كَشْفاً: أظهره، وكشَفَهُ عن الأمر: أكرهه على إظهاره»[1]، ويقال:« كَشَفْتُ الثَوْبَ عَنْ الوَجْهِ، ويقالُ: كَشَفَ غَمّهُ»[2]، وقيل: « كَشَفَتهُ

[1] – لسان العرب، مادة (كشف)
[2] – معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (كشف)

الكَواشِفُ فَضَحَتهُ، وتَكَشَّفَ: ظهر»[1]، والكشف: « سَرْوِ الشّيء عن الشَّيء، كالثَّوب يُسْرَى عن البدن»[2].

وفي الاصطلاح: « هو الإبراز والإظهار ويكون كشف المعنى و إبرازه بزيادة منه تزيده نصاعة وبراعة، ومثل ذلك أن امرأ القيس قال:

كبكر المقاناة البياض بصُفرة غذاها نميرُ الماء غيرَ المحلَّلِ

أخذ هذا المعنى ذو الرمة فكشفه وأبرزه وزاد فيه زيادة لطيفة فقال:

كحلاءُ في بَرَج صفراءُ في نَعَجٍ كأنها فِضّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

وقيل أيضا: هو أن يكشف المتبع معنى المبتدع إذا كان فيه شيء من الخفاء»[3]، قيل:« وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية»[4].

في اصطلاح (الوساطة):

الكشف:

ورد هذا المصطلح اثنا عشرة مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً) ، ومعناه عند القاضي الجرجاني هو إبراز وإظهار المعاني الخفية، فيقول: « فإن روعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم وإنما تفضي إلى المعنى عند التفتيش والكشف»[5]. وفي كلامه عن التعقيد في شعر المتنبي يقوله: « ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة، والتعقيد المفرط، فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة وأن في طيها الغنيمة الباردة؛ حتى إذ فتشها، وكشف عن سترها، وسهر ليالي متوالية فيها...»[6].

وفي باب السرقات الشعرية تطرق القاضي لمصطلح الكشف على اعتباره السبيل لإظهار السرقات وإبرازها، فيقول: « وكثيراً منكم لا يعرف من السرق إلا اسمه، فإن تجاوزه حصل على ظاهره، ووقف عند أوائله، فإن استُثْبت فيه، وكُشِف عنه، وجد عارياً من معرفة واضحهِ »[7]، ونجد الكشف بنفس المعنى- إبراز وإظهار ما خفي- في كلام القاضي عن

---

[1]- القاموس المحيط، مادة (كشف)
[2]- مقاييس اللغة، مادة (كشف)
[3]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3ص149
[4]- التعريفات، ص193
[5]- الوساطة، ص31
[6]- الوساطة، ص90
[7]- المصدر نفسه، ص161

الإفراط في الاستعارة: « وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه، واهتدت إلى الكشف عن صوابه أو غلطه»[1]. ومن الأبيات التي يرى القاضي أنها تحتاج إلى كشف وإظهار معانيها ماجاء في قول الشاعر:[2]

هَذي بَرَزتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

استكشف:

وردة هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء فيها بمعنى الإظهار و التوضيح في قوله: « فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية؛ ولا طريق للرواية إلا السمع»[3].

منكشف:

وردة هذا المصطلح مرة واحدة، وجاء فيها بمعنى الظاهر والواضح، في تعليقه على قول المَعْلَوط:

بـل رب مِـحْرار تجـاوزنـه ببسطة الهـامة والمِشْفَرَيْن
مأهولةُ الأرض إذا أصبحت مجدية الحيْزُوم و المِرْفَقّين

يقول القاضي: « البيت الأول منكشف المعنى، وأما الثاني فلا يعلم إلا وحياً أو سماعاً»[4].

فالكشف عند القاضي يعتمده النقاد لإظهار السرقات الخفية وإبرازها، كما يساعد الكشف الشعراء على التفتيش عن المعاني المناسبة لأشعارهم.

اللحن

اللحن: « إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية... وقد يحمل معنى الفطنة والذكاء»[5] وقيل: « اللحن الخطأ في الإعراب، ولحن: فطن، أو قال قولاً يفهمه عنه، ويخفى على غيره لانه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم، كقوله تعالى: 🗐 (❒◆◉♑♦☝♦➔⇗❷▩▫♦✡□♑←⚐⇦ ❼⚠✗ ◉♑♦♦⇔♊⇦
✂✍☾◑◕♦❒⇗✌☞ 🗐 ❒◆✂✍✦ ③♦➔⇗▣■⚐◐

---

[1]- المصدر نفسه، ص356
[2]- المصدر نفسه، ص385
[3]- المصدر نفسه، ص 23
[4]- المصدر نفسه، ص346-347
[5]- مقاييس اللغة، مادة (لحن)

🕮❐⬉⇳☺⌂⌚◘■▤⬈⌨✍⬀)[1]، أي في فحواه ومعناه»[2]، وجمعه« ألحان ولُحون، ولَحَنَ في قراءته إذا غرد وطرب فيها بأَلحَان، واللَحنُ: ترك الصواب في القراءة والنشيد، يقال: لَحَنَ يلْحَنُ لَحْناً ولَحناْ»[3]، وقيل: « اللحن: الخَطَأُ في القِراءةِ، ولَحَّنَهُ: خَطَّأَهُ»[4].

و في الاصطلاح: هو « الخطأ النحوي الذي يقع فيه الإنسان أثناء الكلام أو القراءة ويكون ذلك في الإعراب، أو في ترتيب كلمات الجملة ترتيبا يخالف قواعد اللغة، وقد يكون اللحن أيضا في نطق الألفاظ»[5]، وهو قسمان جلي وخفي : فالجلي: خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى والعرف كتغيير المبنى عما قسم له من حركة أو سكون، والخفي: هو خطأ يعرض للفظ ولا يخل بالمعنى بل بالعرف كتكرير الراءات وتطنين النونات»[6].

في اصطلاح (الوساطة):

اللحن:

ورد هذا المصطلح تسع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي هو الغلط نتيجة الخطأ في إعراب اللفظ وما يسببه من فساد في المعنى وخروج الكلام عن الاستعمال الصحيح في العربية، ولهذا يكون نُبُوُ النفس وعدم ارتياح القلب للشعر الذي به لحن، ونجد هذا فيم ذكره عند استعراضه لبعضٍ مما كان يجري بين الشعراء والنقاد، فيقول: « ثم استعرضت إنكار الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهها، وما جرى بين عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي والفرزدق في أقواله ولحنه في قوله:

فَلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلَى هَجَوتُهُ   وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

ففتح الياء من موالي في حال الجر، وما جرى له مع عنبسة الفيل النحوي حتى قال فيه:

لقد كان في مَعْدان والفيل شاغل   لعَنْبَسَة الرَّاوي عليَّ القصائِدا

وما كان القدماء يتبعونه في أشعار الأوائل من لحن وغلط وإحالة وفساد معنى، حتى قال البردخت لبعض النحويين:

---

[1]- سورة محمد، الأية30
[2]- المصباح المنير، مادة (لحن)
[3]- لسان العرب، مادة (لحن)
[4]- القاموس المحيط، مادة (لحن)
[5]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص316
[6]- الكليات، ص797

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغل وأنف كمثيلِ العُودِ مما تَتَبَّعُ
تَتَبَّــع لحــناً في كــلام مُــرَقَّشٍ وخَلْقُك مبنيٌّ على اللحن أجمع
فـعـينك إقـواء وأنفـك مُكْــفَأ ووجـهُك إطَـاء فـأنت المــرقَّع

وقول الأصمعي في الكميت: جُرمُقاني من جَراميق الشام لا يحتج بشعره، وما أنكره من شعر الطرماح، ولحن فيه ذا الرمة »[1]، فمن هذا الاقتباس نجد أن اللحن كان شائعاً بين الكثير من الشعراء العرب، مما جعل شعرهم لا يحتج به بين النقاد بسبب هذا اللحن.

وغالباً ما يكون اللحن عند القاضي مرادفاً للغلط والفساد في الشعر، فهي شوائب يعاب ويذم الشعر بسببها، يقول: « وإنما نقابل دعواك بإنكار خصمك، ونعارض حجتك بإلزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن، ونسبته إلى الإحالة والمناقضة، فأما وأنت تقول: هذا غث مستبرد، وهذا متكلف متعسف، فإنما تخبِر عن نُبُوُ النفس عنه، وقلَّةِ ارتياح القلبِ إليه»[2]، فاللحن والغلط أثر على نفس المستمع، تجعل قلبه لا يرتاح لم يسمع.

وقد مثل للحن في شعر أبي نواس بأمثلة كثيرة، فقال: « فإن طَلَب اللحنَ والغلط أُخذ عليه»[3]؛ مثل قوله:

وضَيْف كأس محدثهْ ملك تِيهُ مُغَنَّ وظَرْفُ زِنْديقِ

يعلق القاضي عن البيت بقوله: « فسكن الهاء، وقوله: يا ربِّيَ الجبار(فرفع)الجبار»[4].

وقوله:

فلما خشي الإيبا ء من صَحْبٍ وجلاسِ

يعلق القاضي: « وإنما هو الإباء»[5].

والإباء هو مصدر الفعل(أبى)، يقال: « أبى الشيءَ يَأْبَاهُ ويَأبِيْهِ إبَاءً وإبَاءةً بكسرهما: كرِهَهُ... »[6]، ولكن أبا نواس استعمل (الإيبَاءُ) بدلا من (الإبَاء) فعد الجرجاني هذا لحنا.

وذكر القاضي من اللحن الذي وقع فيه أبو نواس قوله:

[1]- الوساطة، ص17-18
[2] - المصدر نفسه، ص91
[3]- المصدر نفسه، ص61
[4]- المصدر نفسه، ص61
[5]- الوساطة، ص61
[6]- القاموس المحيط، مادة(أبى)

وإذا نزعت إلى الغواية فليكن ۞ لله ذاك النزع لا للناس

فقال بعد ذكر البيت: « وإنما هو نزع عن الشيء نزوعا»[1] .

وليس الجرجاني أول من خطأ أبا نواس في بيته هذا وإنها سبقه إلى ذلك ابن قتيبة الذي علق على هذا البيت بقوله: « وفي هذا حرف يؤخذ عليه وهو قوله: ذلك النزع، وكان ينبغي أن يقول: النزوع، يقال: نزعت عن الأمر نزوعاً. ونزعت الشيء من مكانه نزعا، ونازعت إلى أهلي نزاعا...»[2].

وفي حديثه عن ما عابه خصوم المتنبي في شعره، يقول: « وتصفحت هذا الديوان حرفاً حرفاً، واستعرضته بيتاً بيتاً، وقلبته ظهراً وبطناً، لم تزد عن أحرف تلتقطها، وألفاظ تمحلتها ادعيت في بعضها الغلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضها بتعسف والغثاثة، وبعضاً بضعف والركاكة»[3].

اللحن عند القاضي مما عيب على المتنبي؛ ورد القاضي بأن أورد نظائراً لهذه الأخطاء التي تعد لحناً عند غيره ممن يعدون من فحول الشعراء.

المُبالَغة

(بالَغَ-التَبلِيغ-أبلَغَ)

المبالغة: « بَالَغَ في الأمر: بذل الجهد في تتبعه، بَالَغَ فلان في امرى: إذا لم يقصر فيه، و بَلَغَ الشيء يَبلُغُ بُلُوغاً و بَلاغاً و صَلَ وانتَهَى، و أبلَغَهُ هو إبلاَغاَ وبَلَّغه تَبليغَاً، والإبلاغُ: الإيصال وكذلك التَبلِيغُ والاسم منه البَلاغُ وبَلَّغْتُ الرَّسالةَ، بلغَ يُبالغُ مُبالَغة وبَلاغاً إذا اجتهد

[1]- الوساطة، ص61

[2] - ينظر: المسائل النحوية والصرفية في كتاب الوساطة، ص25

[3]- الوساطة، ص77

في الأمر، والمُبَالَغَةُ: أن تَبلُغَ في الأمر جهدك، ويقال: بُلغَ فُلان أي جُهدَ»[1]، وقيل: « البُلوغُ والبَلاغُ الانتهاءُ إلى أَقْصَى المَقْصِدِ وَالمُنتهى»[2]، وقيل: « بَلَغَ المكان بُلُوغَاً وصل إليه وثناء أَبْلَغُ: مُبَالَغُ فيه[3]، وقولهم: تبلَّغَتِ القِلَّة بفلانٍ، إذا اشتدَّتْ»[4].

و في الاصطلاح: « فن من فنون الكلام ونوع من محاسنه، ومتى كانت جارية على جهة الغلو والاغراق فهي مذمومة»[5]، أو هي « وصف الشاعر بأكثر مما في الممدوح من صفات، أو وصف الفارس نفسه بصفات لا يقبلها العقل ولا المنطق. والمبالغة ممجوجة إذا كانت تتصف بالفيض الوصفي»[6]، وهي « أن يُدَّعى أن وصفاً بلغ في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً»[7]، وهي « ضربان: مبالغة بالوصف بأن يخرج حد الاستحالة ومبالغة بالصيغة»[8]، وتعد من المحسنات البديعية التي انقسم النقاد حولها، بين من ينادي بها ويؤثرها، وبين من ينكرها ويعيبها.

في اصطلح (الوساطة):

المبالغة:

وردة هذا المصطلح ثلاث مرات(معرفاً) في الوساطة، والمبالغة في معناها عند القاضي تدخل في باب الإفراط والإغراق في معاني القول بالزيادة والإسراف في المعنى والوصف لتأكيد، فنجدها في تعليقه عن أبيات بالغ أبو تمام في معانيها وأفرط: «... ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف؛ وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة»[9].

ويمثل للمبالغة بقول المتنبي:

لَوْ طَابَ مَولِدُ كلَّ حَيَّ مِثلَهُ   وَلَدَ النَّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ

---

[1]- لسان العرب، مادة (بلغ)
[2]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (بلغ)
[3]- القاموس المحيط، مادة (بلغ)
[4]- مقاييس اللغة، مادة (بلغ)
[5]- فنون بلاغية، ص283
[6]- المعجم المفصل في الأدب، ص751
[7]- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص327
[8]- الكليات، ص851
[9]- الوساطة، ص158

ويعلق عن البيت بقوله: « ولم يستغنى بطيب المولد عن القابلة؟ وإذا استغنى عنها كان ماذا؟ وأي فخر فيه؟ وأي شرف يناله؟»[1]. فالقاضي في هذا الاقتباس ينكر المبالغة، ويعيب ويعيب الإسراف فيها. وهذا يتفق مع ما ذهب إليه بعض النقاد بقولهم: « أن المبالغة ربما أحلت المعنى ولبسته على السامع، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد»[2]. ويمثل القاضي للقصور في المبالغة عند بعض الشعراء مثل قول أحدهم:

أَحَادُ أم سُدَاسُ في أُحَادِ   لُيَيْلَتُنا المَنُوطةُ بالتَّنَادِ

فيعلق بقوله: « ولم اقتصر على الأسبوع وهو يريد المبالغة في الطول؟ وهل بلغ أقصى ما يحتمله الوزن وأكثر ما يُمكنه النظم؟»[3].

ويذكر القاضي صيغة من صيغ المبالغة ويفصل في شرحها والتمثيل لها بمثل قول المتنبي:

لأنتَ أسودُ في عَيني من الظُّلَمِ   أبعد بعدت بياضاً لا بياض له

فيعلق بقوله: « إنه أنكر أسود من الظلم، ولم يعلم أنه يحتمل هذا الكلام وجوهاً يصح عليها، وأن الرجل لم يرد(أفعل) التي للمبالغة»[4]. ويطيل التفصيل في الكلام عن هذه الصيغة، ليبين المواقع التي تكون فيها (أفعل) صيغة مبالغة وما تخرج فيه عن ذلك.

بالغ:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، ومعنى بالغ من المبالغة« بَالَغَ فلان في أمري

إذا لم يقصر فيه»[5]، ورد هذا المصطلح بمعنى الزيادة في الوصف إلى حد الإفراط لتأكيد المعنى، يعلق القاضي عن البيت التالي:

ضربتُ خُماس ضربة عَبْشَمي   أدار سُداس أن لا يستقيما

---

[1]– المصدر نفسه، ص158

[2]– ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص300

[3]– الوساطة، ص91

[4]– المصدر نفسه، ص364

[5]– لسان العرب، مادة(بلغ)

فيقول: « وليس على الشاعر إذا بَالَغَ في الوصف أن ينتهي إلى الغاية، ولا يترك في الإفراط مذهباً، على أنه قد يجوز أن يكون قصد استفاء الأسبوع»[1]. ويتكرر هذا المعنى في تعليق القاضي عن البيت التالي:

بَلِيتُ بِلَى الأطلالِ إنْ لم أَقِف بها وقوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ في التُّرابِ خَاتِمُهْ

فيقول: « أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره؛ وكم عسى هذا الشحيح بالغاً ما بلغ من الشح، وواقعاً حيث وقع من البخل أن يقف على طلب خاتمه»[2]، و الشاعر لم ينجح في مبالغته، لأن الخاتم ليس بالشيء الذي يخفى في التراب إذا طلب، ولا يصعب إيجاده إذا فُتش.

وقد يرد نفس المصطلح بمعنى مختلف تمام، مثل قوله: « ولعلي بالغ بعض ما أؤمل»[3]. فهن جاء المصطلح بمعنى الوصول إلى الغاية المبتغاة. وقد تكرر هذا المصطلح بهذا المعنى أكثر من مرة.

التبليغ:

وردة مرتين في كتاب الوساطة، والتبليغ هو إيصال الأمر إلى المقصد، إحداهما في قوله: « قد أنصفناك في الاستيفاء لك، والتبليغ عنك»[4]، فقصد بالتبليغ هنا هو إيصال الأمر وإلحاقه، بينما في قوله: « ورأيت السلامة في أن أقتصر من هذه (الوساطة)على حسن التبليغ»[5]، فهنا يشير إلى أحد مزايا التبليغ وهي الحسن أي الكمال والخلو من الشوائب.

أبلَغ:

ورد هذا المصطلح سبع مرات في كتاب الوساطة، و أبلَغ اسم تفضيل من البلاغة جاء بمعنى الانتهاء إلى الغاية في التبيين والإفهام بأفضل أسلوب، وهذه هي بلاغة المتكلم.

يقول القاضي: «.. والخطيبَ أبلغَ من الخطيب، فهل ذلك إلا من وجهة الطبع والذكاء وحدة

[1] – الوساطة، ص379
[2] – المصدر نفسه، ص390
[3] – المصدر نفسه، ص387
[4] – المصدر نفسه، ص 161
[5] – المصدر نفسه، ص344

القريحة والفطنة!»[1]، وقوله: « فكلما ازداد الكلام تأكيداً كان أبلغ»[2]. ونجده يرد بصورة أخرى في قول القاضي: « فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت...»[3]، ويعدد القاضي صفات الهجو البليغ و الذي بلغ نهاية التبيين وإفهام في الأسلوب.

فمصطلح المبالغة عند القاضي وعلى خلاف الكثير من أسلافه غير مرغوبة فيها في الكلام فحسب رأيه هي مدعاة للإغراق والإفراط في المعاني والإسراف دون حاجة لذلك.

المثل

---

[1]- الوساطة، ص23

[2]- المصدر نفسه، ص176

[3]- المصدر نفسه، ص30

(الأمثال– التمثيل–تماثل)

المَثَّل: « الشيء الذي يضرب لشيء مَثَلاً فيجعله مِثْلَهُ، والمَثَلُ والمَثِيلُ: كالمِثَل، والجمع أَمثَال وهما يَتَمَاثَلَانِ والمِثلُ: الحَدِيثُ نَفسُهُ، و قوله تعالى: (✂ ♦ ✕ ⇦ 🔔 ✂ ••
↖ ♦ ⊕ ♦ ✌ ❷ ♦ ☐ ⌘ ☞ ⊠ ♦ ♌ ☐ ↖ ☪ ✌ ↙ ♦ ↖ ③
↖ ♦ ✞ ⊠ ☺ ✂ ✶ ✏ ♦ ☐ ☎ ↗ ⇗ ☐ ○ ○ ✂
↓ ❽ ③ ❽ ⊠ ➔ ✂ ♦ ☐ ➔ ♎ ♦ ☐ ▤ ▤ ❼ ■ ✍ ⇳ ↖ ☞ ❀ ✂
✂ ⊠ ♦ ▤ ⓿ ⚐ ➊) [1] ، والمِثَالُ: المِقدَارُ وهو من الشِبهُ والأَمثَلُ: الأَفضَلُ، يقال: فلان أَمْثَلٌ من فلان أي أفضَلُ مِنهُ، والمِثَالُ: القصاص»[2]، وقيل: « مَثَلُ الشَيء أيَضاً صِفَتُهُ يكون المَثَلُ: بِمَعنَى العبرة[3]، والمَثَلُ عِبَارَة عَن قولٍ في شيءٍ يُشْبِهُ قولاً في شيءٍ آخَرَ بينَهما مُشَابَهَةُ»[4]. و« المَثَلُ: الحُجَةُ والحَدِيثُ»[5]، وهو« مناظرة الشيء للشيء وهَذَا مِثْلُ هَذَا، أي نَظِيرهُ»[6].

و في الاصطلاح: « جمل وجيزة ذاتُ مفهوم عميق، تدل على نتيجة إثر تجربة واقعية. والمَثَل موجود عند كل شعوب الأرض، وهو المرآة الصافية لحياتها، وعاداتها وتقاليدها»[7]. وقيل: « المَثَلُ جُملة من القَوّل مُقْتطعة من كَلام أو مُرسلة لِذاتها تُنقل ممن وَرَدت فيه إلى مُشابهه بلا تغيير»[8].

في اصطلاح (الوساطة):

المَثَل:

تكرر هذا المصطلح سبع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والمثل عند القاضي جاء بمعنيين:

أ- المثل بمعنى ما يضرب لأمر من الأمور، وهو ما اشتهرت به العرب، ونجده في تعليق القاضي على قول الحُصين بن الحُمام المُرِّي:

---

[1]- سورة النحل، الأية60
[2]- لسان العرب، مادة(مثل)
[3]- تاج اللغة وصحاح العربية، مادة(مثل)
[4]- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(مثل)
[5]- القاموس المحيط، مادة(مثل)
[6]- مقاييس اللغة، مادة(مثل)
[7]- المعجم المفصل في الأدب، ص757
[8]- المعجم الأدبي، ص236

فلستُ بمبتاع الحياة بذلة   ولا مُرْتَقٍ من خَشْيةِ الموت سُلماً

فيقول:« وهذا قريب من الحقيقة، وإن كان فيه شُعْبة من ضرب المثل»[1]، فالمثل هنا يتضمن معنى العبرة أو الحكمة كثيرة المداولة بين الناس.

ب- المثل بمعنى التمثيل، وقد ورد في معرض رده على من خلط بين الاستعارة والتشبيه فيقول: « وربما جاء من هذا الباب ما يظنُّه الناس استعارةً وهو تشبيه أو مثَل»[2]، فالمثل عند الجرجاني هنا هو التمثيل.

سائر المثل:

ورد هذا المصطلح مرتين مفرداً وجمعاً، وعلى غير المعتاد وهو أن يقال (المثل السائر) نجد القاضي يستعمله في قوله: « ولمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته»[3]، و في قوله: « وهذا مصراع نادر، مستوفي المعنى، سائر المَثَل»[4]، فآخر المثل في تركيب المصطلح ورغم هذا لم يخرج عن المعنى العام لهذا المصطلح وهو المثل الجاري على ألسنة الناس.

الأمثال:

ورد هذا المصطلح أربع عشرة مرة في كتاب الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والأمثال جمع مثل، وقد جاءت بالمعنيين السابقين للمثل وهما:

أ- الأمثال بمعنى ما يضرب من الشواهد لأمر من الأمور، وقد وردت بهذا المعنى في قول القاضي: « وضرب له الأمثال، فروى له خبر ذي الرمة حين استنشده بعض الملوك من بني أمية»[5]، فالأمثال هنا تتضمن معنى العبر والمواعظ المتداولة بين العرب.

ب- الأمثال بمعنى الأشباه و النظائر، ونجدها في تعليقه عن حسن الابتداء عند المتنبي في قوله:

اليومَ عَهْدُكُم فأينَ الموعِدُ   هَيهَاتَ ليسَ ليومِ عَهدِكُمُ غَدُ

فيعلق القاضي: « وأمثال ذلك إن طلبته هداك لموضعه، وإن التمسته دلك على نفسه»[6] فأشباه هذا الابتداء الحسن للمتنبي كثير في أشعاره، كما يرى القاضي.

[1]- الوساطة، ص41
[2]- المصدر نفسه، ص45
[3]- المصدر نفسه، ص38
[4] - المصدر نفسه،ص214
[5]- المصدر نفسه ، ص138
[6]- المصدر نفسه، ص140

وفي تعقيبه عن إفراط المحدثين في استعمال ألفاظ العجم في أشعارهم رغم وجود مقابل لها في العربية يقول: « فليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم في أمثال ذلك إذا احتاج إلى ذلك إليه؛ فأما المحدثون فقد اتسعوا فيه حتى جاوزوا الحد...»[1]

التمثيل:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والتمثيل في اللغة هو التشبيه[2]، ولم يخرج عن هذا عند القاضي فقد جاء بمعنى التشبيه، في قوله: « كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب والبُرد، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها، والمَهَاة في حسنها وصفائها»[3]. وفي قوله: « وأما بيت أبي الطيب فليس إلا صريح التمثيل المتداول »[4]. فالتمثيل المتداول هو التشبيهات المتداول بين الشعراء، والتي لا تعد من السرقات لشيوعها.

التماثل:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وجاء بمعنى التشابه في قوله: « تساوي المعاني، وتماثُل الأوزان»[5] .

فالمثل والأمثال والتمثيل مصطلحات اختلفت معانيها عند القاضي وإن تقاربت اشتقاقاتها وهي في جملتها لم تخرج عن المعاني الاصطلاحية وحتى اللغوية المتداولة لهذه المصطلحات.

المطابقة

[1]- الوساطة، ص282
[2]- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص348
[3]- الوساطة، ص162
[4] - المصدر نفسه، ص291
[5] - المصدر نفسه، ص174

(المطابق– طبَّق)

المطابقة: « الموافقة ومنها الطِبَاقُ وهو الجمع بين الشيئين، وتَطَابَقَ الشَيئَان: تسَاويَا، والمُطَابَقَةُ والتطَابُقُ: الإتِفَاقُ، ويقال طَابَقَ فُلان فُلاناً إذا وافقه، والُمطَابَقَةُ: المَشِي فِي القَيدِ وَهُو الرَّسْفُ، ومُطَابَقَةُ الفَرَسِ فِي جَرِيِهِ: وضْعُ رِجْلِيهِ مَواضِعَ يَدَيْهِ، والمُطابَقَةُ: مَشيِ المُقَيَدَ»[1] ، وقيل: « المُطَابَقَةُ مِنَ الأَسمَاء المُتَضَايِفَة وهو أن تَجْعَلَ الشَيء فَوقَ الآخَر»[2]، و« الطِبَقُ مِن كُلِّ شيء: مَا سَاوَاهُ»[3]، و« طَابَقْتُ بين الشَيْئَين: إذا جعلتهما على حذو واحد»[4].

و في الاصطلاح: «المطابقة والطباق والتضاد ثلاث مصطلحات لمسمى فرد هو الجمع في الكلام الواحد بين الشيء الواحد وضده»[5]. وقيل: « المطابقة في علم البديع، هي الجمع في الكلام بين متضادين إما اسمين، نحو: النهار والليل، أو فعلين نحو: يبكي و يضحك أو حرفين، نحو: يوم لنا ويوم علينا»[6].

وهو أنواع:« طباق سلب، وطباق إيجاب، وطباق تضاد، ويكون في لفظين: أبيض وأسود ويحي ويميت، وهو من المحسنات المعنوية التي تقوم الكلام وتكسبه الرونق»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

المطابقة:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، ومعنى المطابقة عند القاضي الجرجاني هو المقابلة بين الشيء وضده في الكلام، وقد لمح إلى صعوبة استخلاصها من الكلام لغموضها وخفائها، لتداخلها مع أنواع أخرى من المجاز، مما يستلزم النظر الثاقب والذهن المتمرس، فيقول: « و أما المطابقة فلها شُعَبُ خفية، وفيها مكامن

---

[1]– ينظر: لسان العرب، مادة(طبق)

[2]– معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(طبق)

[3]– القاموس المحيط، مادة(طبق)

[4]– مقاييس اللغة، مادة(طبق)

[5]– البلاغة الاصطلاحية، ص287

[6]– معجم المفصل في اللغة والأدب، ص767

[7]– ينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص239

تغمض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظرِ الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضع هو أملك به»[1]، يشير القاضي في هذا الاقتباس: « إلى دور المتلقي في إدراك المعاني الكامنة في الطباق، فالمطابقة لا يدركها، ويدرك معانيها في النص إلا متلق متمرس على علم ودراية وثقافة حتى يستطيع إدراك وفهم واستخلاص مكامن الطباق»[2]، وقد قسم القاضي الجرجاني المطابقة إلى قسمين وهما:

ما جرى مجرى المثل، و ما كانت المطابقة فيه بالنفي، وحول هذين القسمين يقول: « ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دِعْبِل:

لا تعجبي يا سَلمُ من رجلٍ ضَحِك المشيب برأسهِ فبكَى

وقول مسلم بن الوليد:

مُسْتَعبر يَبْكي على دِمْنة ورأسُه يضحكُ فيه المشيب

وقول أبي تمام:

وتنظَّري خَبَبَ الرَّكاب يَنُصُّها مُحْيِي القَرِيض إلى مُمِيت المال

فكل هذا باب واحد، وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي، كقول البحتري:
يُقَيَّض لي من حيث لا أعلم الهوى ويسري إليَّ الشوق من حيث أعلملم كان قوله: (لا أعلم) كقوله: أجهل، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته»[3].

فمن هذه الأمثلة يمكن أن نقول أن المطابقة عند القاضي هي الجمع بين الضدين في الكلام كما هو الحال بين(يبكي و يضحك) والضد بالنفي في(أعلم ولا أعلم)

وفي تعليقه عن بعض أغرب الألفاظ التي تستعمل في المطابقة يقول: « ومن أغرب ألفاظه وألطف ما وجد منه قول أبي تمام:

مَهَا الوحش إلا أنَّ هاتَا أوَانِسُ قَنا الخطَّ إلا أنَّ تِلك ذَوَابِلُ

فطابق (بهاتا وتلك) وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى. وبمنزلة

---

[1]- الوساطة، ص47-48

[2]- الجهود النقدية والبلاغية عند العرب حتى القرن السابع الهجري، جمال محمد صالح حسين، عالم الكتب الحديث بيروت (د.ط) 2009م
ص221

[3]- الوساطة، ص48

الضدين»[1].

المطابق:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في كتاب الوساطة، وقصد القاضي بالمطابق المطابقة يقول عن صعوبة تميز المطابقة: « وقد يخلط من يقصر علمه ويسوء تميزه بالمطابق ما ليس منه»[2] ويمثل لهذا الخلط في المطابقة بقول كعب بن سعد:

لقد كان: أمَّا حِلمُه فمروَّحُ علينا وأمَّا جَهْلُه فعزيب

ثم يعلق: « لما رأى الحلم والجهل، و مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة...»[3]، فغير المتمكن يظن أن بين هذه الألفاظ مطابقة، وهذا خطأ كما يقول القاضي.

طبَّق:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة، وطبَّق عكس المطابقة، أي جاء بمعنى الاتفاق في قول القاضي: « ولو اتفق له أن يقول: حمرة في جوانبها بياض، لكان قد طبَّق المفصل، وأصاب الغرض، ووافق شبه الخجل»[4]، طبق أي وافق.

فمصطلح المطابقة عند القاضي الجرجاني إذن هو الجمع بين المعنى وضده أو نقيضه باللفظ أو المعنى، وهي من محاسن الكلام ومقومات التعبير، واستخلاصها يحتاج إلى تمكن ودراية لاختلاطها مع أنواع أخرى من المجاز، كما حدد أقسامها ومثل لها بكثير من الأشعار.

المعنى

[1]- الوساطة، ص48

[2]- المصدر نفسه، ص48

[3]- المصدر نفسه، ص48- 49

[4]- المصدر نفسه، ص164

(المعاني-المعنويون)

المعنى: « مَعنَى كُلِ شَيءٍ: مِحنَتُهُ وحَالُهُ التي يصير إليها أمره، والمَعنَى والتَفسِير والتَأوِيل واحد، وعَنِيتُ بالقولِ كَذا أَردتُ، ومَعنَى كُلِ كَلام و مُعَنَاتِه مقصِدُه»[1]، ويقال:« عَنِيَ الأَمرَ يَعْنِي: نَزَلَ وَحَدَثَ، ومَعْنَى الكَلام مَعنِيُّه ومَعْنَاتُهُ و مَعْنِيَّتُهُ: وَاحِدُ»[2]، و« المَعْنَى هو القَصْد الذي يَبرُز ويَظهر في الشَّيْء إذا بُحث عنه؛ يقال: هذا مَعنَى الكلامِ ومعنى الشِّعر، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمَّنه اللَّفظ»[3].

و في الاصطلاح: « هو المضمونُ الذي يعبِّر به الأديب، ويبسطه في أحد أعماله الأدبية، والفكرةُ التي تطرأ على ذهنه ويسعى إلى بسطها بالشكل الذي هو المبنى»[4]، وقيل: « المعنى أو المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف و تنكير، أو قصر وخلافه، أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب ومساواة[5]. وقيل: ما يدل عليه القول، أو الرمز، أو الإشارة، أو الشيء»[6].

والجاحظ من أنصار اللفظ، يقول: « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتغير اللفظ»[7].

في اصطلاح (الوساطة):

المعنى:

المعنى عن القاضي الجرجاني من أكثر المصطلحات وروداً، فنجده في مائتين وثماني عشرة موضعاً، مفرداً ومثنى، وكان في (اثنين وتسعين منها نكرة والباقي معرفة)، وجاء بأوصاف ونعوت مختلفة، ويمكن تصنيفها كما يلي:

---

[1]- لسان العرب، مادة(عنا)

[2]- القاموس المحيط، (عني)

[3]- مقاييس اللغة، مادة (عني)

[4]- المعجم المفصل في الأدب، ص810

[5]- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2ص276

[6] - المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص1172

[7]- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهر،ط2، 1966م. ج3ص131-132

نعوت المعنى:

معنى لطيف:

ورد في تعليقه على بيت أبي الطيب:

وَلذَا اسْمُ أَغْطيَة العُيُون جُفُونُهَا   منْ أَنهَا عَمَلَ السُيُوف عَوَاملُ

فيقول: « وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ »[1].

معنى شريف:

ورد في تعليقه على أبيات لأبي تمام، يقول القاضي: « ثم لم يظفر فيها بمعنى شريف وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة »[2].

معنى مليح:

ورد في تعليقه على بيت أبي الطيب:

وَلَو يَمَّمْتَهُمْ في الحَشْو تَجْدُو   لأَعْطَوكَ الَّذي صَلَّوا وصَاموا

يقول القاضي: « وهذا معنى مليح »[3].

معنى مستوفى:

ورد في قوله: « وهذه أفرد أبيات منها أمثال سائرة، ومنها معانٍ مستوفاة»[4].

معنى منفرد:

ورد في كلامه عن نقل أبي الطيب لمعاني أبي تمام، فيقوله: « فنقله أبو الطيب إلى الزمان فصار كالمعنى المنفرد»[5]. كما ورد في كلامه عن حسن إخفاء السرقة، فيقول القاضي:« ثم لاحظ هذا فأخفاه؛ وأحسن ما شاء»[6]، ويمثل لحسن الإخفاء بقول المتنبي:

إنَّكَ منْ مَعْشَر إذَا وَهَبُوا   مَا دُونّ أَعْمَارهمْ فَقَدْ بَخلُو

ويعلق عليه: « فجاء به معنى منفرداً، وهو من باب السماحة بالروح»[7].

معنى مشترك:

---

[1] – الوساطة، ص83
[2] – المصدر نفسه، ص158
[3] – المصدر نفسه، ص208
[4] – المصدر نفسه، ص140
[5] – المصدر نفسه، ص191
[6] – المصدر نفسه، ص191
[7] – المصدر نفسه، ص187

ورد في كلامه عن المعاني المشتركة التي لا تعد من السرقات، يقوله: « وهذا مع مشترك لا يسرق»[1].

معنى بديع:

ورد في تعليقه عن أبيات غزل لأبي تمام، فقال عنها القاضي: « فلم يخل بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة»[2].

معنى عامي:

ورد في تعليقه عن قول بشار:

فإن ما رَيْتّني فارْكَبْ حصاناً ومَثِّلْهُ تَخِرَّ لهُ صَرِيعَاً

يقول القاضي: « وهذا المعنى عامي»[3].

معنى مخترع:

يقول القاضي: « وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيره، ولطفه فجاء كالمعنى المخترع»[4]، ويعلق عن قول المتنبي:

نُصَرِّفُه للطَّعْنِ فَوْقَ حَوَاذِرٍ قَدِ انْقّصّفّتْ فيهنَّ منهُ كِعّابُ

فيقول: « وقد زاد كأنه اخترع المعنى»[5].

عيوب المعنى:

معنى مبتذل:

ورد في تعليقه عن قول البحتري:

وإذاّ ما تَنَكرتْ لي بلاَدُ أَوْ صَديق فإنَّني بالخيَار

يقول عنه القاضي: « وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين»[6] .

معنى متداول:

ورد في تعليقه عن قول المتنبي:

---

1 – الوساطة، ص197

2 – المصدر نفسه، ص37

3 – المصدر نفسه، ص159

4– المصدر نفسه، ص233

5 – المصدر نفسه، ص275

6– المصدر نفسه، ص253

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده

يقول القاضي: « وهذا معنى متداول، وقد أكثر الناس فيه»[1]، كما يعلق عن قول أبي الطيب:

والعينُ تُبْصرُ مَنْ تَهْوَى وتفقده وناظر القلب لا يَخْلُوا من البَصَر

يقوله: « وهو معنى متداول»[2].

معنى بارد:

ورد في تعليقه عن قول أبي تمام:

مازَالَ يَهْذي بالْمكارم والنَّدّى حَتى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَحْمُومُ

يقول القاضي: « فتناول معناً بارداً، وغرضاً فاسداً»[3].

المعاني:

المعاني جمع معنى لغة واصطلاحاً، وتكرر هذا المصطلح اثنين وأربعين مرة في الوساطة كان في (أربع وعشرين منها معرفاً)، فيقول القاضي في حديث عن أغاليط الشعراء: « ثم عدت إلى ما عدده العلماء من أغاليطهم في المعاني»[4]، كما أن للمعاني رُتَب تقسم وفقها الألفاظ، يقول: « بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جِدِّك»[5].

أصحاب المعاني:

ورد في قوله: « وأنكر أصحاب المعاني قطع المصرع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى»[6].

المعاني المستغلقة:

وهي المعاني الغامضة التي يصعب تبين القصد منها، وردة في قوله: « وأمثلُ هذه الاعتراضات كثيرة واستقصاء جميعها باب من التطويل، وإنما يصلح استيفاء ذلك إذا قصدنا

[1]- الوساطة، ص280
[2]-المصدر نفسه، ص320
[3]- المصدر نفسه، ص220
[4]- المصدر نفسه، ص18
[5]- المصدر نفسه، ص30
[6] – المصدر نفسه، ص366

شرح المعاني المستغلقة من شعره»[1].

معنوي:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، وهو صفة أطلقها القاضي على خصوم المتنبي في قوله: « أو معنوي، مدقق لا علم له بالإعراب، ولا اتساع له في اللغة؛ فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البين»[2].

المعنويون:

جمع معنوي، ورد مرة واحدة في قوله: « ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وجرة وجاسم، فإنما يطلُب به بعضهم الإغراب على بعض»[3].

المعنى مصطلح كثر ذكره في الوساطة فتعددت أوصافه ونعوته وتباينت بين الذم والمدح، وأغلب النصوص التي ورد فيها هذا المصطلح كانت تعليقات موجزة للقاضي عقب بعض الأبيات.

[1] – الوساطة، ص395
[2] – المصدر نفسه، ص364
[3] – المصدر نفسه، ص37

المناقضة

المناقضة: « النَقْضُ ضد الإبرام، والنَقِيضَان من الكلام ما لا يصح أحدهما مع الأخر... والمُنَاقضَةُ في الكلام وفي الشعر كنَقَائِضِ الفرزدق وجرير »[1]، وقيل: « المُنَاقَضَة في القول أن يتكلم بما يَتَنَاقَضُ معناه والانتقاض الانتكاث»[2]. وفي القاموس المُنَاقضَة: « أن يقول شاعِرُ شِعراً فَيَنْقُضَ عليه شاعِرُ آخرُ حتى يجئ بغير ما قال»[3] .

أما في الاصطلاح: «عند البلغاء هي تعليق أمرٍ على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه»[4]، وقيل: «إبطال أحد الشيئين بالآخر»[5]، والنقيضة: « قصيدة يردُّ بها شاعر على قصيدة لخصم له، فينقض معانيها عليه؛ فيقلب فخر خصمه هجاءً، ويحول الفخر إلى نفسه وقبيلته»[6]، و هي « في علم البديع، تعليق الشرط على نقيضين: ممكن ومستحيل»[7]، وقيل: « المناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الثاني ما قاله الشاعر الأول، فيلتزم البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول»[8]

في اصطلاح (الوساطة):

المناقضة:

تكرر هذا المصطلح في ثلاثة عشرة موضعاً، مفرداً ومثنى و(معرفاً ومنكراً)، وقصد بها أمرين:

أ- قصد به نقض الشاعر لمعاني غيره بقلبها، فيأتي بضدها في شعره، يقول: « ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب، وقصد به النقض»[9]، ويمثل له بقول المتنبي:

أَنْتَ نقيضُ اسْمِهِ إذا اختلَفَتْ قَوَاضِبُ البيض والِقَنَا الذُّبُل

وبعلق: « إنما هو نقيض قول أبي نواس:

1- معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(نقض)
2- مختار الصحاح، مادة(نقض)
3- قاموس المحيط، مادة(نقض)
4- كشاف اصطلاحات الفنون، ص1253
5- التعريفات، ص83
6- المعجم المفصل في الأدب، ص863
7- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص1209
8- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص378
9- الوساطة، ص179

عباسُ عباسُ إذا احْتَدَم الوَغَي والفضلُ فَضلُ والرَّبيعُ رَبيعُ»[1]

ويضيف قول المتنبي:

والجِرَاحَاتُ عِنْدَه نَغَمَاُت سَبَقَتْ قبل سَيبه بسُؤَالِ

ويعقب عنه بقوله: « إنما ناقض به أبا تمام في قوله:

ونّغمّةُ مُعْتَفٍ جّدْوَاه أحلى على أَذَنَيْهِ من نَغمِ السَّماعَ»[2]

ب- قصد بها نقض الشاعر لنفسه، إذا:« كذَب نفسه، ونقض قوله»[3]، فيكذب بالشطر الثاني، ما جاء في الشطر الأول من البيت، كما في قول زهير:

قِفْ بالدِّيار الَّتي لَمْ يَعْفهُا القِدَمُ بَلَى وغَيَّرَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ

يعلق القاضي: « فنقض بالمصراع الثاني الأول ولم يحفل بتكذيب نفسه»[4].

وكذلك: « من النقض الظاهر قول بشار:

لو يّطُل لَيلي ولكن لم أَنّم ونفى عني الكَرى طَيفُ أَلّمْ

فقال: لم أنم، ثم زعم أن الطيف ألم به، وهو لا يلم إلا بنائم»[5].

المناقضة الظاهرة:

وقصد بالمناقضة الظاهرة المكشوفة، التي يسهل إظهارها، ورد مرتين إحداهما في تعليق خصوم المتنبي على قوله:

الفاعِلُ الفَعْل لم يُفْعَلْ لِشِدَّتِه والقائِلُ القَوْلَ لم يُتْرَكْ ولم يُقَلِ

« قالوا: كيف يكون القول غير متروك ولا مقول؟ وهل هذه إلا مناقضة ظاهرة؟»[6].

مصطلح المناقضة عند القاضي لم يكتف في التمثيل له بمناقضة الشاعر لشاعر آخر بل زاد عن ذلك بمناقضة الشاعر لنفسه، وهذا الأخير-مناقضة الشاعر لنفسه- قل ذكر وتمثيل النقاد له.

1- الوساطة، ص179

2- المصدر نفسه، ص179

3 – المصدر نفسه، ص53

4– المصدر نفسه، ص367

5 – المصدر نفسه، الصفحة نفسها

6– المصدر نفسه، ص391

النَّوَادِر

(النادر-النادرة- الندرة)

النَّوَادِر: جاء في اللسان: « نَدَر الشيء يَنْدُر ندوراً بمعنى سقط وشذَّ ، ونوادر الكلام تندر وهي ما شذَّ وخرج من الجمهور »[1]، وقيل: « نَدَرَ الشَّيءُ نُدُوراً، مِنْ بَابِ قَعَدَ: سَقَطَ أو خَرَجَ من غَيْرِهِ، ومنه نَادِرُ الجَبَلِ وَهُوَ مَا يَخرُجُ منه ويبرزُهُ »[2]، ويقال: « النُدْرُ: كلُ شيءٍ زالَ عن مكانه فقد نَدَرَ يَنْدُر نُدْراً فهو نَادِر. فيقال: ضربه على رأسه فَنَدَرَة عَينُه أي خرجت من موضعها وسمي نوادر الكلام لأنه كلام نَدَرَ فظَهَرَ مِن بَيْن الكَلام »[3].

وفي الاصطلاح: « استعملها العرب بمعنى الخبر الطريف، والمُلْحة، والأقصوصة الفكاهية»[4]، و« النوادر هي الأقوال التي تضحك، أو تستثير الاستغراب و التعجب لخروجها عن المتوقع والمعتاد، وهي في الشعر تعني الأشعار التي بلغت من الجودة في معنى ما حداً جعلها تخرج عن المعتاد»[5].

في اصطلاح (الوساطة):

النوادر:

ورد هذا المصطلح مرتين في كتاب الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعناه عند القاضي الجرجاني يصعب تحديد لقلت استعمالها، فذكرها مرة في حديثه عن كتابٍ لأبي زيد بعنوان كتاب النوادر، فيقول: «... وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر...»[6]، وأخرى حملت النوادر فيها معنى القلة عكس الوفرة، والتي نجدها في قوله: « « وإنما هذه الأحرف التي عددتموها ألفاظ خرجت عن القياس، وشذت عن العبرة، وإنما يتبع فيها السماع، ويوقف عند الرواية، لا يتعدى إلى غيرها، ولا يتجاوز تلك الحروف

---

[1]- لسان العرب، مادة (ندر)

[2]- المصباح المنير، مادة (ندر)

[3]- قاموس المحيط، مادة(ندر)

[4]- المعجم المفصل في الأدب، ص846

[5]- وينظر: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص389

[6]- الوساطة، ص366

بأعينها ولا تكاد تجد باب من العربية يخلو من نوادر وشواذ »[1]، ومعنى القلة وارد في هذا الاقتباس

فالحروف التي خرجت عن القياس قليلة ومحدودة ـ نادرةـ في اللغة العربية، ويمكن أن تعرف بالسماع.

النادر:

ورد هذا اللفظ في كتاب الوساطة أربع مرات، كان في(مرتين منها معرفاً)، وجميعها حمل فيها معنى القلة وعدم الإفراط، يقول القاضي: « ولقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا في النادر الفذ»[2]، وفي حديثه عن أحكام القياس في العربية، يقول: « ولجاز أن يقال في جمل أجمل كما قالوا : جبل وأجبل، وجاز كلب وأكلاب كما قالوا: فرخ وأفراخ، قال المحتج: ليس هذا من الباب الذي ذكرته، وليس بجاري مجرى الشاذ والنادِر»[3]، و يعلق عن قصيدة أنشدها شيخ بدوي يمدح بها جعفر ابن محمد الحسني، بقوله: « وجدتها متنافرة الأبيات مختلفة الأطراف، بين عَيْنٍ نادر، ومتوسط متقارب»[4]، وكما رأينا في مصطلح النوادر الذي الذي حمل معنى القلة وعدم الإفراط، فإن مفرده– نادر– لم يخرج عن هذا المعنى.

النادرة:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة كلها(معرفاً)، والنادرة عند القاضي جاءت بمعنيين مختلفين:

أـ النادرة وجمعها نوادر فجاءت بمعنى القلة والنقص وكان استعملها دائماً كمضافة لكلمة (ألفاظ)، في ثلاث مواضع وأحدها في قوله:« وعلى هذا أكثر اللغة،لاسيما الألفاظ النادرة »[5] و قوله أيضاً:« وهذا سبيل ما وجد في شعر هؤلاء من الشواذ الغريبة والألفاظ النادرة »[6]. وقوله: « غير أنه ليس على الشاعر عيب في إتباع اللفظة النادرة إذا رواها

[1]– المصدر نفسه، ص370

[2]– الوساطة، ص36

[3]– المصدر نفسه، ص370

[4]– المصدر نفسه، ص141

[5]– المصدر نفسه ، ص377

[6]– المصدر نفسه، ص377

الثقات»[1]، فهذه الاقتباسات الثلاث لم يخرج فيها معنى مصطلح النادرة عن القلة في الألفاظ.

ب- المعنى الثاني لنادرة والذي جاء في موضع واحد في الكتاب كان يدل على الكلام المستظرف الحسن والمضحك الغريب، فيقول: « فإذا انتهى لمن بعدهم- كبشار وأبي نواس وطبقتهم- سمي شعرهم مُلَحاً وطرفاً، واستحسن منه البيت استحسان النادرة، وأجراه مجرى الفاكهة »[2]، وهذا غريب من ما ذهب إليه الجاحظ في قوله: « وكذلك إذا سمعتَ بنادرة من نوادر العوامّ...فإياك وان تستعمل فيها الإعراب...فإن ذلك يُفسِد الإمتاع بها »[3]

الندرة:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة كان فيهما(معرفاً)، والندرة جاءت بمعنى القلة، يقول: «وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك، إلا بعد الثقة، وهابتك الألسن فلم تعرض لك إلا في الفرط والندرة »[4]، وقوله: « وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً، والمحدثون والمحدثون أكثر استعانة بها، لكن في الفرط والندرة، أو على سبيل الغلط والفلتة »[5]، وفي كلا الاستعمالين كانت رديفة للفظة الفرط والتي تعني الإكثار و الإسراف.

كما ورد مصطلح الندرة بصيغة مختلفة مرتين، إحداهما في قول القاضي: « وليس من شرائط النصفة أن تنعي على أبي الطيب بيت شذّ، وكلمةً نَدَرت»[6]، وقوله: « فيشك أنها تَنْدُر فلتة، وتصدر بقتة»[7]، و كلا المصطلحين لم يخرج معناه عن معنى الندرة أي القلة.

وإن كان مصطلح النوادر- لقلة وروده- لا يعطينا فكرة واضحة عن صورة هذا المصطلح في فكر القاضي، فإن ما تبعه من مشتقات-النادرة والنادر والندرة- مكننا من اعتبار النوادر عند القاضي تعني من جهة القلة ومن جهة ثانية المستظرف من القول.

---

[1]- المصدر نقسه، ص383
[2]- الوساطة، ص56
[3]- البيان والتبيين، ج1ص146
[4]- الوساطة، ص52
[5]- المصدر نفسه، ص90
[6] – المصدر نفسه، ص92
[7]- المصدر نفسه، ص141

النقد

(الانتقاد- الناقد- النقاد)

النقد: « نَقَدَ الشَيء نَقْدَاً: نَقَدَهُ لِيَختَبِرَهُ، أَو لِيُمَيِّزَ جَيدَهُ مِن رَدِيئِه»[1]، وقيل: « نَقَدَ الدَرَاهِم نَقْدَاً وتَنَقُّادَاً: أَعطَاهُ إِيَاهَا، ونَقَدَ الدرَاهِمَ والدنَانِيرَ: مَيَزَ جَيِدَهَا مِن رَدِيئِهَا، ونَقَدَ الرَجُلُ الشَيءَ بِنَظَرِهِ يَنقُدُهُ نَقداً ونَقَدَهُ إِلِيه: اخْتَلَسَ النَظَر نَحوَه»[2]، و يقال: « نَقَدَ الشَيءَ يَنقُدُهُ نَقداً إذا نقره بإصبعه ... والنَّقدُ أن يضرب الطائر بمنقَادِهِ أي بمنقاره ... وقد نَقَدَهُ إذا نَقَرَهُ»[3].

وفي الاصطلاح: هو« فن تحليل الآثار الأدبية، والتعرف إلى العناصر المكوّنة لها للانتهاء إلى إصدار حكم يتعلق بمبلغها من الإجادة»[4]، وقيل: « نقد الأدب: تناوله ودراسته، والنظر فيه...واستخلاص عناصر الجمال التي سَما بها، وسمات القبح التي اتَّضع بها. ونقد الأدب: إبراز ما فيه من عيوب وما فيه من محاسن. ونقد الأدب: إشارةُ بإجادة المجيد للمقصر المسيء فالنقد هو العدل بالمشاهدة والفحص لا بالأهواء والميول»[5]، و« انتقَدَ الكلامَ أظْهَر مَواضِع الخَطأ ومواضع الصَّواب فيه»[6].

وقد جعله قدامة بن جعفر مرادفاً للشعر في عنوان كتابه (نقد الشعر)، وذكره في مقدمته فقال: « ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً»[7].

---

[1]- مقاييس اللغة، مادة (نقد)

[2]- لسان العرب، مادة (نقد)

[3]- تهذيب اللغة، مادة (نقد)

[4]- المعجم الأدبي، ص283

[5]- المعجم المفصل في الأدب، ص863

[6]- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص38

[7]-نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (د.ط)(د.ت)، ص61

في اصطلاح (الوساطة):

النقد:

ورد هذا المصطلح ثماني مرات في الوساطة، كان في (ستة منها معرفاً)، ومعنى النقد عند القاضي الجرجاني هو تمييز الجيد من الرديء، قال: « إذا قِسْتَ أبيات أبي الطيب بها على قِصَرِها، وقابلتَ اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنت من أهل البصر، وكان لك حظٌّ
في النقد تبينت الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكرهُ أن أبث حُكماً، أو أفضل قضاء, أو أن أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما محسن مصيب»[1].

فالقاضي رغم اعتباره أن النقد هو تبيين وتمييز الجيد من الرديء أو الفاضِل من المَفضُول، إلى أنه كره إصدار الأحكام والتفضيل بين أمرين كلاهما مستحسن، وفي تعليقه عن ما زعمه الصولي بدعائه أنه أول من سلك طريق نقد الشعر، يقول القاضي: «...هذا مع اتساعه في الدعاوى، وتحققه عند نفسه بنَقد الشعر، وادعائه بأن أحداً لم يسبقه إلى هذا العلم، وأنه طريق لم تُسْلَك قبله، وباب لم يزل مستغلقاً حتى افتتحه، كأنه لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمُّون البليدَ الغبي حماراً أو بقرة»[2].

الانتقاد:

ورد هذا المصطلح مرتين في الوساطة، وجاء بالمعنى السلبي لنقد أي تتبع أخطأ الشعراء وسقطاتهم، دون الوقوف على محاسن أشعارهم ومزياهم، كما فعل خصوم المتنبي مع شعره، يقول القاضي: «... وبرئنا إليك ما يوجبه عقد الكفالة وأفضلنا، ولم تكن بقيتنا استفاءَ الاختيار، واستقصاء الانتقاد...»[3]، وفي حديثه عن مآخذ العلماء عن أبي الطيب يقول: « فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نقصه، ويكشف عن استحكام جَهله»[4]، ويمثل لهذا النوع من الانتقاد بما بلغه عن بعضهم أنهم أنكَروا قول أبي الطيب:

تخطُّ فيها العَوَالي ليس تَنْفُذُها كأن كلَّ سِنَانٍ فوقها قَلَمُ

[1]- الوساطة، ص110
[2]- المصدر نفسه، ص291
[3]- المصدر نفسه ، ص155
[4]- المصدر نفسه، ص360

يعلق القاضي: « فزعم أنه أخطأ في وَصْفِ دِرعٍ عدوه بالحصانة، وأسنةِ أصحابه بالكَلال»[1].

الناقد:

ورد هذا المصطلح مرة واحدة في الوساطة، والجمال عند القاضي الجرجاني لا يدركه إلا الناقد البصير وهو غير مطالب بتعليله، ولهذا يضع شروط للناقد الجيد فيقول: « وهـذا

باب لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعلم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كل من أدركه استوفاه واستكمله، ولست تعد من جهابذة الكلام، ونقاد الشعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علماً برتبه ومنازله، فتفصل بين السرق والقصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة...»[2]، وعليه فإن شروط الناقد الجيد هي أنه يحتاج إلى الرواية (الثقافة)، والدراية(الدربة والمرونة)، والفطنة، ولطف الفكر (الموهبة) وصحة الطبع، وإدمان الرياضة، وبهذا يرتفع الناقد على مستوى الإنسان العادي الذي يسهل عليه إدراك اللغة والوزن و الإعراب والجناس والطباق والمعاني. ويكون قادرا على الفصل بين شيئين: العيب الخفي، والجمال الخفي[3].

النقاد:

ورد هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة، كان معرفاً في مرتين منها، والنقاد جمع ناقد، قال: « إلا أنك تعلم أن ما في قوله (شيء) يجتنيه الفحول، ولا يرضاه النقاد، وهو أشباه هذا مما لم نورد استقصاءَه، وإنما دللناك على منهاجه، وأريناك بابه، وقد قدمنا ما استرذلنا من شعرِه»[4]، وقوله: « زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله: (إلا أنها لم تُقاتِل) فهو المتقدم، وأحسن من هذه الزيادة عندي قوله: (في الدماء نواهل)

1- المصدر نفسه، ص360
2- الوساطة، ص161
3- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، ص386
4- الوساطة، ص159

وإقامتها مقام الرايات»[1]، وقوله: « وتعلم أن وراءك من النقاد من يعتبر عليك نقدك، ومن لا يستسلم للعصبية استسلامك »[2].

لقد خطا النقد في القرن الرابع للهجرة خطوات كبيرة باتجاه التجرد من العواطف والأهواء والعصبيات، واعتمد على العلم والمنطق في التحليل الأدبي، وهذا ما نستشفه من تتبع استعمال القاضي لمصطلح النقد في وساطته.

النقل
(المنقول)

النقل: يقول ابن فارس: «النون والقاف واللام: أصلٌ صحيح يدلُّ على تحويل شيءٍ من مكانٍ إلى مكان»[3]، ويقال: « النقل تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نَقلهُ يَنْقُلُه نَقلاً فانتَقَل»[4] ، وقيل:« نَقَلَهُ: حوله فَانتَقَلَ، والنُّقْلَةُ: الاِنتِقَالُ، والنَّقْلُ: ما يُتَنَقَلُ بِه على الشراب أو مُرَاجَعَةُ الكَلاَمِ في صَخَبٍ»[5].

في الاصطلاح: جاء في الكشاف « النقل عند أهل النظر هو الإتيان بقول الغير على ما هو عليه بحسب المعنى ...والآتي بَّه يُسمَّى ناقِلاً، وذلك القول يسمَّى منقولاً»[6]، وقيل:« وقيل:« نقل الكلام عن قائله، رواه وحدث به»[7]، وهو« نوع من السرقات غير الظاهرة، والتي يعمد فيها الشاعر إلى نقل معنى شاعر أخر فيغير في محله»[8].

في اصطلاح (الوساطة):

النقل:

---

[1]- المصدر نفسه، ص232

[2]- المصدر نفسه، ص341

[3]- مقاييس اللغة، مادة (نقل)

[4]- لسان العرب، مادة (نقل)

[5]- القاموس المحيط، مادة (نقل)

[6]- كشاف اصطلاحات الفنون، ج2ص1725

[7]- المعجم الأدبي، ص284

[8]- ينظر: معجم الشامل، ص989

تكرر هذا المصطلح سبعاً وأربعين مرة في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والنقل عند القاضي الجرجاني جاء بمعنيين:

أـ قصد به في ستةٍ وأربعين موضعاً، تفنن الشعراء في السرقة بتحويل معنى البيت إلى معنى آخر، ونقله من غرض إلى غرض آخر، قصد إخفاء السرقة، ويمثل له القاضي بما فعله أبو نواس بقول أبي حِرَاش الهُذَلي:

ولم أَدْرِ مَنْ ألقي عليه رِدَاءَه على أنه قَد سُلَّ من ماجدٍ مَحْضِ

فقال-أبو نواس- يصف شَراباً:

ولم أَدْرِ منهم غيرَ ما شهدَت به بشرفيّ ساباط الدّيار البَسَابِس

يعلق القاضي: « فلم يخفي موضع لأخذ؛ وإن كـان قد نقلَ الغـزل إلى الزهـد، والمرثية إلــى المنادمة»[1]. ويورد القاضي قول البحتري:

متسرْعين إلى الحُتُوفِ كأنها وَفْر بأرضِ عَدُوِّهم يُتَنَهبُ

يعلق القاضي: « وإنما نقل البحتري كلام أبي تمام:

مُسْتَرْسلينَ إلى الحُتُوفِ كأنَّمَا بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَينَهُمْ أَرْحَامُ»[2]

وقد نبه القاضي إلى اعتماد المحدثين على النقل لإخفاء سرقاتهم، فيقول: « والسَّرقُ- أيدك الله- داءُ قديم...تسبب المحدثون على إخفائه بالنقل والقلب»[3].

ومن النقاد من أطلق على هذا النوع من السرقة تسمية أكثر لطفاً وهي(حسن الأخذ) بدلاً من النقل وهذا ما نجده تغريباً في تعليق القاضي على ما فعله المتنبي بقول أحدهم:

تُعَادِينَا لأَنَّا غَيْرُ لُكْن وتُبغضُنا لأَنَّا غيرُ عُور

يعلق القاضي: « ثم نقله وزاد فيه وغيره فأحسن:

وإذَا أتَتْكَ مَذَمَّتي مِن نَاقصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بأَنِّي كامل»[4]

ويورد قول بعض العرب:

1- الوساطة، ص179

2- المصدر نفسه، ص197

3- المصدر نفسه، ص185

4- المصدر نفسه، ص210

« وفَرَّقْتُ بَيْنَ ابني هُشَيّمٍ بِطَعنَةٍ   لها عائِدُ يَكْسو السَّلِيبَ إزَارَا

فنقله أبو الطيب إلى السيف، فقال:

يّبسَ النَّجيعُ عَلَيْهِ وهُوَ مُجَرَّدُ   مِنْ غِمْدِهِ فكأنَّمَا هُو مُغْمّدُ»[1]

ويمثل لنقل بتحويل المعاني من غرض لآخر بقول مسلم:

« قُتِلّتْ وعالجها المُدِيرُ ولم تُقَدْ   فإذا بهِ قَدْ صيرتُه قتيلا

نقله ديك الجن إلى غرض آخر:

تطل بأيدينا نتعتعُ رُوحّها   وتأخذ من أَقْدّامنا الراح ثأّرها»[2]

ب- جاء بمعنى الرواية مرة واحدة في قوله: « مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ، وخمول أكثر ما قيل، وضياع جل ما نُقِل...فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري»[3]، فضياع الكثير من الأشعار التي تناقلها الرواة سبب في تداخل الأشعار وعدم معرفة أصحابها.

المنقول:

ورد هذا المصطلح عشر مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، كما جاء بصيغة المؤنث في موضعين من مجموع مرات وروده، والمنقول هو ما يتم نقله من المعاني و الألفاظ، ويمثل له القاضي بقول المتنبي:

وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَها   فكأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيوَان

يعلق القاضي: « وأنا أرى أن هذا المعنى منقول من قول زهير:

تَرَاهُ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً   كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ »[4].

مصطلح النقل عند القاضي يكون بتحويل المعاني من غرض إلى آخر، فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه، فإذا وجد معنى لطيفاً من تشبيب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء.

---

[1] - المصدر نفسه، ص218
[2] - المصدر نفسه، ص231
[3] - الوساطة، ص141
[4] - المصدر نفسه، ص277

فعده القاضي نوع من السرقة الخفية، والتي يعمد فيها الشاعر إلى معاني غيره، فينقلها مع الإنقاص منها أو الزيادة لإخفاء سرقته.

الوساطة

(التوسط–المتوسط–الأوسط)

الوساطة: جاء في المقاييس:« الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف. وأعْدلُ الشَّيءِ: أوسَطُه ووَسَطه. قال الله عزّ وجلَّ: (❒♦✍☒⓿☒🕓◉ᘐ✆⌨◻ ♉◻➔◻◘▫✡☐🕓▤⬈☠⬀ 🕮⬆✍☐◘☪ ❒♦☊◻◻⮌✞☞☞)[1] »[2]. وقيل:« وسط وَسَاطةً، ووسَّط توسطاً، وفلان وسِيطُ في قومه: إذا كان أوسَطَهُم نسَباً وأرفعهم مجداً. والتوسُطُ من الناس من الوسَاطة»[3].

أما في الاصطلاح: « أن يدخل الناقد بين أطراف متنازعة ليحكم لواحد أو لجماعة منها»[4]

في اصطلاح (الوساطة):

الوساطة:

---

[1]–سورة البقرة، الآية143

[2]– معجم مقاييس اللغة، مادة(وسط)

[3]– لسان العرب، مادة(وسط)

[4]– معجم النقد القديم، ج2ص439

تكرر مصطلح الوساطة مرتين وكان فيهما معرفاً، ومعناه عند القاضي تقريب وجهات النظر بين متخاصمين، بإيجاد حكم يرضي طرفي النزاع، فيعتبر هذا الحكم بمثابة الواسطة التي ترضي أطرف الخصومة، فيقول« ثم نعدل إلى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول: إن خصم هذا الرجل فريقان»[1]، فالوساطة تكون بين طرفين سواءً كانا مجموعتين أو شخصين فهي بمثابة الحكم الفاصل الذي يأخذ بعين الاعتبار حجج طرفي النزاع، كما في قوله: « وقد حكيت في كل باب منها ما علقته من كلام أصحابك، وما قابلهم به خصومك، ورأيت السلامة في أن أقتصر من هذه (الوساطة) على حسن التبليغ، وحسن التأدية، وتقريب العبارة...»[2].

التوسط:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة (معرفاً ومنكراً)، ومعناه لم يخرج عن معنى الوساطة الذي ذكرناه، فيقول: « وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المحدث

والمحدث بسبيل»[3]، ويقول: « وشغلنا باتِّصال الدعوى عن التوسط، وإنما يقصد بالكشف ما

يشتبه، وبتوسط في الأمر الذي يشكل ويلتبس»[4]، فالتوسط حسب القاضي يكون في الأمور التي يقع فيها إشكال واختلاف في الرأي، والتوسط هو الحل الوحيد لإزالة هذا اللبس.

المُتوسِطُ:

تكرر هذا المصطلح أربع مرات في الوساطة(معرفاً ومنكراً)، والمتوسط في كتاب الوساطة هو القاضي الجرجاني الذي يمثل دور الحاكم بين طرفي الخصومة، يقول: « إنما وقفت موقف الحاكم المسدد، وقد صرت خصماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط ... والمدعي أشد اهتماماً بما يحقق دعواه من التوسط، وعناية الخصم أتم من عناية الحاكم»[5]،

---

[1]- الوساطة، ص52
[2]- المصدر نفسه، ص344
[3]- الوساطة، ص52
[4]- المصدر نفسه، ص65
[5]- المصدر نفسه، ص156

الأوسط:

وردة هذا المصطلح مرتين في الوساطة إحداهما في قوله: « بل أريد النمط الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط عن البدوي الوحشي»[1]، والنمط الأوسط من الكلام عند القاضي هو الملائم والمناسب في رأيه.

ومصطلح الوساطة علامة بارزة في عنوان كتاب القاضي الجرجاني، فهي نقطة التلاقي بين طرفي الخصومة، وتولدت عنه مجموعة من المشتقات كانت في مجملها مكملة لهذا المصطلح، فلم تخرج عن معناه العام.

[1]- المصدر نفسه، ص30